تقديم إلى الساحة المقدسة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله

التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة (الجزء الرابع)
الأوليغارشية الحاخامية، التلمود والكابالا

إسماعيل شفيعي سروستاني

التاريخ الثقافى لقبيلة اللعنة (الجزء الرابع)
الأوليغارشية الحاخامية، التلمود والكابالا
المؤلف: إسماعيل شفيعي سروستاني
التنقيح: وحدة البحوث بمؤسسة موعود العصر(عج) الثقافية
الناشر: هلال
الطبعة: الأولى، ٢٠١٨
مكان الإصدار: طهران

الفهرس

المقدمة ٧
مقدمة الجزء الرابع ١٥
الفصل الأول: الأوليغارشية الحاخامية ١٧
العودة إلى «أورشليم» ١٩
العصر الحديث، منعطف في تاريخ بني‌اسرائيل ٢٤
إنتشار الطوائف المخاتلة ٢٧
١. الصدوقيون ٢٨
٢. الفريسيون ٢٩
٣. الأسينيون ٣٢
٤. السامريون ٣٣
الأوليغارشية الحاخامية والتلمود ٣٥
أولى بذور التلمود ٣٦
الحلولية في اليهودية ٤٠
الفكر الحلولي ٤٢
التلمود عنصر رئيسي وأساسي في تعاليم اليهود ٤٨
الفصل الثاني: الكابالا (القبالة) ٥٧
الجماعات اليهودية الرئيسية ٥٩
يهود الخزر ٦٠

مصير الخزر وهجرة اليهود إلى شرق أوروبا ٦٥
اليهود الغربيون واليهود الشرقيون (الأشكناز والسفارديم) ٧٠
إن قضية اليهود والصهيونية، أشكنازية أصلا! ٧٣
العوامل التي أدت إلى كراهية اليهود ٨٢
الكابالا (القبّالة) والتصوّف اليهودي ٨٧
شجرة الحياة ٩٦
الكابالا والتحرر ٩٩
اليهودية المعيار ١٠٤
القبّالة ومستقبل العالم ١٠٧
الفصل الثالث: تدنس أوروبا بالعلوم الخفية ١١٥
اليهود والسحر في العصور الوسطى ١١٧
الجماعات اليهودية في الشرق في العصور الوسطى ١٢٣
اليهود در عصر الحروب الصليبية ١٢٦
العصور الوسطى والسحر ١٢٩
البيئة السحرية ١٢٩
الفصل الرابع: اليهود المعاصرون ١٤٣
اليهودية في العصر الحديث ١٤٥
١. الإصلاحيون اليهود ١٤٦
٢. اليهودية الأرثوذكسية ١٥٠
٣. الصهيونية ١٦٧
٤. اليهود المحافظون ١٨٥
الطوائف الخفية في العصر الحديث ١٨٩
مارانو أو مارانوس ١٨٩
الدونمة ١٩٧

المقدمة

التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة

الحمد لله رب العالمين، والتوسل إلى الساحة المقدسة لحضرة رحمة للعالمين محمد بن عبد الله ﷺ. إن الحجر الأساس لهذا العمل الذي عنوانه «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» وضع عندما، كان كتاب «التاريخ الثقافي لقبيلة الرحمة»[1] يسلك مراحله الإكمالية. وقد استند المؤلف في ذلك الكتاب إلى المصادر الروائية لاسيما «دعاء الندبة» ليبين المنعطفات التي مرت بها سلسلة الأنبياء والأوصياء الإلهيين وكذلك المنعطفات التي نمر بها حتى نصل إلى اخر محطة، أي تأسيس الدولة الكريمة الطيبة بوصفها آخر حلقة من سلسلة الأولياء والأوصياء الإلهيين. محطة مقدسة وُعد بها وبوركت، وتنطوي في ذاتها على جميع شؤون واعتبار الحكومة الحقة والعالمية للمستضعفين، بحيث أن الله تعالى وعد بتحقيقها في كتابه المبين حيث قال:

«وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»[2]

---

١. وهذا الكتاب صدر عن إصدارات موعود العصر عجل الله فرجه.

٢. سورة القصص، الآية ٥. وقال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة «**إن هؤلاء هم آل محمد ﷺ. إن الله يرسل مهديهم بعد ما تكبدوا من عناء وضغوط ويعزهم ويذل أعداءهم.**»، «التفسير النموذجي»، جمع من الكتاب، ج ١٦، ص ١٨؛ نقلا عن «تفسير نور الثقلين»، ج ٤، ص ١١٠.

ويبدو أنه بموازاة سير وسفر «قبيلة الرحمة» على امتداد التاريخ، فان «قبيلة اللعنة» مضت قدما كتفا بكتف لتؤدي دورها.

إن عنوان «قبيلة اللعنة» هو عنوان عام ينطوي في حد ذاته على مجمل معنى ومفهوم «ائمة الكفر»، ويطلق على جميع الكافرين الذين يدعون الاخرين إلى الكفر والشرك ويمهدون لضلال أبناء آدم. وبما أن ابليس اللعين، هو كبير ومؤسس هذه القبيلة وهو راعيها وحاميها، لذلك أطلق على هذه القبيلة واتباعها مثل «بنو اسرائيل» إسم «قبيلة اللعنة.»

وقد جاء «القرآن الكريم» على ذكر هذه القبيلة بأسماء وتعابير مختلفة بما فيها المستكبرون (سورة سبأ، الآيتان ٣٣-٣٤) وأئمة يدعون إلى النار (سورة القصص، الآية ٤١) وكل أولئك الذين يرتبطون بشكل ما بائمة الكفر وقبيلة اللعنة.

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ»[١]

واستنادا إلى القرآن الكريم، فان هذه القبيلة وتابعيها، لا يُنصرون من قبل أي شفيع: **«وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ»**،[٢] وبما أن الاخرين يتبعونهم في الكفر والمعاصي، فانهم يُحمّلون دوما عبء ذنوب مثل ذنوب أنصارهم، ولذلك ومع استمرار الكفر والمعاصي، فان اللعنة الأبدية ستطالهم.

«وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ»[٣]

وهذه الطائفة أدت إلى إستضعاف وضلال الناس، بحيث أنها حرفتهم بمجملهم عن صراط الحق وجعلتهم يقاسون في الدنيا والاخرة من التعاسة والخسران.

«وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا

١. سورة القصص، الآية ٤١.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق، الآية ٤٢.

الاَغْلالَ فِى أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[١]

وفـي تقلبات وهبوط وصعـود التاريخ، فان أئمة الكفـر والضلال، هم الذين يصطفـون في مواجهـة أئمة الدين وقبيلـة الرحمة، وبالرغم مـن الموقع الزماني والمكانـي المختلف، فان كلهم، سـتكون لهم روح وروحيـة ثابتة وبالتالي عاقبة ثابتة أيضا.

وأول شـخص من بين جُـل الكائنات الانسـية والجنيـة، المتصف بصفة «المسـتكبر» وبالتالي يسـتحق اللعنة الإلهية الأبدية، هو **إبليس**، بحيث أن اللّه تعالى قال بشأنه في القرآن الكريم:

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائكَة اسْجُدُواْ لـآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»[٢]

وعلـى أثر هذا الإسـتكبار، كان جليا أن يطرد ابليـس من رحمة اللّه ويصبح رجيما ولعينا إلى الابد.

«قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»[٣]

وبعـد **إبليس**، يقدم القرآن جميع الذين ينقضون عهد اللّه المتعال ويفسـدون فـي الأرض ويمهـدون لضلال الناس، على أنهم من الذيـن لا ينالون رحمة اللّه، ويعتبرهم من الملعونين، بحيث قال تعالى:

«وَالَّذِيـنَ يَنقُضُـونَ عَهْدَ اللهِ من بَعْـدِ ميثَاقه وَيَقْطَعُونَ مَـا أَمَرَ اللهُ به أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الاَرْضِ أُوْلَئكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»[٤]

وفي الثقافة القرآنية، فان الذين يعرضون عمدا عن الحقائق الواضحة ويتنكرون لها بعدما تبين لهم البينات والهدى، فانهم سيكونون ممن تنالهم لعنة اللّه.

«إِنَّ الَّذِيـنَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

---

١. المصدر السابق، الآية ٣٣.
٢. سورة البقرة، الآية ٣٤.
٣. سورة ص، الآيتان ٧٧-٧٨.
٤. سورة الرعد، الآية ٢٥.

فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ»[١]

وفي الحقيقة، فان هذه الجماعة، وبعد اطلاعها على الحقائق وإتمام الحجة عليها من قبل الأنبياء الإلهيين والحجج السماويين، وبعد مشاهدة أدلة وحجج الكتب السماوية مارست العناد وتصدت لإرادة الباري تعالى، وأبدعت الفساد والضياع والضلال بين الناس وفي الأرض، لذلك إستحقت اللعنة وابتعدت بذلك عن رحمة اللّه.

ويصنف الباري تعالى الفئات الثلاث «الكفار» و «المشركون» و «المنافقون ومن يؤذون اللّه ورسوله» في خانة الملعونين. وفي هذه الأثناء هناك مجموعات وأصناف مختلفة من الناس، يمهد التعرف عليهم وتحديدهم، تجربة وتحديد سائر مصاديق الملعونين المنتشرين على مدى القرون والأعصار.

إن إبليس وفرعون و«اليهود» و «بني‌اسرائيل» و«أصحاب السبت»،[٢]

---

١. سورة البقرة، الآية ١٥٩.

٢. كانت جماعة من طائفة بني‌اسرائيل في عصر النبي داود عليه السلام تعيش بالقرب من ساحل «البحر الأحمر» في ميناء «أيلة» («تفسير الكشاف»، ج ١، ص ٣٥٥) وكان عليهم أن يتبعوا مذهب ابائهم واجدادهم وأن يتفرغوا يوم السبت لعبادة ربهم، وكانوا وفقا لدينهم، يحرمون الصيد يوم السبت. وسبب حرمة الصيد في يوم السبت بالنسبة لليهود يعود إلى أن اللّه تعالى طلب من اليهود بواسطة النبي موسى عليه السلام أن يكرموا ويعظموا يوم الجمعة، وأن يعرضوا في هذا اليوم عن الامور المادية والدنيوية ويهتموا بالأمور المعنوية والأخروية. لكن اليهود تمردوا على هذا الأمر الإلهي واختاروا الجمعة للعمل والسبت كعطلة، وكانوا يعتبرون السبت أعظم الايام. وبناء على ذلك، فان القهر والغضب الإلهي طالهم وحرم عليهم الصيد يوم السبت. (**المجلسي، محمّدباقر**، «بحار الأنوار»، بيروت، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣، ج ١٤، ص ٤٩).

وكان السمك يشكل السلعة الإستراتيجية لهذه المدينة، وكان معظم سكانها يقتاتون على صيد الأسماك. وبما أن اللّه أراد اختبارهم وابتلائهم، فاختبرهم بان تأتي أسماك البحر يوم السبت الذي كان يوم الأمان بأمر وإرادة من اللّه إلى شاطئ البحر وتملأ سطح الماء بحيث كان بوسع الصيادين صيد عدد كبير من الأسماك في فترة زمنية قصيرة وباقل جهد، لكن الأيام الاخرى لم تكن آمنة للأسماك وكانت تبتعد عن ساحل البحر وتغوص في أعماقه، بحيث كان يصعب صيدها: «**إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**» (سورة الأعراف، الآية ١٦٣).

لكن دافع الجشع والطمع تحرك لديهم وأذكى دأب النهم لدى مذنبي هذه القرية وغفلوا عن أوامر أنبيائهم. ونسوا ما كانوا قد سمعوه وأخذوا يتبادلون الرأي ووجهات النظر وقالوا: لماذا نترك الأسماك في اليوم الذي تظهر فيه بكثرة على سطح الماء وتهرع بأنفسها إلينا، ونصطادها في اليوم التالي الذي تهرب منا؟! ولذلك فقد احتالوا الحيل ليحللوا ما حرم اللّه عليهم، وصنعوا أحواضا وبركا بجانب البحر ليتمكنوا من جمع الأسماك في القنوات والأنهر الصغيرة المتعددة التي تصب في البحر. فانقسم أهل القرية إلى ثلاث فرق:

١. إنضم معظم أهل القرية إلى أصحاب البدعة والمحتالين وتعاونوا وتماشوا معهم؛

و«ناكثي العهد» و«الشجرة الملعونة»[1] و«المنافقين» و«أصحاب الجحيم» والمفسدين في الأرض وبعض آخر من الناس، منخرطون في زمرة الملعونين، ونزلت العديد من الآيات بشأنهم.

«**أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ**»[2]

وكأن التيارين الرئيسيين المتمثلين في«قبيلة الرحمة» و «قبيلة اللعنة» كانا ساريين في الكون والوجود طوال التاريخ ومنذ خلق **آدم أبي البشر**عليه السلام، وسيستمران حتى تأسيس الدولة المهدوية الكريمة، وبغير هذين، فان باقي الطوائف، مشت على الأرض في ظل انتقاء ودمج تعاليم وسيرة وسنة أهالي هاتين القبيلتين. وثمة مصاديق متعددة للثقافات والحضارات السابقة واللاحقة، كل منها، يعرض أوجها من التوجهات والإنطباعات والسنن والتقاليد الرحمانية أو الشيطانية لهاتين

---

٢. وكان ثمة من المؤمنين الذين ترسخ الإيمان في أعماق قلوبهم؛

٣. وثمة من لم يكن لهم موقف والتزموا الحياد.

والفئة الاولى التي كان يزداد عددها يوما بعد يوم، وقفت بوجه الناهين عن المنكر، واعتبرت مكرها ابتكارا وابتداعا وعملا جميلا، وقالت تبريرا لما تقترفه: إننا أطعنا أمر اللّه ولا نصطاد يوم السبت بل نصطاد في يوم الأحد. («تفسير البرهان»، ج ٢، ص ٤٢)، وبهذا لم تؤثر نصائح الفرقة المؤمنة عليهم وقررت هذه الفرقة بالتالي الهجرة حتى لا يطالها عذاب اللّه. وفي ليلة الهجرة نزل العذاب الإلهي على الآثمين العاصين: «**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ* فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**» وفي أعقاب هذا الأمر تحول جميع من تبقى في القرية، إلى قردة خاسئين («بحار الأنوار»، ص ٥٦، الرواية ١٣). وأغلقت بوابة قريتهم ولم يكن باستطاعة أحد الخروج منها. ومع سماع هذا الخبر، توافد سكان المدن والقرى الأخرى على هذه القرية، وتفرجوا من على أسوارها، الرجال والنساء المخادعين الذين تحولوا إلى قردة.

وقرر الوعاظ الذين هجروا القرية، العودة إليها. وتوجهوا إلى القردة الذين كانوا يشبهونهم وأصدقائهم وسألوهم: هل أنت فلان؟ وأومأ القرد الذي سئل مصدقا برأسه فيما كان الدمع ينهمر من عينيه. وأرسل اللّه تعالى بعد ثلاثة أيام، الرياح والأمطار العاتية التي أهلكت الجميع ولم يبق أحد ممن مسخوا في تلك القرية. (**عاشوري، زهراء**، «أصحاب السبت»، نامة جامعة، مرداد ١٣٨٥، العدد ٣٢، ص ٤٨، بتصرف وتلخيص).

١. وقد أرى اللّه تعالى، في عالم الرؤيا لنبيهصلى الله عليه وآله الشجرة الملعونة (القوم الملعونون والذين يؤذون النبي وأهل بيته) وجزء من أفعالهم وعندها بيّن لهم بان هذه فتنة. «**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**» واستنادا إلى الكثير من الروايات التي رواها أهل السنة، وكذلك جميع الأحاديث الواردة عن ائمة أهل البيتعليهم السلام، فان المراد من الرؤيا في هذه الآية، هي الرؤيا التي رآها النبي الأكرمصلى الله عليه وآله حول بني أمية وأن الشجرة الملعونة هي هذه السلالة والسلسلة. («تفسير الميزان»، ج ١٣، صص ١٣٨-١٤٠، توضيحا لآيتي سورة الأعراف ١٦٢ و ١٦٦؛ وسورة الإسراء، الآية ٦٠).

٢. سورة البقرة، الآية ١٥٩.

الطائفتين.

والمؤسف أن اتساع نطاق وعمق الإنتقائية والإندماج في هذه المجالات الثقافية والحضارية، ضيّق الخناق على إمكانية التعرف على مدى اختلاط كل من المستويات الثقافية والمادية للأمم وعلاقاتها وتعاملاتها مع هذين التيارين المتجذرين الرحماني والشيطاني. ولذلك، يبدو من الصعوبة بمكان التشخيص الشامل للمواقع والتناسب العملي والنظري لسكان الأرض مع المظاهر التامة للرحمة أو اللعنة لعامة الناس، ولابد لعامة سكان الشرق والغرب، أن يواصلوا رحلتهم المحفوفة بالمخاطر على مدار الظن في مشهد التاريخ.

ولا شك أنه في وقت الغربلة الكبرى للوقائع والحوادث المستقبلية وما بعدها في وقت الظهور الأكبر للإمام المبين عجل الله تعالى فرجه الشريف، تحدث إصطفافات دقيقة بين سكان الأرض وكل فئة تنضم إلى المجتمع الذي تنتمي إليه، إلى أن تقوم الدولة الكريمة الموعودة المنزهة عن أي بدع وهرطقات وإعوجاجات.

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن إجراءات الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقال عليه السلام:

«يَصْنَعُ ما صَنعَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله يَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ كَما هَدمَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله أمْرَ الجَاهليَّة ويَسْتأنفُ الاسْلامَ جَديداً.»[1]

إن هذا الكتاب القائم على إنطباعات وتوجهات الأديان التوحيدية تجاه العالم والانسان والتاريخ، بصدد الإعلان عن أن:

أولا: إن خلق الكون قائم على أساس علم وحكمة الخالق المتعال، وأن الانسان بوصفه أشرف الكائنات، قد خلق بهدف الوصول إلى مقصود ووجهة نبيلة وسامية؛

ثانيا: إن أول انسان أي النبي **آدم ابو البشر** عليه السلام (نعوذ بالله) لم يخلق جاهلا ومليئا بالخرافة والجهل، بل أنه بدأ رحلته في التاريخ بعلم واختيار كافيين وبأعتباره

١. **المجلسي، محمّدباقر**، «بحار الأنوار»، ج ٥٢، ص ٣٥٢.

حجة اللّه؛

ثالثـا: إن ما حـدث لأبناء وأحفاد وأجيال أول انسـان على امتداد الثقافات والحضارات وأدى إلى إنحرافهم عن الصراط المستقيم لحضرة الحق (زاخر بالعلم والحكمة ومنـزه عن الجهل والخرافة)، هو حصيلة عمل الشـيطان وحقده على الإنسان وموقعه ومقامه.

رابعا: إن التفاسير والتحليلات التي قدمها المؤرخون حول الثقافات والحضارات القديمة، هي نتيجة عدم إطلاعهم وغفلتهم عن وجود القوى الماورائية للشـياطين الجنية والعلـوم الغريبة التي كانت كافة الحضـارات والثقافات على علم واطلاع عليها وأصيبت بها.

إن هذه الكائنات المتمردة والحاقدة وانشـغال الأمم بالعلوم والفنون المرتبطة بهـا، أدى إلى إبتعـاد وانفصال الثقافات والحضارات عن قبيلة الرحمة (سـلالة الأنبياء والأوصياء الإلهيين) وأقحمهم في زمرة قبيلة الملعونين؛

خامسـا: وبالتالي فان السلسـلة الطويلة لقبيلة اللعنة، استمرت منذ أن جعلها وأبدعها إبليس الرجيم ولحد يومنا هذا، وتسـببت في تشـكل ونشـأة مجموعة «المحافل الخفية والسرية» (أكانت الماسونية أو الإيلومياتية و...).

إن هذه المحافل ورثت جملة تعاليم وتجارب وانطباعات أجدادها، لتتأسـى بـأول مطرود ورجيم (إبليس وأنصاره بين الشـياطين)، وتدخل في مواجهة دائمة مع مختاري قبيلة الرحمة لاسـيما حضرة خاتم الأوصياء المهدي الموعود روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفـداء، وتملأ الأرض ظلمة وعتمة وضياعا، وتقيم عليها الحكم الإستبدادي العالمي.

إن ما تتبناه هذه الرسالة هو:

١. تبيان مبادئ وأسس ومصادر فكر وعمل أهالي قبيلة اللعنة؛

٢. تبيـان علم كونيات وعلم عالم معلمي ومروجي توجهات قبيلة اللعنة تجاه الكون والوجود؛

٣. تبيان المنطلق والوجهة النهائية ومسـار وطريق هذه القبيلة منذ اليوم الأول وحتى خاتمة المطاف؛

٤. المنعطفات التي مـرت وتمر والتالية لهذه القبيلة وحتى الورود إلى الوقت المعلوم الموعود؛

«فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرين إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلوم»[١]

٥. تبيان مسار التطور التاريخي للمحافل الخفية والأوجه السياسية والإجتماعية لهذه المحافل في الغرب؛

٦. تقديم أشهر المحافل الخفية وصاحبة السلطة المؤثرة في عالم اليوم.

وقد ركز المؤلف جُل اهتمامه لتكون جميع المعطيات والتحليلات مسـتندة ومعتمدة على المصادر والمستندات والمراجع الموثوق بها والقابلة للإعتماد.

وأقدم هذا العمل كله إلى أفضل إنسان وأكثرهم تميزا من قبيلة الرحمة، حضرة محمد بن عبد الله ﷺ، وهو الذي قال الله تعالى بشأنه:

«ومَا أرْسَلناكَ إلاّ رَحْمَةً لِلعالَمين»[٢]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إسماعيل شفيعي سروستاني

شتاء ٢٠١٤

١. سورة الحجر، الآيتان ٣٧-٣٨. وطلب ابليس من الله أن يطيل في عمره ويستمر حتى يوم القيامة. واستجاب الله طلبه بحياة طويلة، لكنه ومع الإتيان بـ«إلى يوم الوقت المعلوم» رفض استمرارها حتى القيامة، لذلك فان حياة ابليس تنتهي قبل القيامة وفي وقت ظهور **إمام الزمان** عليه السلام.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

مقدمة الجزء الرابع

إن مفردة الأوليغارشـــية[1] هي مركبة من المفردتين اللاتينيتين Oligos وتعني القلة و Archos وتعنـــي القائد، وتطلق بصفة خاصة على النظام السياســـي الذي يحكم بطريقة غير ديمقراطية تعتمد على الثروة، ويعمل دائما على توفير مصالح جماعته.

وقـــد أحصـــى **أفلاطـــون** الأنماط الخمســـة للحكومـــات، وقال فـــي كتابه «الجمهورية»: **إن الدولة المثالية قد تتعرض للفساد على أربع مراحل.٢ ويرى أن الإنســـان المُحب للثروة، وعلى إثر ســـوء التربية وتكديـــس الثروة والمال واختراق الجشـــع لكيانه، تفســـد روحه تدريجيا ويسير على طريق الإنحطاط بسبب هذه الروحية الجشعة.**[3]

واعتبر **ارســـطو**، الأوليغارشية بانها حكم عدد من الأناس المتعجرفين والأثرياء والنوع الفاســـد لنظام الحكم **الأريســـتقراطي** الذي يحكم فيه الأثرياء غير العادلين والأريستقراطيين الفاسدين.[4]

ويقصد المؤلف من «الأوليغارشـــية اليهودية» هو مجموعة محدودة ومحددة

---

1. Oligarchy.

٢. **عالم، عبدالرحمن**، «تاريخ الفلســـفة السياســـية للغـــرب (من البداية وحتى القرون الوســـطى)»، طهران، وزارة الخارجية، مؤسسة الطباعة والنشر، الطبعة التاسعة، ١٣٨٤هـ .ش.، ص ٩٩.

٣. المصدر السابق، ص ٩٥.

٤. **بازارغاد، بهاء الدين**، «تاريخ الفلسفة السياسية»، طهران، زوار، الطبعة الرابعة، ١٣٥٩هـ .ش.، ج ١، ص ١٣٤.

من الأثرياء اليهود الذين تولوا قيادة اليهود في العالم على مرّ التاريخ. وحسبما يقول السيد **عبدالله شهبازي**، فان هذه الأوليغارشية هي أقدم وأكثر أقسام حكومة الأثرياء العالمية تناغما ونفوذا، وتتشكل من ثلاث مراحل رئيسية (الأريستقراطية الملكية الدينية لقبيلة يهوذا، والأوليغارشية الحاخامية وحكومة الأثرياء اليهود المعاصرين)، واضطلعت بدور محوري في التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم ومسار الهمينة العالمية للإستعمار الأوروبي.[١]

إن ما يتوخاه هذا الكتاب، هو شرح عملية تطور هذا النظام الفاسد والمُفسد على امتداد التاريخ، وتبيان طريقة تزوده بمجموعة من التعليمات غير الإلهية وغير التوراتية التلمودية (باسم الدين الحقيقي) وبالتالي، تدنسه بالعلوم الغريبة، والسحر والشعوذة في النظرية والتطبيق (الكابالا). ومجمل ما تم إغفاله أثناء دراسة مسار تطور الثقافة والحضارة الغربية وجميع العوامل والمسببات التي دفعت بالبشرية إلى هذا الوضع الرهيب لآخر الزمان، وأدت إلى عرض تحليلات واستنتاجات مغلوطة.

وقد وضع الكتاب في أربعة فصول، وتم فيه تتبع «الأوليغارشية الحاخامية» منذ عصر «تشتت» بني‌اسرائيل (بعد هجوم البابليين بين سائر الأمم والشعوب) وحتى الفترة المعاصرة، وتم توثيقها بالوثائق والمستندات.

إن كتابة وتوثيق هذا الموضوع يكتسي أهمية بالغة، وأنجز في إطار مجموعة كتب بعنوان «قبيلة اللعنة» (في منظور المؤلف) وحاجة الجيل المسلم الشاب الباحث عن العلم والمعرفة وبوسعه أن يمثل سُلما للإرتقاء بواسطته إلى المراتب العليا للبحث والدراسة في هذا المضمار. إن شاء الله.

١٦ اب / أغسطس ٢٠١٦ م.

١. «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، مؤسسة الدراسات والبحوث السياسية، الطبعة الأولى، ١٣٧٧، ص ١٧.

الفصل الأوّل

الأوليغارشية الحاخامية

العودة إلى «أورشليم»

إن هجوم **نبوخذ نصر** البابلي على اورشليم عام ٥٨٦ ق.م.، إستتبعه تدمير «بيت المقدس» ووقوع بني‌اسرائيل في الأسر، وبعد أن أمضى بنو اسرائيل سنين في الأسر والذل، عادوا إلى الأرض التي كانت قد هاجر منها جدهم الأعلى النبي **ابراهيم خليل الرحمن**عليه السلام. لكن عودتهم ترافت مع الذل والإنكسار.

وهذا الأسر وكما أسلفنا، جاء كنتيجة للذنوب التي اقترفها بنواسرائيل في حضرة الله المتعال. إن كلا من الأنبياء الالهيين بمن فيهم إرميا النبي، كانوا قد تنبأوا قبل سنوات من هذا، بوقوع هذا البلاء والعقاب السماوي، ونبهوا بشأنه. ويقول **إرميا النبي** في قسم من كتابه[1] على لسان الله:

... ومنذ أن أخرجت أجدادهم من «مصر» وإلى يومنا هذا، طلبت منهم مرارا ومؤكدا بان يطيعونني! لكنهم لم يطيعوا ولم يهتموا بأوامرى، بل ساروا على خطى أهوائهم وغرائزهم الطاغية وغير الطاهرة، إنهم وبهذا الفعل، ضربوا بعهدى عرض الحائط، لذلك طبقت بحقهم جميع العقوبات التى كانت قد وردت فى ذلك العهد... لكن الأوثان لن تتمكن إطلاقا من تخليص هؤلاء من هذه الكوارث. يا شعب يهوذا! إنكم تملكون أصناما بعدد مدنكم، ومذابح بعدد أزقة أورشليم، مذابح مخزية تحرقون البخور

١. كتاب **إرميا**، بعد الأسفار الخمسة، إحدى مجموعات كتب العهد العتيق (التوارة).

فيها من أجل صنم بعل! [...].[١]

وكان حزقيال النبي، بوصفه الضمير الحي لبني‌اسـرائيل، ينبههم باستمرار إلى اقتراب العذاب ويقول على لسان الله:

إضرب على رأسـك وصدرك بحزن وألم، وتأوه وتذمّر بسـبب شرور قومك، لانك سـتهلك قريبا بسـبب الحرب والمجاعـة والمرض. إن الذين يعيشون فى المنفى، سيموتون بسبب المرض، والذين يعيشون فى أرض بنى‌اسرائيل، سيلقون حتفهم فى الحرب، والذين سيبقون، سيبادون على إثر الحصار والجوع. وبذلك فانى سأصب جام غضبى عليهم... .[٢]

واسـتمرت فترة الأسـر العصيبة والمذلة لبني‌اسـرائيل لقرابة ٥٠ عاما. ومات خلالهـا الكثيرون، وتبدل جيل، وانتبه عدد من بني‌اسـرائيل، للجرم الذي اقترفوه والعقوبـة التـي نالوها، ودخلوا من باب التوبة والإنابة، ومذاك هب عليهم نسـيم التحرر والعودة.

ويقول مؤلف كتاب «اليهودية، دراسة تاريخية» حول ندم بني‌اسرائيل **إبان** فترة الأسر القاسية:

وعندمـا تأملـوا بتجاربهم الحزينة التى اعتبروها عقابـا إلهيا عادلا إزاء إعراضهـم عن الله، أدركوا تدريجيا أن مسـتقبلهم يتوقف على طاعة الله والإستسلام الكامل لمشيئته وكما تم تبيانه فى التوارة.

وفـى هـذه الحالة الزاخـرة بالعقوبـة والندم، إستسـلم النـاس لنصائح وتوجيهات حزقيال النبى الذى حفزهم وشجعهم من خلال بشائر البركات المعنوية والوعد بالعودة؛ كما أنه سـعى جاهـدا لإحياء أهمية التوراة فى أذهانهم من أجل رفاهيتهم وسعادتهم الفردية والجماعية.

وبعد حزقيال ظهرت سلسـلة طويلة من المعلمين الذى اشتهروا بالكتبة،

---

١. **بَعل** (Baal) هو إسـم صنم كان يعتبره الكنعانيون، إله الإخصاب والخصب والطوفان، وكانوا يعبدونه بوصفه كبير الأصنام وأكبر الآلهة.

٢. كتاب «حزقيال»، ٦:١٠-١١

وإكتسب التوراة تحت توجيهاتهم، موقعا محوريا فى الحياة الدينية للناس. وحلت المدرسة محل المعبد، والمعلم أو الكاتب محل الكاهن المسؤول عن القربان كما حلت الشعائر الدينية خاصة السبت والصلاة والصيام محل طقوس القربان. وفى هذه الفترة، وضع الحجر الأساس للكنيس[1] الذى كان يلبى إحتياجات المنفيين، من خلال الإجتماعات المنتظمة للتعليم والعبادة.[2]

وقد أنتهت حقبة الأسر عمليا عام ٥٣٨ ق.م. مع سقوط «بابل» والنصر الذي حققه **كوروش** الإخميني.

وفى عام ٥٣٨ ق.م. هاجم كوروش الكبير، بلاد بابل. وفتحها وحرّر بنىاسرائيل وساعدهم على العودة إلى وطنهم.[3]

وأعلن كوروش في مرسوم:

ويقول كوروش ملک فارس: إن يهوه، إله السماوات، قد منح جميع بلدان الأرض لى، وأمرنى أن أظهر له بيتا فى أورشليم الواقعة فى يهوذا. إذن من هو منكم، من جميع قومه ليكون إلهه معه؟ ليذهب مع أورشليم فى يهوذا ويُظهر بيت يهوه إله اسرائيل والإله الحقيقى فى أورشليم، وكل من بقى، فى أى مكان من الأماكن التى هو فيها غريب، ليعينه أهل ذلک المكان بالفضة والذهب والمال والماشية إضافة إلى الهدايا التى يتم التبرع بها من أجل بيت الله الواقع فى أورشليم.[4]

وعلى الفور وضع ۴۲۰۰۰ يهودى مؤمن، أمتعتهم على أكتافهم، وهموا بتوجيه من زربابل[5] ويوشع الكاهن، بالعودة إلى أرض أجدادهم.[6]

---

1. Syngogue.

٢. **ابستاين، إيزيدور**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ترجمة **بهزاد سالكي**، الطبعة الاولى، ١٣٥٨هـ .ش.، ص ٩٢.

٣. المصدر السابق، ص ٩٢.

٤. «الكتاب المقدّس»، جمعية توزيع الكتب المقدّسه، ١٩٧٨م.، كتاب عَزرا، الباب الأوّل، الآيات ٤-١.

5. Zerubabel.

٦. **ابستاين، إيزيدور**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ص ٩٢.

وقد أعلن كتاب «عزرا» بان عددالعائدين بلغ ٤٢٣٦٠ شخصا.[١] وتعود أول رواية تاريخية لتواجد اليهود في جغرافيا ايران، إلى الأعوام من ٧٤١ إلى ٧٤٩ أو ٧٣٢ قبل الميلاد، إذ وقع نحو ٦٠ ألف اسـرائيلي في الأسـر على إثر هجمات ملك اشور. وهجروا إلى «غيلعاد (جلعاد) دماوند».[٢]

ومذاك وحتى مجئ **كوروش** الإخميني الذي مهد لتحرير بني‌اسـرائيل من أسر بابل وعودتهم مجددا إلى أورشـليم، أتيح لهؤلاء القوم مجالا للتواجد الواسـع في ايران وبلاط الملوك الإخمينيين.

وبعد كوروش، وفي عهد سلطنة **داريوش** وإبنه **خشايارشاه** وبالتالي **أردشير الثاني**، كان كبار رجالات بني‌اسرائيل يترددون على بلاط الملوك.

ولذلك نرى أن الكتاب المقدس لليهود يذكر بخير الملوك الإخمينيين لاسيما كوروش ويقدسه.

وقد قدم الكتاب المقدس، كوروش هكذا ويضفى عليه قدسية:

ويقول الله: إنى أقول بشـأن كوروش: إنه راعيى، وسيكمل كل أفراحى ومسـراتى. إنه سيبنى مدينتى وسيحرر أسـراى؛ لكن لا مقابل ثمن ولا مقابل هدية.

إن كوروش هو الإنسـان الذى اعتبره الله فى الكتاب المقدس لليهود بانه صقر ورسوله ومكلف بنشر العدل فى العالم.

وتأتي المصادر التوراتية بصفـة خاصة على ذكر تحرير اليهود ورفدهم للعودة وإعادة بناء معبد اورشليم:

إن تحرير الشـعب اليهودى على يد كوروش ترافق مع إيعازه لبناء بيت الله وإعداد مواد بنائه. وقد أمر ميتردات أمين الخزانة بجمع جميع أدوات الزينـة والأوانى الذهبية والفضية الثمينة لبيته والتى نقلها نبوخذنصر من

١. «الكتاب المقدّس»، الباب ٢، الآية ٦٤.

٢. **لوى، جيب**، «تاريخ الشعب اليهودي»، مكتبة يهود ايروخيم، طهران، ١٣٣٤، ج ١، ص ٨٨.

«اورشليم» إلى «بابل»، أينما كانت ويسلمها[1] لششبصر.[2]

وبعد **داريوش الثاني**، سعى إبنه **أردشير** لدعوة كبار رجالات اليهود لبلاطه. وقد حاول **عزرا**، العالم ورجل القانون اليهودي وكذلك **نحميا** «محب أرض اسرائيل» والسياسي اليهودي الكبير، وهما المؤسسان لوحدة الشعب اليهودي، حاولا في بلاط أردشير تغيير الوضع السياسي والاجتماعي. وتمت في هذه الحقبة الهجرة اليهودية الكبرى بأمر من الملك وبدعم من عزرا ونحميا، وجاء في جانب من كتاب عزرا في الباب السابع:

من «اَرتَحشَشتاه» الملک إلى عزرا الكاهن والكاتب الكامل لشريعة إله السماء؛ أما بعد، لقد أصدرت أمرا بان يذهب كل من أفراد قوم اسرائيل والكهنة واللاويين الذين هم فى سلطنتى ويرغبون بالذهاب معک إلى أورشليم، لانک مُرسل من قبل الملک ومساعديه لتتفقد أوضاع اليهود واورشليم حسب شريعة الله التى هى بيدک وتنقل الذهب والفضة التى وهبها الملک ومساعديه لإله اسرائيل الذى يسكن فى اورشليم.

وكان نحميا في الحقيقة، ممثل أردشير الأول والذي نُصب حاكما لاورشليم (۴۴۴ ق. م.).[3]

جدير ذكره، أن الزمن استغرق، إثنين وتسعين عاما، منذ عودة زربابل الذي كان أول قافلة تعود من الأسر عام ۵۳۶ ق.م. أي في عهد كوروش الإخميني وحتى عودة نحميا عام ۴۴۴ ق.م. أي القافلة الثالثة والأخيرة للعودة.[4]

وبعد عودة بنى‌اسرائيل وفى ظل مواكبة وتأكيد أنبياء مثل «حجّى»[5]

---

١. **قائمي، محمّد**، «الإخمينيون في التوراة»، مطبعة نشاط اصفهاني، الطبعة الاولى، ١٣٤٩هـ .ش.، ص ١٣٧؛ «كتاب عزرا»، الفصل ١.

2. Sheshbazzar

٣. **بوليس، مرى**، «تاريخ الديانة الزرادشتية، الإخمينيون»، ترجمة **همايون صنعتي زاده**، توس للنشر، الطبعة الاوبل، ١٣٧٥هـ .ش.، ج ٢، ص ٢٧٧.

٤. **نويهض، عجاج**، «بروتوكولات حكماء صهيون»، ترجمة **حميد رضا شيخي**، مشهد، الروضة المقدسة، ١٣٧٣هـ .ش، ص ٥٢٨.

5. Haggai.

وزكريا،[1] فى الإسـراع بإعادة بناء المعبد وموقع إحتشاد بنىاسرائيل فى أقل فترة زمنية ممكنـة، أقدموا على إعادة بناء المعبد. وقد حصل ذلك عام ٥١٦ ق.م. وعلى وجه الدقة بسـبعين عاما بعد تدميره، وشـيّد معبد جديد وفخم على أنقاض المعبد القديم.[2]

العصر الحديث، منعطف في تاريخ بنياسرائيل

وفي هذا العصر، طرأ تغير كبير على ديانة بنياسـرائيل، بما في ذلك وحسبما يقول مؤلف «التاريخ الشامل للأديان»:

إن يهود عصر عزرا الكاتب، أوجدوا ديانة جديدة وشريعة حديثة أطلقوا عليها إسـم «الديـن اليهودى» وذلك على قاعـدة الديانة اليهودية قبل السـبى البابلـى والتى كانت تعرف لـدى الباحثين بديانة بنىاسـرائيل. وبالرغـم مـن أن زمام الأمور وقع بيـد الكهنة والأحبـار، لكن كتابهم المقدس كان نفسـه قانون موسـى (التوراة) وبرز إهتمام خاص بالحلال والحـرام والنجس والطاهر فى الدين. وقد طردوا نسـاءهم الأجانب مع الأطفال ومذاك حرموا بشـكل مؤكد الزواج مـن غير العنصر اليهودى، ووضعوا عقوبة الحرمان مـن الحقوق الاجتماعية للمخالف لذلك، ومنذ ذلـك الحين، ثبّـت اليهود مراحل وحدتهـم القومية والعرقية بواسـطة الدين.[3]

ويمكـن إعتبار العصـر الحديث الذي اسـتحدث بعد السـبي، واحد من المنعطفـات المهمة لتاريخ اليهود؛ العصر الذي حقق فيه الكهنة سـيادة ملفتة، وتولـدت بجانب النظام الديني الجديد والمسـتحدث، نصـوص دينية جديدة

1. Zecharia.

٢. **إيزيدور ابستاين**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ص ٩٣.

٣. **بى.ناس، جان**، «التاريخ الشامل للأديان»، ترجمة **علي اصغر حكمت**، إصدار مؤسسة الثورة الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٣٧٠هـ .ش.، ص ٥٣٨.

كذلك.

وفي هذا العصر، تأسست «الجمعية الكبرى» أو «سنهدرين»،[١] بوصفها مجمعا يتكون من واحد وسبعين عضوا من حكماء اليهود. وكان هذا المجلس يتولى مهمة التشريع والقضاء بين بني‌اسرائيل وتفسير وتعليم «التوراة"، كما نشطت إضافة إليه مجامع أصغر في المدن الاخرى لمعالجة شؤون الناس قانونيا ودينيا.

وكان على رأس هذا المجلس الحكومي الذي عرف لاحقا بالسنهدرين، إثنان من المعلمين المعروفين بـ زوغوت[٢]، أحدهما كان يدعى ناسي[٣] (الأمير) والاخر اب بت دين[٤] (رئيس المحكمة).[٥]

ومنذ ذلك فصاعدا، أصبح ناسي مرجعا رئيسيا في الشؤون المدنية واب بت دين مرجعا رئيسيا في الشؤون الدينية. ومع ذلك

وفي التحليل الكلي، فان السلطة الحقيقية كانت ماتزال بيد الكاهن الأعظم الذى كان يتمتع إبان حكم الملوك السلوقيين، بذات الحقوق والإختصاصات والصلاحيات التى منحها الملوك الساسانيون لهذا المنصب.[٦]

وفيما يخص السنهدرين أو أعلى مجمع ديني يهودي، ما يلفت النظر هو:

إن سنهدرين وفيما يتعلق ب «حكماء صهيون» عصرنا هذا، يحظى بأهمية خفية للغاية. وحتى يمكن القول أن حكماء صهيون وسنهدرين، رديفان لاحدهما الاخر ويتمتعان بنفس المفهوم.[٧]

---

١. وتتلفظ أيضا سنهدريم و سنحدرين. وهذه المفردة أصلها يوناني وتعني المقعد أو موقع الجلوس. وبما أن سينودس أو المجمع الأعلى وجد أيام خلفاء الاسكندر – البطالسة في مصر والسلوقيين في سورية، فقد أضفى اليهود صيغة عبرية على هذه المفردة؛ بحيث تبدو وكأن جذورها عبرية، في حين أن الأمر ليس كذلك. (**نويهض، عجاج**، «بروتوكولات حكماء صهيون»، ص ٥٥٧).

2. Zuggoth.

3. Nasi.

4. Ab Beth Din.

٥. **ابستاين، إيزيدور**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ص ١٠٤.

٦. المصدر السابق.

٧. **نويهض، عجاج**، «بروتوكولات حكماء صهيون»، ص ٥٥٧.

ويقول **كُهِن** مؤلف كتاب «كنز من التلمود» حول سنهدرين:

وتقول البحوث التاريخية الحديثة بان السنهدرين، كان بداية مجمعا يتكون من الكهنة والعلمانيين، ومن ثم انقسم أعضاؤه لاحقا على إثر التباين فى الرأى، وأوجدوا حزبين. وسلك الكهنة طريقا يتمشى مع فكر هلنى. رغم أن هذا الطريق لم يأت منسجما ومتناغما مع الإخلاص التام قبال التوراة. وكان العلمانيون من جيل عزرا الكاتب.

إن هذا الإنقسام والتشعب، كان يتسع نطاقه يوما بعد يوم إلى أن أفضى إلى نشأة حزبين يهوديين كبيرين هما «الصدوقيون» و «الفريسيون». وقد وقف الفريسيون ومعهم «عشاريم» بوجه المسيح، وورد ذكرهم فى «الأناجيل».

ويقول **كُهن** حول هذين الحزبين:

وأحد التباينات بين هذين الحزبين والذى يكتسى أهمية فى تاريخ اليهود، هو أن الفريسيين أتوا بأوامر ونواهى وأحكام للناس كانوا قد ورثوها من أسلافهم؛ لكن هذه الأحكام والأوامر والنواهى لم تكن مكتوبة ومدونة فى شريعة موسى. وقد عارض الصدوقيون، الفريسيين، فى هذا المجال وقالوا: «إننا مكلفون مراعاة ما ورد فى النص المكتوب فحسب ولا نتبع السنن الشفهية الموروثة عن الآباء والأجداد.» وهذا الأمر أدى إلى إندلاع خلاف حاد بين هاتين المجموعتين.

ويواصل كهن القول:

إن هذا الصراع حول صحة «التوارة» الشفهية، دفع بالمدافعين عن هذا الرأى للبحث والدراسة حول التوراة بشكل دقيق. وتوصلوا إلى أن التوارة السماعية والشفهية، هى مكمل للتوراة، لان مصدر كليهما، و احد. وقد فتح هذا الصراع الباب على نشأة ونمو التلمود.[١]

١. **نويهض، عجاج**، «بروتوكولات حكماء صهيون»، صص ٥٦٠-٥٦١.

إنتشار الطوائف المخاتلة

إن عامة الأمم والديانات الإبراهيمية، أصيبت بسبب الإبتعاد عن الأنبياء والاوصياء الالهيين بالإنقسام إلى الفرق والمجموعات الدينية والإجتماعية. وهذا الشئ وفي ظل تمازج واختلاط الأفكار الوحيانية بالأهواء النفسـاية، أدى إلى تراخي واهتزاز الأعمدة العقائدية لأنصار هذه الديانات، وبالتالي تحريفها وانحطاطها.

ولم يبق المسـلمون والمسـيحيون واليهود بمنأى عن ذلك، واحتوى كل من منهـم على فرق بداخله. وبعد حادثة **السـبي البابلي**، فان تشـتت الأفكار والآراء وتقديم معان ومفاهيم مختلفة عن التعاليم الدينية، جعل بني‌اسـرائيل أكثر جهوزية لتقبـل الفرق الدينية المختلفة. وكان بعض هذه الفرق كثير الأتباع والبعض الاخر منها قليل الأتباع.

ويستند مؤلف كتاب «اليهودية ودراسة تاريخية» إلى المصادر القديمة ليقول بوجود أربع وعشـرين طائفة في حقبة الخـراب الأول لمعبد اليهود (ص ١٣٢). ومعظم هذه الفرق[1] نشأ بعد العودة من «بابل».

---

١. وقبل هذا تمت الإشارة بشكل مقتضب إلى بعض هذه الفرق في مقال «الثقافة المعبدية وأسباط بني‌اسرائيل» وذلكب بسبب ضرورة ومقتضيات الموضوع.

١. الصدوقيون[١]

ويعود إسم هذه الطائفة إلى «صادق بين اخيطوب» الذى جعله داوود عليه السلام رئيس الكهنة.[٢] وبقى هذا المنصب لصادق فى عهد النبى سليمان عليه السلام أيضا.[٣]

وكان الصدوقيون يولون أهمية خاصة لتقديم القربان بدلا من الصلاة. وقد نشأ الكثير من كهنة «هيكل سليمان» وحاخامات «سنهدرين» من هذه الطائفة. وكانت علاقاتهم جيدة مع ولاة الروم.

وكان الصدوقيون يرون أنه لزاما عليهم الحفاظ على التقاليد الماضية، وكانوا يعارضون التفسير بالرأى الذى يقدمه الفريسيون وكذلك آداب وتقاليد الفريسيين. فكانوا يقولون بجسمية الله وأن القرابين والهدايا التى نقدمها فى سبيل الله، تشبه الأشياء التى تقدم لملك أو حاكم بشرى.

وكان الصدوقيون ينكرون قيامة الأموات والإيمان بالحياة الأبدية، ويظنون أن مكافأة العمل الطيب وعقاب العمل السئ يعطيان فى هذه الدنيا، وكانوا يؤمنون بالإختيار المطلق فيما يخص الإرادة الانسانية.

وكان الصدوقيون شأنهم شأن الفريسيين، يعارضون السيد المسيح عليه السلام، وقد ورد إسمهم مرارا وتكرارا فى «الأناجيل الأربعة». وبعد خراب أورشليم عام ٧٠ للميلاد، لم يتبق أثر عن هذه الطائفة.[٤]

ويمكن الإقرار بان هذه الطائفة أرسيت على يد المتنورين من ذي النزعة اليونانية، ومن مجمل «الديانة الموسوية» آمنوا بنبوة موسى عليه السلام فحسب، وأنكروا سائر الأنبياء والكتب.

---

1. Saducess.

٢. الكتاب الثاني لصموئيل ١٥: ٢٤.

٣. كتاب الملوك الأول ٢: ٣٤.

٤. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الديانات الكبرى»، طهران، مؤسسة دراسة وتأليف كتب العلوم الانسانية، ١٣٧٩هـ .ش.، ص ٩٦

۲. الفريسيون[1]

وتعنى مفردة الفريسى فى العبرية، المعتزلة. وهذا اللقب يدل على العزلة والإمتياز. وقد تأسست هذه الطائفة بقرنين قبل الميلاد ومعظم اليهود فى الوقت الحاضر هم من هذه الطائفة. ويعود أصل هذه الطائفة إلى فرقة «الحسيديم» (وتعنى الزهاد). وقد تأسست فرقة الحسيدية بثلاثة أو أربعة قرون قبل الميلاد لإمحاء تبعات وترسبات عبادة الأوثان والإنحراف بين اليهود. وشاركوا فى حروب «المكابيين» وضحوا من أجل الدين وقدموا شهداء. وخرج الفريسيون من الحسيديين، بقرن واحد قبل الميلاد. وكانوا فى تضاد وتناقض مع الصدوقيين فكريا. وكانت هذه الطائفة تنزه الله من الجسد والصفات الجسدية. وانتهجت الوسطية من حيث إرادة الإنسان الحرة، ويؤمنون بقيامة الموت ومحكمة العدل الالهية، ويولون اهتماما لعبادات من قبيل الصلاة وغيرها... .

وكان الفريسيون وإضافة إلى العهد العتيق الذى كان يسمى «التوراة المكتوبة» يؤمنون بالتوراة الشفهية أيضا. والتوراة الشفهية هى الأقوال المأثورة لحكماء اليهود الذين كانوا يؤمنون بانها بقيت للشعب اليهودى منذ عهد النبى موسى عليه السلام جيلا بعد جيل. وتم جمع هذه الأقوال فى الفترة الكائنة بين القرن الثانى والقرن الخامس للميلاد فى كتاب ضخم جدا يدعى «التلمود» الذى شكل الحجر الأساس لفكر ومعتقد بنى‌اسرائيل.[2]

وكان **الفريسيون**، خاضعين متواضعين أمام تعليمات الحاخامات ويتحاشون أي نقاش في حضرتهم. وقد وقف الفريسيون أي المعتزلة بوجه الميول اليونانية للصدوقيين وأصروا بقوة وعزيمة لا تلين على تطبيق الشريعة الموسوية. وبذل رجال

1. Pharisees

٢. المصدر السابق، ص ٩٥.

الدين الفريسيون قصارى جهدهم من أجل تحذير اليهود من الإيمان بالمعتقدات الفلسفية الغريبة.

ويقول مؤلف كتاب «تاريخ الفكر الاجتماعي» بشأن أوجه الإشتراك والإفتراق بين الطائفتين الصدوقية والفريسية:

الصدوقيون والسينيون[1] والفريسيون وطائفة زى لات؛[2] وكان الصدوقيون مولعين بالثقافة اليونانية والرومانية، وكان معظمهم من الشرائح العليا فى المجتمع الحضرى منهم رجال الدين من أصحاب المناصب العليا والأثرياء الكبار. وكانوا محافظين فى معتقداتهم الدينية ويتصرفون وفقا للنص الصريح للشريعة. وكانوا يُعرضون عن تفاسير الفريسيين، ولا يؤمنون بمفهوم القيامة الذى استحدث مع ترك ميش بت [التقليد القديم] القبلى البسيط. ويسيرون فى الأمور التى لا علاقة لها مباشرة بالشريعة، على النهج اليونانى. ولا يملكون نفوذا لدى الناس العاديين ولا يوافقون على نهضة اليهود. ولهم ضلع فى السياسة وراضون عن الوضع القائم ويسعون لإقامة علاقات ودية مع الروم والإنتفاع بها.

واعتبروا الأسينيين، وجها متطرفا للفريسيين، لكن الأفضل أن نعتبر مثل «يوسيفوس»[3] هذه الفرقة بانها فيثاغورس الرواقيين اليهود والمتأثرين بالنزعة اليونانية. وكانوا يصرون على طهارة الجسم، ويحترمون الحياة البتولية دون زواج، ويرتدون الثياب البيضاء ويتحاشون أداء القسم وتقديم الذبائح. وكانوا يصلون مع شروق الشمس، ويرون أن الروح مستقلة عن الجسد وكانت قبله، وستكون بعده أيضا.

وأحجموا عن التجارة ونظام الرق والحرب والقتل. ويرى بعض المؤرخين، أنهم كانوا يتشاركون فى الأموال والممتلكات ويأكلون من

1. Essones
2. Zealots
3. Josephus.

طعام مشترک. وقد تأثر بهم عسى(ع) على الأرجح.

وكانت الطائفة الفريسية إدامة الحسديم أو زهاد عصر المكابيين. وكانوا يمارسون التعصب فى مراعاة الكتاب المقدس والتقاليد الدينية. وكانت حياة الفريسيين حافلة بالتقيد والقانون. ويتطلعون إلى ظهور المسيح أو المنقذ الكبير الذى سيأتى بدعوة من يهوه ويخلص اليهود من الذل والهوان. ويؤمنون بان التمسک بالتقاليد والمراسيم الدينية، يعجل من ظهور المسيح. ولا يتدخلون فى السياسة بل يهتمون بأفكارهم وأفعالهم الدينية فحسب. إن الأمل بظهور المنقذ، يؤدى إلى رواج وانتشار هذه الطائفة بين الناس؛ لكن مراسيمها وطقوسها القاسية، تلقى إحتجاجا من لدن عيسى. وطائفة «زى لات» تتكون من القرويين والفقراء الحضريين، واعتبرت شأنها شأن الأسينيين، بانها ضمن طائفة الفريسيين. أناس متحمسون يلجأون إلى القوة فى مواجهة العدو والعقبات. ويريدون فقط طاعة الله وعدم الخضوع والخنوع لاى بشر كان.

ويحتقرون كل فرد ومجموعة لا تنتمى إليهم، وهم جاهزون للتضحية فى سبيل المسيح الموعود. وليست هناک فرقة ومجموعة فى مدينة «الجليل» تضاهيهم. وقد نهض هؤلاء لمؤازرة ونصرة عيسى(ع).[1]

وكان «الفريسيون» أثناء بعثة النبي عيسى(ع) في حرب وصراع معه وأنصاره، وفي النهاية، وجه الكهنة الفريسيون تهمة لعيسى(ع) تمهيدا لصدور فتوى بقتله. واستمر نفوذ الفريسيين حتى عام ١٣٥ للميلاد. إن التعصب والخلافات بين الفريسيين والصدوقيين أدى زوال التماسك السياسي والديني لليهود.

وماعدا ذلک، ظهرت طوائف كثيرة فى فلسطين إلى ما قبل ظهور عيسى(ع) وكانت هذه الطوائف تختلف فيما بينها فى بعض الموضوعات

---

١. **وبكر، بارنز**، «تاريخ الفكر الإجتماعي»، ترجمة **جواد ابوسفيان – علي اصغر مجيدي**، مؤسسة أمير كبير للنشر، ١٣٧٠هـ .ش.، صص ٢٧١-٢٧٢

اللاهوتيـة أو التوجهات الاجتماعية والسياسـية. وكان البعض منها مثل «السـامريون» يؤمنون بخمسـة «أسـفار من التوراة» فحسب ويقبلون بكتاب يوشـع ويرفضـون ثلاثة وثلاثين كتابا اخر مـن «العهد العتيق». وولدت طوائف أخرى بما فيها «الأسـينيون» بقرنين قبل الميلاد وزالت مع خراب «أورشليم».[١]

٣. الأسينيون Essenes

وكانت هذه الفرقة التي اتخذت نظاما نسكيا خاصا، حصيلة عصر فاقة اليهود وسبيهم.

إن كلمة «الأسـينى» مشـتقة من مفردة اسـيا الآراميـة، وتعنى الطبيب والمعالـج... وكان الأسـينيون على ما يبدو فرعا متطرفا من الفريسـيين وقريبيـن منهم من الناحية العقائدية. ويتضح هـذا لكونهم كانوا بعيدين عـن اليهودية بوصفها الدين القائم على طقـوس الذبيحة التابعة للهيكل المقدس [على غرار الصدوقيين]. وكان الأسـينيون يؤمنون بخلود الروح والثواب والعقاب، ويرفضون نظام الرق والملكية الفردية وحتى التجارة. وكانوا على النقيض من الفريسـيين، قد اعتزلـوا الحياة العامة بالكامل... وكان الأسـينيون يعتمدون فى معيشـتهم على ما يزرعونه من الحبوب والفاكهـه وكانـوا يأكلون ما يزرعونـه هم فقط. وكانـوا يحرمون ذبح الحيوانات، ولذلک فانهم كانـوا يقدمون النباتات كنذر للهيكل. وكانوا أو معظمهـم على الأقل يعزفون عن الزواج. وقد انقرض الأسـينيون فى مطلع القرن الأول للميلاد (٦٨ م) بالكامل.

وكان الفكر الأسينى قد اقتبس من فكر «الهيلينية» وأفكار «فيثاغورس»

١. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الديانات الكبرى»، ص ٩٧.

والرؤى «البراهمانية» و «البوذية».[1]

وكانت أفكار هذه الطائفة المعتزلة التي عاشت حياة زهد وتنسك، قريبة إلى الرهبانية المسيحية التي ظهرت في الحقبة اللاحقة مع بعثة النبي عيسى عليه السلام.

ويقال أن المسيحية القديمة كانت قد تأثرت بهم أيضا.[2]

۴. السامريون[3]

والسامريون هم طائفة أخرى من الطوائف اليهودية. وقد اشتقت هذه التسمية من منطقة تدعى «سامرة». وتحولت هذه المنطقة بعد تقسيم فلسطين إلى مركز لاسرائيل، وكان حاضرة البلاد بعد النبى سليمان عليه السلام. وقد ظهرت هذه الفرقة بعد العودة من السبى البابلى ويرى البعض أن عرقهم ليس إسرائيليا وهم على الأرجح خليط من الإسرائيليين والاشوريين.[4]

والسامرى هى معربة لمفردة شوميرون وتعنى سكان السامرية.[5]

والكتاب المقدس للسامريين هو الأسفار الموسوية الخمسة ويُضاف إليها أحيانا سفر يشوع بن نون. وفى رأيهم فان هذا السفر قد نزل من لدن الله. ولم يؤمنوا بانبياء اليهود وكتب «العهد العتيق". والأسفار الموسوية الخمسة التى يؤمنون بها تختلف مع الأسفار الموجودة فى ستة آلاف موقع تقريبا...

وكان السامريون يرون بان اليهودية الحاخامية هى بدعة وانحراف وقد أضاف القادة الدينيون اليهود، موضوعات إلى «التوارة» وحرفوا

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ترجمة مؤسّسة دراسات وبحوث تاريخ الشرق الاوسط، ترجمة أمانة المؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة الفلسطينية، ١٣٨٣هـ .ش.، ج ٥، صص ٣٥٤-٣٥٥.

٢. المصدر السابق، ص ٣٥٥.

3. Samaritanss.

٤. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الديانات الكبرى»، ص ٩٧.

٥. **المسيري، عبدالوهّاب** ، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ص ٣٤٨.

النصوص لكى تكون متناسقة ومتناغمة مع آرائهم وأفكارهم.
وقد انقرض السامريون تقريبا. ويعدون فى الحقيقة أصغر طائفة دينية فى العالم، ولا يتجاوز عددهم الخمسمائة نسمة.
ويعيش بعضهم فى «نابلس» والبعض الاخر فى «حولون» (ضاحية تل أبيب).[1]

ومن الطوائف والفرق اليهودية الاخرى، يمكن الإشارة إلى «القراؤون» و«الغيورون» (قنائيم)[2] و «حملة الخناجر (السكاري)»[3] و«الفقراء (الإبيونيون)»[4] و «الدونمة» و... .

١. **المسيري، عبدالوهّاب** ، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ص ٣٤٩.
2. Zealots.
3. Sicarit.
4. Ebionites.

الأوليغارشية الحاخامية[1] والتلمود

وكان مجمع «سنهدرين» يُدار بداية على يد الكهنة الصدوقيين، لكن وبعد تنامي سلطة وقوة «الفريسيين» وتحسن موقعهم الإجتماعي، انقسمت إدارة السنهدرين شيئا فشيئا بين المجموعتين، وبعد فترة، إصبحت بالكامل بيد الفريسيين. وهذا الحدث، شكل بداية لنشأة ظاهرة تدعى «الأوليغارشية الحاخامية» وبلغت هذه المجموعة الصغيرة من الحكام الأثرياء من السلطة درجة، إستطاعت فيها محاكمة نبي إلهي (**النبي عيسى**عليه السلام) وإدانته بالإعدام.

وتفرض هذه الفرقة سيادتها على سنهدرين حتى الوقت الحاضر، وينتمي الاريستقراطيون والأثرياء اليهود في الغالب إلى هذه الطائفة. وقد أرسوا للمرة الاولى سنة تأويل وتفسير التوراة وشكلوا فصولا للتدريس، لتنشئة مجموعة غفيرة من التلامذة والمدراء كان يطلق عليهم إسم ربّي. وتعني ربّي، الكبير وهي على

---

١. **الحاخام** (الفقهاء، Rabbis)، وهي مفردة عبرية تعني الرجل الحكيم. وكان هذا المصطلح يطلق على مجموعة من المعلمين الفريسيين (حاخاميم). لكن مفردة راباي باللغة العبرية للتوراة، تعني الكبير. وتستخدم مع مفردة الرب ذات الجذور السامية والتي تعني زعيم أو وصي الاخرين وفي اللغة العربية تستخدم بنفس المعنى وبمعنى الصاحب والمالك (رب البيت). ومع ذلك، فان هذه المفردة لم ترد في التوراة...

وتطلق الحاخام أيضا على رجل الدين اليهودي الذي شأنه شأن فقهاء اليهود السابقين الذين كانوا يعملون في مجال الإشراف على إقامة الصلوات في المعبد اليهودي، وكذلك تفسير التوراة والإفتاء. وكان هؤلاء يتولون في الكثير من الحالات أيضا مهام مثل تمشية الشؤون الدنيوية بما فيها جباية الضرائب والإشراف على تطبيق تعليمات الحكومة. (**المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ١٥٩).

النقيض من الغلام.

وفى الأدب الدينى اليهودى، يطلق الحاخام على الربانيين البارزين الذين يقعون فى قمة هرم رجال الدين الفريسيين، فيما يتكون جسم هذا الهرم من طلبة العلوم الدينية الذين يطلق عليهم إسم التلميذ. وكان تراث وتقليد هذه الهيكلية ينتقلان عن طريق الروايات الشفهية لموسى عليه السلام، إذ كان الربانيون ينقلونها، إلا أن هذه الروايات كانت تفتقد إلى أى سند وجذور يمكن تتبعها. وقد باشر الربيون بناء على ذلك باستخراج الأحكام الفقهية والحقوقية من هذه الروايات. ومن ثم صاغوا هذه الروايات والأحكام فى كتاب، إنبثق منه بداية كتاب «ميشنا» ومن ثم كتاب «التلمود».

ومن الناحية اللغوية، فان كلمة التلمود تعنى التعليم ومشتقة من الفعل العبرى الثلاثى لَمد (أى عَلّم)وترتبط بمفردة التلميذ ومشتقاتها التى هى رباعية فى اللغة العربية. ويطلق التلمود على كتاب كبير للغاية يتضمن أحاديث وأحكام اليهود.[١]

وبعدالتوراة، فان التلمود يعد من أهم الكتب الدينية لليهود والثمرة الرئيسية للشريعة الشفهية. إن التلمود فى الحقيقة هو تفسير الحاخامات اليهود عن الشريعة المكتوبة (التوراة). وبما أن أقوال علماء التلمود تعد بمنزلة الوحى الإلهى الذى يأتى به روح القدس (روح هاقودش)، فان التلمود يعد مقدسا أيضا وأن الشريعة الشفهية تملك قيمة متكافئة مع الشريعة المكتوبة.[٢]

أولى بذور التلمود

لقد بدأ عهد حكم الكهنة بعد السبي البابلي ومنذ زمن عزرا. وفيما يخص

١. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الديانات الكبرى»، ص ١٠٣.
٢. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ١٣١.

مهام الكهنة وتأسيس نظام حكمهم، ورد في كتابي «عزرا» و«نحميا»:

لقد كان عزرا من علماء الدين اليهود، وملما بكتاب «التوراة» الذى منحه الله لقوم اسـرائيل بواسطة موسى. وكان أردشير الملك، يعطى لعزرا كل مـا يريـده، لان الله كان معه. وقـد غادر عزرا بابل وتوجه برفقة حشـد من اليهود والكهنة واللاويين والعازفين والحراس وسـدنة بيت الله إلى اورشـليم. وقد انطلق هؤلاء فى اليوم الأول من السـنة السابعة لسلطنة أردشـير من بابل ووصلوا بعون الله إلى أورشـليم فـى اليوم الأول من الشـهر الخامس لتلك السنة. وكرس عزرا حياته لدراسة التوراة وتطبيق تعاليمه وتعليم أحكامه لشعب اسرائيل.[١]

ويجب إعتبار عزرا مؤسـس حكم الكهنة والشخس الذي أرسى حقبة جديدة من تاريخ بنياسرائيل. ويقول كاتب يهودي حول مقام وموقع عزرا:

ويقـول التلمود، إن لم يكن موسـى قد اعطى التوراة لشـعب اسـرائيل، لكان عـزرا يُنتخب لإنجاز هذه المهمة المقدسـة. وهـذا يعنى أن عزرا كان رجلا مقدسـا للغايـة وأنجز عملا ضخما فى عـودة اليهود للإيمان بالتوراة. وكان عزرا مثله مثل موسـى، علّم التـوراة لجيل قطع تواصله وعلاقته مع الله. وأشاع من جديد تعلم التوراة التى منحها موسى للناس، ووضع أساسـا محكما ومتينا للإبقاء على التوراة مقدسة. وقد علم عزرا التوراة للناس بعشق وإيمان عظيمين، لكى ليس يتعلمه الناس فحسب بل يتقبلونه ويعيشـون معه. وقد جاء موسى بالتوارة لجيل كان قد خرج للتو من «مصر»، وجاء عزرا بعلم التوراة لجيل كان قد تحرر للتو من السـبى البابلى.[٢]

والشـخصية الاخرى التى اضطلعت فى هذه الحقبة بدور مهم، هو نحميا.

---

١. «كتاب عزرا»، ٦:٧-٢٦.

٢. **كلابرمن، جيلبرت وليبي**، «تاريخ اليهود»، ترجمة **مسعود همّتى**، ج ٢، ص ٣٠.

ونحميا الذى خدم فى بلاط أردشير ملك «ايران»، طلب من الملك، أن يرسله إلى «اورشليم» لإعادة بنائها. فوافق الملك ومن ثم ذهب نحميا إلى اورشليم. وقد اضطلع نحميا فى الحقيقة بدور أكبر فى الشؤون السياسية والإعمار والبناء، بينما اضطلع عزرا بدور فى الشؤون الدينية.[١]
وقد شيد عزرا ونحميا بالتعاون معا، جدارين لأهالى بلاد «يهوذا». والجدار الذى بناه عزرا كان جدار التوراة والإيمان والوفاء بالله. والجدار الذى بناه نحميا، كان جدارا من الحجر شيد حول مدينة أورشليم. وقد ساعد جدار التوراة، الناس لصيانة وحماية دينهم من الهجمات التى تستهدفه وأن تتوفر لهم إمكانية أن يعيشوا وهم متحلين بالاخلاق الحسنة والأمانة والشجاعة. والجدار الصخرى، حماهم وصانهم فى مواجهة هجمات الأعداء جسديا.
وبعد أن أكمل نحميا، تشييد الجدار فى اطراف مدينة اورشليم ببهجة وشكر، شعر أن مهمته قد انتهت. وكان قد حكم لمدة إثنتى عشر عاما لذلك فقد عاد إلى «شوش».[٢]

ومنذ عصر **عزرا**، فان أحد الموضوعات التي أثيرت بين الجماعات اليهودية تمثلت في أنه هل يجب العمل بلفظة التوراة أم أنه بالإمكان شرح وتفسير ألفاظه. والفريق الذي كان يدعم شرح وتفسير التوراة، استند إلى السنة الشفهية. وكانوا يقولون بان **النبي موسى**عليه السلام وفضلا عن تركه التوراة المكتوبة، خلّف ايضا توراة شفهية انتقلت من جيل إلى جيل ووصلت إلينا. ويعد هذا واحدا من الخلافات الرئيسية بين فرقتي «الصدوقيين» و «الفريسيين». وهما الفرقتان اللتان استحدثتا بعد السبي البابلي.[٣]

---

١. **عبدالرّحيم، سليماني أردستاني**، «اليهودية»، جمعية المعارف الإسلامية الإيرانية، آيات العشق، الطبعة الاولى، ١٣٨٢هـ .ش.، ص ١٥٩.
٢. **كلابرمن، جيلبرت وليبي**، «تاريخ اليهود»، ص ٣١.
٣. راجع الدكتور ا.**كهن راب**، «كنز من التلمود»، ترجمة **امير فريدون جرجاني**، صص ٧-١٠.

وتفيد الروايات اليهودية أن **عزرا**، أسس «كنيس هجدولا»[1] أو «المجمع الكبير»، وكان عبارة عن مجلس ديني يتألف من المعلمين والعلماء. وقد تعلم هؤلاء مجموعة الأحكام الدينية التي بقيت من عهد **موسى**عليه السلام حتى عصرهم، وطوروها وفقا لمقتضيات ظروفهم وزمانهم ومن ثم نلقوها إلى رواد العلماء التلموديين.

ويقسم «التلمود» اليهود على أساس الترتيب الهرمى، إذ أن نسبة الصعود أو النزول فى الهرم، لها علاقة عكسية مع نسبة التعمق والتأمل فى التفسير وبالتالى درجة حلول الله فى التفسير. لذلك فان أدنى اليهود شأنا، هم الجهلة الذين لا يعرفون العهد العتيق وتفاسيره، وأرفعهم مقاما هم الذين على علم ووعى تجاه العهد العتيق. ومن ثم هناك من هم على علم واطلاع بـ«ميشنا» والأقسام القصصية والحكمية المأثورة (اغادائى) أو القصص الموجودة فى «غمارا»، لكن أرفع مجموعات اليهود شأنا، أولئك الذين على علم بالاقسام التشريعية (هلاخائى) لكتابى ميشنا وغمارا، ويفسرونهما. وهذا الترتيب الهرمى، يبين مدى علاقة التفسير بالسلطة، ولذلك نرى بان الحاخامات (مفسرو الشريعة اليهودية) يتربعون قمة الهرم.

وفى القرن الثامن عشر، تطور أسلوب بيليون، وكان اسلوب بيليون، ضربا من التفسير الذى يهدف لتبيان قدرات المفسر، من دون أن يولى أهمية لمدى صحة التفسير أو تطابقه مع نص العهد العتيق.[2]

بعبارة أخرى، فان التلمود، يمثل جوهر ولُبّ المعتقدات اليهودية، لا بل الثقافة اليهودية الحاخامية، بوصفها المفسر الرئيسي للتلمود، وباعتبارها روح وباطن اليهودية وأداء اليهود على امتداد التاريخ.

---

1. Kenesset Hagedolah.

٢. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ٩٨.

وورد بشان النقاط الخلافية التي أدت إلى الفرقة والإنقسام بين «الصدوقيين» و «الفريسيين»:

لقد كان الفريسيون، يعلّمون الناس الكثير من التقاليد التى ورثوها عن آبائهم لعدة أجيال، ولم يأت كتاب «التوراة» على ذكرها ظاهريا، لكن الصدوقيين،كانو يرفضونها ويقولون: يجب أن نحترم تلك السلسلة من التقاليد ونعتبرها واجبة الإتباع والتطبيق، وتوجد فى التوراة المكتوبة، ولا يجب مراعاة ما هو نابع من روايات وتقاليد أجدادنا، وفى ضوء هذه النقاط، اندلعت صراعات طويلة وخلافات معمقة بينهما.[١]

إن هذه النقاشات التى تمت بشأن التوارة المنقولة، دفعت بالمدافعين عنها لإجراء مزيد من الدراسات والتعمق فى نص الكتاب المقدس. وقد قرر هؤلاء برهنة أن التوراة المنقولة تعد جزء لا يتجزأ من التوراة المكتوبة، وكلاهما، يشكلان اللحمة والسدى لنسيج واحد. وفضلا عن ذلك، فقد اعتمد هؤلاء أساليب خاصة لتفسير التوراة واستخراج إستنتاجات عنها، ليستدلوا من خلالها بان الروايات و التقاليد التى يدحضها الصدوقيون، هى جزء من الأسفار الخمسة ومستترة فيها. وبذلك، فان كشف الأسرار الكامنة فى التوراة، دخل مرحلة حديثة وتسبب مباشرة فى نشأة التلمود.[٢]

الحلولية في اليهودية

إن الحلولية هى تيار فكرى خاص، توسع فى «العهد العتيق» ومن ثم بصورة مذهلة فى التلمود. والحلول فى اللغة تعنى حلّ بالمكان حلولا أى نزل به[٣] **وتعنى إصطلاحا حلول الذات الإلهية فى الأشياء وتطلق**

---

١. **كُهن، آبراهام**، «اللّه والعالم والانسان والماشيح في التعاليم اليهودية»، ترجمة **امير فريدون جرجاني**، المعي، ١٣٨٢هـ .ش. ص ١٨.

٢. المصدر السابق، ص ١٩.

٣. **طالقاني، سيّدعلي**، «الحلول والاتّحاد»، موسوعة العالم الاسلامي، ج ١٤، ص ٣٥.

«الحلولية» على من يعتقدون أن الله قد حل فى الاشياء وفى المرشد.[١]

إن الحلــول والإتحاد هما مصطلحان مزدوجــان فى مجال بحوث الكلام والفرق ويعكســان مفهومين قريبين من أحدهما الاخر؛ فالحلول هنا يعنى أن يحل كائن من ماوراء الطبيعة فى جســم متعلق بالاخر والإتحاد يعنى التوحد فى الكائن؛ بحيث أنه لا يمكن التمييز والتفريق بينه وبين الاخر. وفى النظرة العامة للأديان، فان ما يتصور أن يحل فى جســم انســان، هو الله والشيطان والجنّ أو روح إنسان اخر.[٢]

وقد أثيرت مســالة الحلول والإتحاد في الكتب الكلامية للمســلمين، بشكل رئيسي في مبحث الصفات السلبية لله وبهدف دحض حلول اللّه في الغير وكذلك دحض اتحاده مع الغير.

وتأسيســا على معتقدات الحلولية، فان الله والكون (الإنســان والطبيعة) يتمتعان بجوهر وطبيعة مشــتركة، لذلك فان هــذه المفاهيم، مترابطة مع بعضها البعض لدرجة لا يتســرب إليها أى شــرخ وانقطاع. إن وحدة بيت الله والكــون أدت إلى أن يكون بالإمــكان إرجاع أى ظاهرة إلى البداية الواحدة الكامنة فى العالم رغم كل التباينات والإختلافات. وهذه البداية هى منطلق وحدة وترابط الكــون وينبوع الحياة وفاعليتها، إذ يمكن فى ظل الإستعانة بها، تفسير كل شئ.[٣]

ويمكــن للحلولية أن تكون خاصة أو عامــة. ففي الحلولية الخاصة، فان اللّه يحل في إنســان معين، على غرار المســيحيين الذين يؤمنــون بحلول اللاهوت (الإله) في الناسوت (جسد عيسى).

وتشــكل الحلولية فى كتاب «العهد العتيــق» تيارا مهما، لكنها تضخمت كثيرا فى التلمود وتوسع نطاقها. بحيث يمكن إعتبار أن انطباع واستنتاج

١. **سجّادي، سيّدجعفر**، «قاموس مصطلحات العرفاء والمتصوّفة»، ص ١٥٣.
٢. «دائرةالمعارف الاسلامية الكبرى»، ج ٢١، ص ٣٠٦؛ «الحلول والاتّحاد».
٣. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ١٤٢.

التلمود عن الله، يشكل خرقا للفكر التوحيدى للأنبياء فى العهد العتيق. وينسب التلمود الكثير من الصفات الانسانية واليهودية إلى الله. وفى ضوء هذا الإنطباع، فان الله ليس معصوما. فهو يعمل أثنى عشرة ساعة يوميا، ويمضى الساعات الثلاث الاولى فى تلاوة التوراة، ويفكر فى خراب العالم و... .

الفكر الحلولي

وقد تنامى الفكر الحلولي لدى متصوفة سائر الديانات بشكل أوسع نطاقا، لان التصوف اليهودي كان على علاقة معمقة مع الغنوسية[١] والميثرائية[٢] والهيلينية[٣] والأساطير المصرية.

وفي الحلولية اليهودية، فقد حلّ اللّه بعدة أشكال في قومه. حلول اللّه على هيئة شيخينا في الشعب المختار، وحلول اللّه في التلمود والتوراة، وحلول اللّه في الأرض وحلول اللّه في «هيكل سليمان» وحلول اللّه في بعض أتباع القبالة.[٤]

وترتبط الحلولية في موقع ما بالكابالية (القبلانية)، إذ يفسر أتباع هذه الديانة، حلول اللّه بدلا من تجسيده في العالم ويصبون إهتمامهم على التارخ قبل الثناء على اللّه. إن هذا التعليم الذي انتشر منذ العهد العتيق وحتى الشريعة الشفاعية، يتجلى في أفكار مثل الشعب المختار والأمة والروح والأرض المقدسة. وبناء على ذلك، فان الطبيعة والانسان والتاريخ متحدون مع اللّه ولذلك فان الوجود يُختزل في مستوى واحد ويتبع قانونا واحدا.

---

١. **الغنوسية: غنوس** (Gnosis) هي مفردة إغريقية، وتعني العلم والمعرفة. وتستخدم في دراسات الأديان للإشارة إلى بعض المدارس والمذاهب الشرقية واليونانية الرومية القديمة. وكانت هذه المدرسة سائدة في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد في فلسطين وسورية وبين النهرين ومصر.

٢. **الميثرائية**: عبادة الشمس، وهي ديانة قائمة على عبادة الشمس، إله ايران القديمة وإله الشمس. وكان ميثرا (Mithra) لدى الايرانيين قبل النبي زرادشت، يعتبر أرفع إله وأكثرهم قدرا. وكان إله العهد والإلتزام المتبادل.

٣. الهيلينية (الفكر الفلسفي اليوناني)، النزعة اليونانية أو الإنتماء اليوناني، وتعني النزعة نحو ثقافة يونان القديمة.

٤. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، قسم القبّالة.

وحصيلة هذا الفكر بالنسبة لأتباع الكابالا، يتمثل في التعطش للسلطة على العالم والتفوق العنصري والإثني. ووفقا لهذا الفكر الحلولي، فان اللّه يتوصل في نهاية العالم إلى اتحاد مع شعبه المختار، اليهود، والذي يعتبر «شيخينا» حسب تعبير كتاب «زوهر».

ونظرا إلى ما ذكرنا، فان الصوفي المؤمن بالحلولية، يهتم بذاته فحسب، ولا يخطو في إطار الزمان والمكان الإنسانيين. وإن كان اللّه والمخلوقات، واحدا، ويحلّ اللّه في المادة، فان الانسان سيكون قادرا أيضا على فرض سلطته على الطبيعة والعالم. بعبارة أخرى، فان المؤمنين بحلول اللّه في المادة والتاريخ، يتحدثون بنبرة حدية ويصدرون أحكاما إستئسادية وتأمرية حول حقيقة العالم.

إن الإيمان بحلول الله فى الوجود، فى تضاد وتناقض مع مبدأ التوحيد. فالتوحيد هو الإيمان بالله الواحد القادر والعادل والقائم بذاته وواجب الوجود ومنزه عن الطبيعة والتاريخ والانسان. وبما أن الله منفصل عن الوجود، فانه يخلق نطاقا انسانيا ونطاقا طبيعيا ويؤدى هذا إلى أن يكون الانسان مستقلا عن سائر المخلوقات ومتميزا عنها، وأن يكون له حق الإختيار وقادرا على تخطى العالم المادى وذاته الطبيعية، لكن الحلولية، هى الإيمان بالله الكامن فى الطبيعة والانسان والتاريخ. إنه مركز الكون والوجود، ومع حلوله فى جزء من الكون، فانه يزيل أى نطاق. لذلك فان التوحيد يتنافى مع الحلولية... وفى هكذا فكر، يتضاءل تعالى البارئ وقدسيته لدرجة أنه يحل فى واحد أو بعض أو جميع مخلوقاته.[1]

ولدى أتباع اليهودية الحاخامية، فان التلمود يحظى بموقع مميز ورفيع.

وبالرغم من أن التلمود وحسبما يقول الدكتور **المسيري** مؤلف «موسوعة اليهود واليهودية» هو فقط وفقط تفسير العهد العتيق الذي كتبه الحاخامات اليهود، لكن

١. المصدر السابق، ج ٥، ص ١٤٤.

هذا الكتاب شأنه شأن باقي كتب التفسير لدى اليهود، يحظى بقدسية خاصة.[١]

وفيما يخص تقديس التلمود والإيمان المطلق بكل ما كتبه الحاخامات في هذا الكتاب، فقد ورد في التلمود ذاته أنه نشب ذات مرة خلاف بين الله وعلماء اليهود، وبعد أن طال النقاش والجدل، تقرر إحالة موضوع الخلاف إلى أحد الحاخامات. وقد حكم بخطأ الله واضطر الله أن يقر بخطأه. وقال أحد الحاخامات في هذا الخصوص أنه كلما واجه الله مسألة ومشكلة لا يمكن حلها في السماء، يستشير الحاخامات في الأرض.

وتتجسد العلاقة الإنعزالية مع الحلولية، في موضوع المختار. وكما جاء في التلمود، فان الله اختار اليهود لانهم اختاروا الله، وهذه العبارة تظهر التكافؤ بين الله والشعب...

ويشاهد هذا التوجه الإنعزالي والأناني في معظم صفحات التلمود الملئ بالتعاليم المعادية لغير اليهود (خاصة سفر عفودة زارا أو عبادة الأوثان) والذي يرى أن اليهود وحدهم الذين يدخلون الجنة. وأن يكون الله قد خلق غير اليهود على هيئة انسان، فانه يعود إلى أنهم يستحقون خدمة اليهود الذين خلق مجمل عالم الكون والوجود من أجلهم...

ويذهب التلمود إلى أن اليهود يجسدون روح الله وحدهم، ولذلك نرى أنهم لا يرحبون بالذين يتحولون [من خلال تغيير ديانتهم] إلى الديانة اليهودية...

لذلك فان الحلولية، هي إطار فلسفي وأن الإنعزالية والأنانية يشكلان التجسيد العملي له.[٢]

إن ما كان يصر عليه «الفريسيون»، هو تفسير «أسفار التوراة» بالإستمداد من الإنطباعات الشفهية. وكانوا يحرصون على إثبات أن الأجزاء الشفهية، وبالرغم من

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ١٤٢.
٢. المصدر السابق، ص ١٤٣.

كونها ممتزجة بالتعاليم غير الوحيانية والدخيلة والتي جاءت عن طريق التعاطي مع سائر الشعوب، لكنها تمثل الحقيقة التوارتية والوحيانية ويجب الرضوخ لها. إنهم ومن أجل الوصول إلى ماكانوا يظنونه أنها الأسرار المكنونة للأسفار الخمسة، أقدموا على إبداع أساليب التفسير الحديثة.

ومع إبداع أساليب التفسير الحديثة، تحول التوراة إلى علم، وكان الرجال الذين يملكون أهلية شرح محتويات الكتاب المقدس، يستيطعون فقط إبداء الرأى حوله بصورة موثقة. وأطلقوا على هؤلاء العلماء إسم «تنايم»[1] أى المعلمون. وكان هذا هو إسم العالم اليهودى الكبير خلال الحقبة التى بدأت وانتهت فيها صياغة القوانين الدينية لليهود فى «ميشنا».[2]

وعلى مدى السنوات، أقدم الكثير من الأشخاص على صياغة مجموعة التوارة وتبيان مبادئه. وقد وجدت في أثناء ذلك العديد من المدارس.

وفى منظور «الصدوقيين» فان الديانة اليهودية هى عبارة عن أسلوب محدود ومتعنت، تبقى ثابتة للأبد من خلال اتباع أحكام الأسفار الخمسة،[3] وفضلا عن ذلك، فانها ترتبط بشكل لا ينفصل عن طقوس العبادة فى هيكل بيت «همیقداس» (بيت المقدس). لذلك فعندما انتهت حقبة معبد بيت همیقداش، [فى كارثة خراب بيت المقدس وانقراض دولة اليهود]، فان الصدوقيين زالوا مباشرة بعد ذلك.[4]

وقد واصل حكماء [فريسيو] هذه الطائفة بعد خراب الهيكل تقليد العلماء السابقين بقيادة ربان يوحانان فى «ياونة»، بحيث أن كل عالم فسر

1. Tannaim.

٢. **كُهن، آبراهام**، «اللّه والعالم والانسان والماشيح في التعاليم اليهودية»، صص ١٩-٢٠.

٣. أسفار موسى الخمسة (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد والتثنيه).

٤. **كُهن، آبراهام**، «اللّه، العالم، الإنسان والماشيح في التعاليم اليهودية»، صص ٢٢-٢٣

التوراة وكان ينقل أقوال القدماء بطريقته الخاصة.[١]

وقد سقطت دولة «يهوذا» بيد الروم عام ٦٣ ق.م. .ومذاك، كان اليهود يحيون في قلوبهم حلم نيل الاستقلال وينظرون إلى الروم بنظرة العدو اللدود.

وفي كل أعوام هيمنة الروم على يهوذا، كان اليهود يتمردون بين الفينة والفينة، فيما كان الروم يثومون بقمع هذه التمردات. إلى أن طفح كيل اليهود في أواخر إمبراطورية **نيرون** قيصر الروم. وقد تمردوا عام ٦٦ للميلاد بصورة شاملة. وتدخل جيش نيرون لقمع التمرد، واستعاد جميع القرى التي كان يقطنها اليهود وتقدم حتى وسط «أورشليم».

وبالرغم من أن امبراطور الروم قد توفى في هذه الأثناء، لكن من خلفوه، هاجموا أورشليم بكل قسوة ودمروا مدينة ومعبد أورشليم خلال القضاء على التمرد.

وقد دمرت أورشليم وأحرق هيكل اليهود. وقتل العديد من اليهود ووقع الكثير منهم في الأسر أو أن تفرقوا في البلاد. وبذلك فقد خسر اليهود وإلى الأبد هيكلهم وبلادهم. وبقى من هذا الهيكل، جداره الغربي فحسب والذي يدعى «حائط المبكى».

وخلال الإشتباكات والمواجهات العدائية بين اليهود والروم، أوصل ربان يوحانان من حكماء الفريسيين، نفسه إلى معسكر الروم، وطلب من القائد الرومي بدهاء منح الأمان لمدينة «يونة» (ياونة) الصغيرة وكذلك العلماء والطلبة. وقبل طلبه.

وكانت يونة مدينة تحتضن إبان الحرب، الألوف من الطلبة اليهود، وبذلك وبالرغم من مقتل وأسر حشد غفير من اليهود، فقد واصل المركز التعليمي الكبير في يونة، عمله بتوجيه وإدارة **ربان يوحانان بن زكاي**، وحظي بموقع ومنزلة كبيرتين، لدى اليهود بعد خراب أورشليم والهيكل.

---

١. راجع الدكتور ا. **كهن راب**، «كنز من التلمود»، صص ١١-١٢.

وبذلك فقد أسس **ربان يوحانان**، سنهدرين جديدا. وعرف هذا السنهدرين ب «بيت دين» (المحكمة الشرعية). وأطلق على رئيسها إسم **ناسي** أو **روش بيت دين** (رئيس المحكمة الشرعية).

لكن هذا الوضع لم يدم طويلا، وتغيرت الأوضاع بعد نحو ستين عاما. وأمر الإمبراطور **هادريانوس** ببناء معبد يدعى **جوبيتر** إله الروم الكبير، على أنقاض «هيكل أورشليم». وأدى هذا إلى نهضة وتمرد كبيرين بين اليهود. واندلعت هذه النهضة عام ١٣٣ للميلاد وسحقت عام ١٣٥ للميلاد وقتل على إثرها عدد كبير من اليهود. وأحد تداعيات هذه النهضة وقمعها، تمثل في مقتل العديد من علماء اليهود بمنطقة «ياونة» وإغلاق مدارسها.

والعلماء الذين نجوا من هذه الواقعة، إلتقطوا العرائض المتبقة ونقلوها معهم إلى منطقة الجليل، وأسسوا المدارس العلمية مرة أخرى.[١]

وفى عام ١٣٢ للميلاد، وعقب إغلاق مدارس ياونة، انتقل المركز العلمى لليهود إلى الجليل وواصل علماء اليهود من هذا المكان، تقليد التفسير ونقل «التوراة» الشفهية، إلى أن وصل الدور إلى واحد من علماء اليهود ويدعى «ربى يهوذا هناسيم». وأصبح هناسى الذى كان عالما بارزا، بصدد كتابة التقليد الشفهى. وقد جمع معلومات العلماء الأقدمين فى كتاب أطلق عليه إسم «ميشنا».[٢] ويعنى ميشنا التثنية أو التكرار، ويسمى بهذا الإسم لانه يتضمن التوراة الشفهية فى مقابل التوراة المكتوبة.[٣]

ويقول كاتب يهودي حول محتويات «ميشنا»:

وقد قسم ميشنا إلى ستة أقسام رئيسية تدعى سداريم (جمع سدر وتعنى القسم). وكل واحد من هذه السداريم، صُنف إلى أقسام تدعى مسخت

---

١. للمزيد من المعلومات راجع كتاب «اليهودية»، لمؤلفه **عبدالرّحيم سليماني أردستاني**، إصدار دار «آيت عشق» للنشر.

٢. راجع الدكتور ا. **كهن راب**، «كنز من التلمود»، صص ١٤-١٥.

٣. المصدر السابق، صص ١٤-١٥

(الرسالة) وكل مسخت تحتوى بدورها على عدة برق أو فصل.[١]
وكان اليهود يؤمنون بان ربى يهوذا هناسى، هو فى الحقيقة جامع «ميشنا». وهذا الكتاب يتضمن مجموعة من تعاليم التوراة الشفهية وانتقل من جيل إلى جيل فى زمن ربى زهودا هناسى، وأضاف المدرسون والأنبياء والقادة اليهود والعلماء الكبار، تعاليمهم وتفاسيرهم وفتاواهم إليه على امتداد القرون المتمادية.[٢]
وقد وفر كتاب «ميشنا» الذى انتهت كتابته بحوالى عام ٢٢٠ للميلاد، نصا ملائما للعلماء اليهود الذين أبدوا حرصا على دراسة التوراة.[٣]

التلمود عنصر رئيسي وأساسي في تعاليم اليهود

ويقول الدكتور **عبدالوهّاب المسيري** حول منزلة «التلمود» لدى اليهود:

ومنذ نهاية القرن السابع للميلاد ومستهل القرن الثامن [خلال الاعوام ال ١٣٠٠ الماضية] تحول التلمود إلى العنصر الرئيسى والجوهرى للتجربة الدينية للمجموعات اليهودية، لان التلمود أصبح المعيار والمؤشر الوحيد والمقبول فى جميع الشؤون المتعلقة بحياة اليهود وأعمالهم ونشاطاتهم الفكرية، لذلك فعندما نتحدث عن اليهودية التى أعقبت تلك الحقبة، فاننا نقصد فى الحقيقة اليهودية الحاخامية أو التلمودية. واعتمد التلمود حتى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد كأساس وقاعدة لتنشئة أعضاء المجموعات اليهودية. وكان تلامذة كثر من المجموعات الدينية للغرب، يقرأون التلمود سبع ساعات يوميا ولمدة سبع سنوات متتالية...
كما أن التلمود مؤشر على جهد اليهود الحاخاميين (التلموديين) لعزل الشعب اليهودى عن سائر الشعوب، لاسيما بعد نشأة المسيحية إذ

١. **كلابرمن، جيلبرت وليبي**، «تاريخ اليهود»، ج ٢، صص ٢٢٤-٢٢٥؛ **سليماني أردستاني**، «اليهودية»، ص ٢٣٩.
٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٦.
٣. «كنز من التلمود»، ترجمة **أمير فريدون جرجاني**، ص ٢١؛ **سليماني أردستاني**، «اليهودية»، ص ٢٣٩.

اعتمدوا مع استكمال وإصلاح «العهد العتيق» بجانب «العهد الجديد» كـ«كتاب مقدس».

وأضخم آلية لتعميق هذه العزلة، هى تغليب شريحة الحلوليين اليهود على باقى شرائحهم، بحيث أن الله يحل فى الشعب اليهودى ويجعل هذا الشعب زاخرا بتلك القدسية لينعزل عن العالم المحيط به، إن هذه العزلة كانت تعتبر بطبيعة الحال مسألة عادية فى معظم المجتمعات العابدة للأوثان فى العالم والكثير من المجتمعات التقليدية التى تروج لفكرة التمييز الطبقى بين شرائح المجتمع والمجموعات الدينية، وتسهل عملية إدارة شؤون هذه الشرائح... .[١]

وبالرغم من أن الحلولية تعد تيارا مهما في كتاب العهد العتيق، لكنها تضخمت واتسعت أكثر في التلمود.

ولا يخفى على أحد بان الديانة الإلهية الموسوية، وكل ما ورد في كلام وسيرة **النبي موسى كليم الله**(عليه السلام)، كان منزها وبراء من الكفر والشرك وبمنأى عن الفكر الحلولي المتسم بالكفر، وقد تسرب هذا الفكر عن طريق تلوث بني‌اسرائيل (في حقبة ما بعد موسى(عليه السلام)) بالتعاليم المشركة إلى الديانة اليهودية، لاسيما وأن التلمود كان يحمل وينطوي على الإنطباع الحلولي عن الكون والوجود.

إن هذا الفكر مرفوض في معظم النصوص الكلامية والفلسفية للأديان التوحيدية، لان الحلولي بحاجة إلى الحول، وأن اللّه غني عن العالم والعالمين أجمعين. ومن جهة أخرى، فانه يجب أن يكون هناك تجانس وتناغم بين الحلولي وموقع الحلول، وجليّ تماما أنه لا يمكن العثور على أي تجانس وتساوق بين الخالق والمخلوق.[٢]

ولا يجب غض الطرف عن هذا المهم وهو أن الفكر الحلولي يختلف كثيرا

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، صص ١٤١-١٤٢.
٢. **روحاني، محمّدحسين**، «موسوعة التشيّع»، نشر شهيد سعيد محبى، ١٣٨٦هـ.ش.، ج ٦، ص ٥٠٥.

عمـــا يعرف في العرفـــان، بوحدة الله. صحيح أنه في تعريـــف الحلول يمكن في الظاهر الوصـــول إلى نوع من الوحدة، لكن وحدة الوجود التي تتحصل عن طريق القول بالحلول، هشة وغير متينة لدرجة أنها تخلو من الله.[١]

إن الحلولية تعد واحدة من الأســـس التي تميز اليهودية الحاخامية عن الديانة الموسوية.

إن اليهوديـــة الحاخامية[٢] أو اليهودية التلموديـــة أو اليهودية الربانية أو اليهوديـــة الكلاســـيكية أو اليهودية المعيارية، هى تلـــك اليهودية التى انتشـــرت بين معظـــم الجماعات اليهودية فـــى العالم منذ القرن التاســـع للميـــلاد وحتـــى نهاية القرن الثامن عشـــر للميـــلاد. وقد اعتمـــد اليهود القرائين هـــذا المصطلح ليؤكدوا من خلاله بان النظام الدينى لمعارضيهم ليـــس مطلقا البتة وهو حصيلة جهود الفقهاء أو الحاخامات الذين فســـروا التوراة (الشـــريعة المكتوبة) ووضعوا الشـــريعة الشفهية (التوراة الشفهية أو التلمود) وجعلوها أصلا وأساســـا تستند رؤيتهم الدينية إليه وتميزهم وتفصلهم عن اليهودية التوراتية...

إن اليهودية الرســـمية التي تحكم اســـرائيل [فلســـطين المحتلة] هي اليهودية الحاخامية التلمودية.[٣]

ويقول فريق «البحوث العلمية التركي» حول «التلمود» وأقسامه:

إن تاريـــخ تنظيم التلمود (بمعنى الفعالية والدراســـة) بدأ منذ الســـنوات الثلاثمائة قبل ميلاد المســـيح واستمر حتى السنوات الأربعمائة بعد ميلاد المسيح. وبعد هذا، لم يتم إضافة شئ أو موضوع وبقى التلمود على هيئة تورا (بمعنى الطقس والديـــن والمبادئ) وقانون لا يتغير. (والتوراة تأتى من هذا الجذر أيضا).

---

١. **ابراهيمي دينانى، غلامحسين**، «فيلسوف يهودى و يک مسئلة بزرگ»، نشر هرمس، ١٣٨٩هـ .ش.، ص ١٨٨.
2. Rabbinical (Talmudic) Judaism.
٣. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ١٣٠.

وهذا الكتاب ومن خلال الرجوع إلى «التلمود»، بيّن جزء من التعاليم اليهودية الحاخامية والتلمودية.

ويتكون التلمود من قسمين رئيسيين. أحدهما «ميشنا» والاخر «غامرا» ويعنى البحث والدراسة. ونلاحظ تاليا بعض تعليمات التلمود لمزيد من التعرف عليها:

«يوده، هاغاغ ۲۳۲-۱۴»

وفى الشؤون المالية، فقد منحت رخصة اليمين الكاذبة.

«هوئم هاميشبات، هاغاغ ۵-۱۵۶»

ويعتبر مال وملك غير اليهودى بلا مالك وصاحب. وقبل كل شئ، فان أى يهودى يستولى عليه، يصبح صاحبه ومالكه.

«هوشم هاميشبات، هاغاغ ۷-۱۸۳»

وإن قام يهودى مع غير يهودى بعمل مشترك وإن قام يهودى أخر بأعمال اخرى من قبيل خداع غير يهودى وبخس الكيل والمقياس، وإظهار أن العدد والمقدار قليل أو قام بإنقاص وزن السلعة ويمهد لاكتساب المزيد من الربح، فان الربح المتحصل سيتم تقسيمه بين اليهوديين الإثنين بالتساوى بغض النظر عن مقدار ونسبة الدعم المالى أو غير المالى الذى قدمه اليهودى الثانى.

«هوشم هاميشپات، هاغاغ ۱-۲۶۶»

وجائز تملك المال الضائع لكل غير يهودى من قبل من يعثر عليه، إن كان يهوديا.

«هوشم هاميشپات، ۲۸۶»

وإن كان يهودى، مدينا لغير يهودى، وكان الدائن قد فارق الحياة، ولم يكن يهودى اخر فى صورة المسألة، فان اليهودى المدين غير ملزم فى هذه الحالة بتسديد الدين إلى ورثة الدائن المتوفى.

«هوشم هاميشپات، ٢-٢٤٨»

وجائز لأى يهودى استغلال أخطاء غير اليهود لمصلحته، فمثلا إن كان الأمر متعلقا بسهو فى الحساب أو إعادة قرض منسى، فان إنكار ذلك من قبل اليهودى لا يمس بمصداقيته.

«هوشم هاميشپات، ٣٦٩»

واليهودى لا يجب بتاتا خداع موظف يهودى يعمل فى الجمارك، لكنه يستطيع خداع موظف غير يهودى فى الجمارك أو حتى ملك غير يهودى، وإن كانت قوانين البلاد تتعارض وذلك الشئ. وفى حالة عدم وقوع خطر، فان يهودى يستطيع من خلال التفاهم والإنسجام مع موظف يهودى فى الجمارك، الإحجام عن إيداع المال فى صندوق الحكومة غير اليهودية. وفى مثل هذه الحالات، يتم تجاهل قانون البلاد غير اليهودية.

«سلطان آروح، الصفحة ١١١»

- والذنب إن اقترف بصورة خفية، فهو مسموح به.
- والذنب الذى يقترف بصورة خفية ويكون لمصحلة ومقاصد اليهودى فهو مباح فى أى موقع وظرف كان.
- وعندما تحاكمون فى محكمة ما بجريمة قتل غير يهودى، فانه مسموح لكم إنكار هذا الموضوع بصورة علنية من خلال القسم بالله والكتاب المقدس؛ لان المقتول لم يكن سوى حيوان.
- على الإنسان أن يتصرف بمكر وحيلة فى مقابل الخوف من الله.
- لقد صدر ترخيص بممارسة الخداع فى أى حالة. ومن أجل الحد من الكشف عن الحيلة فقط، فان الشرط هو السلوك والتصرف بمهارة، خاصة يمكن ممارسة الحيلة والخداع عندما يتعلق الامر بتسديد الدين.
- إن كان الأمر يتعلق بالسرقة، فانه يمكن للشخص اليهودى اللجوء إلى اليمين الكاذبة، وإن كان العقاب موضع نقاش فى هذا الموضوع، فقد

صدر أيضا ترخيص بالكذب والقسم الذى سيؤديه بذكر اسم الله.

– أى يهودى قادر على الفخر والمباهاة بسرقة مال ومهنة أى شخص غير يهودى.

– وفى أيام العيد، فان اليهودى قادر أثناء تحضير الطعام، إضافة أشياء يمكن للكلب أن يأكلها إلى حسائه؛ لكنه منع من إضافة الأشياء التى يستطيع مسيحى ما أكلها. (إن وجود هذا الموضوع فى التوراة، دليل دامغ على تحريفه، لان الديانة المسيحية نشأت بعدة قرون بعد الديانة اليهودية فى العالم.)

– وفى أيام العيد، ممنوع تقديم الهدايا لغير اليهود. وهذا الأمر يختلف بالنسبة لغير اليهود الذين لا يؤمنون بالله أو يحملون أفكارا ومعتقدات متحررة، ومع ذلك يمكن التصدق على غير اليهود أو عيادة مرضاهم. وهذا العمل يجب أن يتم فقط فى وقت يتطلب فيه الأمر تقديم اليهود على أنهم أصدقاء هؤلاء.

– ويتم إلقاء التحية على إنسان غير يهودى لإظهار الصداقة الظاهرية والحد من المشاحنات فحسب. ويجب مراعاة التعامل بطيبة مع غير اليهودى إن اعتبر ذلك ضرورى. ومع القول بانى أحبك، فان اليهودى يكون قد أضفى الشرف على نفسه.

– كل من يقرأ التلمود، يجب أن يكون مكارا ومخاتلا بذاته.

– ويقول الحاخام العازار، إبن آييرا: إن جميع مصائب العالم تتم على يد اليهود.

– وذكر فى الباراتون: إن نطفة غير اليهود هى نطفة حيوان. وولد غير اليهودى هو أسوأ من مجنون يهودى. والزواج بين غير يهوديين إثنين، لا يختلف عن التزاوج بين الحمار والفرس. وممتلكات غير اليهودى تشبه المكان المهجور، ومالكها الرئيسى هو أول يهودى يضع يده عليها.

– إن إراقة دم غير يهودى، هى فى الحقيقة تقديم القربان فى سبيل الله، وله أجر عند الله بالمقدار ذاته.

– إن يهوديا ما، غير مضطر فى زمن السلم، لقتل شخص غير يهودى، لكنه ممنوع عليه إنقاذ غير يهودى من الموت. وهذا المنع، يشمل حتى الشخص الذى يغرق فى الماء وهو مستعد لمنح كل ثروته وما يملك من أجل إنقاذ حياته. وطبيب يهودى لا يجب عليه معالجة مريض مسيحى، لكن الامر يختلف عندما يؤدى ذلك إلى اندلاع حالات ثأر وانتقام أو أفكار حاقدة ضد اليهود. ويجب الحد من حصول هكذا أفكار ومعتقدات.

– ومن أجل كشف الأثر العلاجى أو القاتل لدواء ما، فمن الجائز إختباره على غير يهودى من قبل طبيب يهودى. وفى هكذا حالات، إن أراد يهودى ما، إنقاذ شخص غير يهودى ملقى فى فراش الموت على إثر استعمال دواء، فانه جائز لأى يهودى قتل ذلك الشخص، لانه ممنوع إنقاذ أى انسان غير يهودى وهو يحتضر على إثر استعمال الدواء وإجراء الفحوصات.

– وقال الحاخام ميمونيدس: إنه عمل صحيح قتل الخونة الموجودين فى اسرائيل بمن فيهم عيسى وأنصاره والرمى بأجسادهم فى داخل حفرة. وقبل مجئ المسيح، فان عدم التدين المسيحى، انتشر فى جميع أرجاء العالم، وبذلك فانه لن يكون بالإمكان التفريق بين الانسان والكلب.

– ووردت فى التلمود، نبوءات كثيرة حول ظهور المسيح:

إن المسيح سيسحق تحت عجلات العربات الحربية، الأشخاص غير اليهود. وقد نشبت حرب ضروس، وسيباد على إثرها ثلثى البشرية. وسينتصر اليهود وسيحرقون سلاح المهزومين لسبع سنوات. ويقف المهزومون أمام اليهود وهم أذلاء وسيعطونهم هدايا ضخمة. والملوك المسيحيون لن يقبلوا فقط العيسويين، إنهم سيبادون. وستقع خزائن جميع

الشـعوب بيد اليهود. وسـتصبح ثروتهم لا حد لها ولا نهاية. وبعد إبادة المسـيحيين، فان أعين باقى الشعوب ستفتح. وسيصبح هؤلاء يهود أيضا وسيصبح العالم باكمله فى قبضةاليهود وبذلك فانه لن يكون هناك غير يهودى فى أى مكن فى العالم.

– ويقول الحاخام باتان: ومن أجل الراحة والسـكينة، فان أفضل عمل هو الكذب. لقد كذب إخوة يوسف، وكذب النبى صموئيل. نعم إن الله كذب هو الاخر.

– إن اليهود ومن خلال تطبيق أحكام التوراة بحذافيرها، سيرون بان غير اليهود سيضطرون للعمالة وسيقتل أحدهم الاخر.

– ويقـول الحاخـام العازار: ليـس هناك عمل أكثر بلاهـة من الزراعة، ويضيف: وإن كان يهودى ما يملك مائة ليرة للتجارة، فان بوسـعه أكل اللحم يوميا، واحتسـاء الشراب والسكن فى القصر. لكنه إن استثمر ألف ليرة فى الزراعة، فيجب عليه أكل الخضار، والنوم على التراب والسـكن فى الكوخ.

– الحياة لا تسـير من دون أخذ وعطـاء. ولا يمكن لها من دون يهودى، وحتى أنها لا تستطيع الاستمرار من دون يهودى.

– لقد دخل اليهود «فلسطين» بينما وفرّ الله وسيله لإرعاب أعدائهم. لقد أصبحوا كريهى الرائحة لدرجة لم يكن بالإمكان إطاقتهم.

– إن البوح عن مبادئنا وتقاليدنا وقواعدنا للأجانب وغير اليهود، يساوى الإبادة الجماعية لليهود. وفى حالة إطلاع وتعرف غير اليهود على سلوكنا وطريقة تفكيرنا تجاههم، فانهم لن يتوانوا عن القيام باى عمل فى سـبيل الهيمنة علينا. (التلمود، قسم يوردة، هوشم هاميشبات).

وعلـى امتـداد ألفى عام، اسـتخدمت هـذه القواعد والأحـكام من قبل الحاخامات فى مجال تعليم وتربية اليهود. إن الحكومة الحالية لاسرائيل

ومن خلال وضع سياسات متطرفة وأساليب غدارة ومعادية للبشرية والقيام بممارسات وحشية ضد غير اليهود، تكون قد أيدت وثبتت محتويات التلمود التي يبدو من الصعوبة بمكان تصديقها من قبل الأشخاص غير اليهود.[١]

١. فريق البحوث العلمية التركي (**هارون يحيى**)، «أسس الماسونية»، ترجمة **جعفر سعيدي**، اصدارات مركز توثيق الثورة الاسلامية، ١٣٨٤هـ .ش.، صص ١٥-١٩.

الفصل الثاني

الكابالا (القبالة)

الجماعات اليهودية الرئيسية[1]

وماعــدا التصنيــف المتبع للجماعــات اليهودية على أســاس الدين (إصلاحية، ومحافظة وعلمانية) وعلى أساس العرق (اليهودي الأصيل واليهودي غير الأصيل)، فاننا نواجه أيضا جماعات هامشية إننقرضت.

إن الجماعــات البائدة بما فيها خزران، وبالرغم مــن أنه لا يمكن تحديدها وتوضيحهــا اليوم في إطار الوحدات القابلة للتعريــف، لكنه وبما أنها إضطلعت فــي الماضي وفي ظل الظروف التاريخية الخاصة التي كانت تعيشــها، بدور مهم في توجهات تاريخ حياة اليهود وحتى البشــرية، فانها قابلة للدراسة، وأن تجاهلها ســيؤدي إلى تجاهل العوامل المهمة والمؤثرة في الأحداث والتطورات التي مرت بها البشرية وحتى وضعها الحالي في العالم.

إن هذا التجاهل، يتســبب بظهــور تحليلات مغلوطــة وبالتالي مواقف غير صحيحة في العلاقات والتعاملات الصغيرة والكبيرة الحالية للبشرية.

ويقول الدكتور **عبد الوهّاب المسيري:**

إن الجماعات اليهودية الرئيســية هى جماعات يؤمن أعضاؤها باليهودية الحاخاميــة. وهــذه الجماعات تعيش أساســا فى العالم الغربــى والعالم الاســلامى. وتم تقسيم هذه المجموعات على أســاس الجنسية (فرنسية

1. Major Jewish Communities.

وأمريكية وبريطانية) أو على أساس الدين (إصلاحية ومحافظة وعلمانية) أو على أساس العرق (اليهودى الأصيل واليهودى غير الأصيل). إننا نضع الجماعات اليهودية الرئيسية فى مقابل الجماعات البائدة (مثل خزران) أو المهمشة (مثل يهود الهند).[١]

يهود الخزر[٢]

إن «الخزر» هم شـــعوب متحدرة من أصل تركي شكلت حكومة مستقلة في القرون السابعة إلى العاشـــرة للميلاد في شمال شرق «البحر الأسود» و «شمال غربي بحر مازندران".[٣]

وقد وضع **لف غوميليف** (٢٠١٣م.) المؤرخ الروســـي البارز وعضو «أكاديمية العلوم الطبيعية» لـ«روسية» ومؤسس علم الشعوب الجديد، كتابا بعنوان «كشف الخزر» وقدم حصيلة رحلته الإستكشافية لكشف شعوب الخزر التي إختفت.[٤]

وورد في مدخل هذا الكتاب:

ويـــدرى القراء العارفون بالتاريخ، بان الخزر كانت شـــعوب قوية، تعيش عنـــد مصب نهر «الفولغا» واعتنقـــت الديانة اليهودية، وهزمت عام ٩٦٥ للميـــلاد على يـــد «اميركى يف». ولدى القراء العارفـــون بالتاريخ وعلم الآثار، تساؤلات عديدة، بما فيها: أين كانت نشأة الخزر، وباى لغة كانوا يتحدثـــون، ولمَ لا يوجد أثر عن بقاياهم، وبالرغم من أن الديانة اليهودية لم تكن تقبل بالغرباء أن يدخلوها، فكيف استطاع هؤلاء إعتناق اليهودية، والأهـــم من ذلک، كيف كانت العلاقة بيـــن «الخزر» وموطنهم وكذلک

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٢، ص١٣١.

2. Khazar Jews.

٣. وقد ترجم هذا الكتاب **ايرج كابلي**، وصدر عن دار «اجه» للنشر.

٤. **شـــهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، مؤسّســـة الدراسات والبحوث السياسية، ١٣٧٧هـ .ش.، ج ١، ص ٤٨٥.

الممتلـكات العظيمة التى كانت تغطى تقريبا جميع جنوب شـرق أوروبا مع شعوبها الكثيرة؟[1]

وقد وضع آرثور **كستلر** وهو باحث يهودي، كتابا بعنوان «القبيلة الثالثة عشرة» (إمبراطورية الخزر وتراثها) وتحدث فيه عن كيفية نشـأة ما يصفه **إمبراطورية الخزر المتحدرين من أصول تركية**، وإعتناق سـكان شمال جبال «القوقاز» هؤلاء الديانة اليهودية وبالتالي زوالهم تحت ضربات «الفايكنغ».

ويكتب كستلر:

وعندما كان يتم تتويج شـارلمانى كامبراطـور للغرب[2] **(۷۷۱-۸۴۱م.) كانـت دولة يهودية تحت إسـم إمبراطورية الخزر تحكم مناطق شـرق أوروبا بيـن القوقاز ونهر «فولغا»، واضطلعت فـى ذروة قوتها، أى فى القرن السـابع حتى القرن العاشـر للميلاد، بدور مؤثـر فى مصير أوروبا العصور الوسطى وبالتالى فى أوروبا الحديثة.**[3]

وتقول «موسوعة اليهود» حول «يهود الخزر»:

لقد كان «الخزر»[4] **قبيلة تركية تعيش فى «سـهل فولغا» بجنوب اسـيا، وكان حـكام وبعض أبناء مملكة الخـزر، يعبدون الأوثان، لكنهم اعتنقوا اليهودية. وهذا الإسم يقرأ باللغة العربية أحيانا على شكل «خازارا».**

... لقد كان الخزر وقبل حصولهم على الإسـتقلال التام، يعتبرون جزء من إمبراطورية الترك الغربية أو جزء من أتراك «تركستان».

وكانـت قبائل الخزر شـكلت تحت قيادة حاكم يدعـى خاقان أو كاحان

---

۱. **لفن، غوميلييوف**، «إكتشاف دولة الخزر»، ترجمة **ايرج كابلى**، نشر آگه، درآمد.

۲. وقد شـهد الغرب في القرنين الثامن والتاسـع للميلاد، نشـأة إمبراطورية **فرانك** التي اسـتطاعت إعادة الأمن والإسـتقرار إلـى أوروبا الغربيـة والمركزية لفترة وجيزة وذلـك بعد ۳۰۰ عام من الإضطرابـات والفوضى. كما أن هذه الإمبراطورية اعتبرت مرحلة إلى الأمام لتشـكيل الشـعوب المسـتبقلية لاوروبا. «تاريـخ العالم، بداية ونهاية الحضارات»، www.tarikh.com/charlemagne-empire

۳. **كسـتلر، آرثور**، «القبيلة الثالثة عشرة (إمبراطورية الخزر وتراثها)»، ترجمة **جمشيد ستّاري**، طهران، آلفا، الطبعة الاولى، ۱۳۶۱هـ .ش.، ص ۱۷.

4. Khazar.

أو خاجـان، إتحادا. ويقال بان الخزر هاجموا مع «سـنجيبو» أول خاقان الأتراك الغربيين، إحدى قلاع الساسـانيين. واسـتمر حكم الأتراك لمدة قـرن واحد (٦٥- ٥٥٠ م.). وبعد هـذا التاريخ، أطلقت كلمة الترك على الأتراك من دون أخذ باقى الشعوب التركية بنظر الإعتبار.

وكانت مملكة الخزر تقع فى الممر الحيوى الكائن بين «البحر الأسـود» و «بحـر الخزر» أو بالأحـرى بين القوتين العظميين لتلك الحقبة أى الإمبراطورية الاسـلامية والإمبراطورية البيزنطيـة (دولة الروم). وهذه المملكـة كانت بمنزلة منطقة حائلة، تحمـى الإمبراطورية البيزنطية من الحمـلات غير المنتمة لقبائل البلغار والمجر، كما كانت تحول دون تقدم المسـلمين. وقد نشبت حروب عديدة بين الخزر والعرب، وقع أولها فى الفترة من ٦٤٢ إلى ٦٥٢ للميلاد وأمر خلالها عمر، الجيوش الاسـلامية لمهاجمـة عاصمتها «درانجار». لكن المسـلمين أخفقوا فى هذه المهمة، واستشهد قائدهم عام ٦٥٣ للميلاد. والحرب الثانية اندلعت خلال الاعوام مـن ٧٢٢ إلى ٧٣٧ للميلاد، وأنتهت بهزيمة الخـزر على يد مروان بن محد (مروان الثانى)، ومن بعدها، استسـلم خاقان الخزر واشـهر اسلامه، لكنه عاد إلى ديانته الرئيسية بعد فترة.[١]

ويقول آرثور كستلر حول هذه الواقعة المهمة:

وفى آخر حـرب عام ٧٣٧م. منى الخزر بالهزيمة، لكن حماسـة الجهاد المقدس لدى المسـلمين كانت قد خفتت خلال هـذه الفترة، ومرّ الخلفاء بفترة الخلافات الداخلية العصيبة، وعاد العرب إلى حيث أتوا من دون أن يثبتوا موطئ قدم لهم فى شمال القوقاز. فى حين أن الخزر، وعلى الرغم من هزيمتهم، أصبحوا أقوى مما كانوا عليه.

وبعد سـنوات (على الأرجح فى عام ٧٤٠م.) قبـل ملك الخزر وبلاطه

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٢، صص ١٦٣-١٦٤.

والطبقة الحاكمة، الديانة اليهودية، كدين رسمى للخزر.[١]

وواضح بالنسبة لجميع الباحثين بان قبول الديانة اليهودية كدين رسمي من جانب شعب غير يهودي، أمر مثير للإستغراب، لان الديانه اليهودية ليست ديانة تبشيرية أصلا، وأن أبواب هذا الدين موصدة بوجه من لا ينتمون إلى بني‌اسرائيل. وبناء على ذلك، فان الدين الجديد للخزر، يحمل في طياته إشارات وعلامات يكتنفها الكثير من الغموض.

ويتناول الدكتور **عبدالوهّاب المسيري** هذه الواقعة بالقول:

لقد بلغت مملكة الخزر، ذروة مجدها وقوتها منذ القرن الثامن وحتى القرن العاشر، وخلال هذه الفترة (٧٨٦-٨٠٩م.) إعتنق «بولان» ملك الخزر ومعه أربعة الاف من الأعيان الخزر، الديانة اليهودية، واعتبروها الدين الرسمى للبلاد. وقد أكد المسعودى على ذلك وقال بان الخزر تحولوا إلى اليهودية فى عصر هارون الرشيد. ويبدو أن الخزر تعرفوا على الديانة اليهودية بواسطة عشرات المهاجرين اليهود الذين فروا من ظلم وجور الإمبراطورية البيزنطية لاسيما إبان حكم «هرقل» فى القرن السابع للميلاد، إلى مناطق الخزر...

ويسعى المؤرخون لمعرفة الأسباب التى دفعت بالخزر لاعتناق اليهودية. ويقال أن مملكة الخزر التى كانت تقع بين الإمبراطوريتين الاسلامية والبيزنطية، تحولت إلى اليهودية لأسباب سياسية. وقد اختار الخزر دينا بغير دين هاتين القوتين العظميين من أجل حفظ استقلالهم. كما يقال بان الخزر تحولوا إلى اليهودية لأسباب اقتصادية، لان الخزر كانوا قد امتهنوا التجارة وكل من كان يريد التجارة فى تلك المناطق كان عليه أن يصبح يهوديا ليستفيد من مزايا شبكة مواصلات اليهود فى العصور الوسطى. وكانت هذه الشبكة تؤدى دورا يشبه منظمة التأمين الدولية.

---

١. **كستلر، آرثور**، «القبيلة الثالثة عشرة»، صص ١٨و١٩.

واستطاع الخزر ومن خلال اعتناقهم اليهودية، الإضطلاع بدور البلد الوظيفى الوسيط بين القوتين العظميين، لان كلتا القوتين، كانتا تمتلكان قوانين وأعراف خاصة بها ولم تكن ثمة قناة إتصال بينهما. وكان تجار الجانبين يتمكنون بالكاد من الدخول إلى البلد الاخر. ولهذا السبب كان من الضرورى وجود بلد ثالث هامشى ليقوم بالعمل والنشاط التجارى بينهما.[١]

ويقال بان حكام الخزر، أقبلوا لهذا السبب على ديانة سماوية توحيدية مثل اليهودية، ليكتسبوا شخصية وأهمية، وإيجاد مسافة بينهم وبين الأديان الشامانية[٢] **البدائية السائدة، وإقامة علاقة بينهم وبين حكام العالم الاسلامية والمسيحية.**[٣]

ويقول **كستلر** حول قرار الخزر بقبول الديانة اليهودية:

إن إعتناق اليهودية كان يمثل فى الحقيقة عملا نابعا من العبقرية. وبالرغم من أن المصادر العربية والعبرية تختلف عن أحدها الاخر فى تفاصيل القصة، لكن كلاهما يشير إلى الإستدلال آنف الذكر. ونورد مرة أخرى رؤية «برى»:

لا شك أن الأسباب السياسية دفعت بحاكم الخزر إلى إعتناق اليهودية، لان قبول الاسلام كان سيجعله من الناحية الروحانية تابعا للخلافاء الذين كانوا يسعون لفرض ديانتهم على الخزر. وكان هذا الخطر قائما أيضا فى المسيحية بان يتحول إلى رجل دين خاضع لإمبراطورية الروم. وكانت اليهودية ديانة مشرفة جديرة بالإحترام وصاحبة كتاب يكن لها المسيحيون والمسلمون الإحترام، وهذا الدين جعله فى مرتبة أعلى

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٢، ص ١٦٦.

٢. وكانت ديانة الخزر في مراحلها الأولية، بالشكل البدائي الشاماني، وكان الشامان (الكاهن والساحر و الطبيب) هم أعلى مرجع فيها.

٣. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٢، ص ١٦٥.

من المتوحشين الكفرة، وحال دون تدخل الخلفاء والإمبراطور، لكنه لم يرضخ لتقليد الختان وعدم المرونة فى الديانة اليهودية وسمح للجماهير أن تبقى على كفرها وعبادتها للأوثان.

وعلى الرغم من أن الديانة الجديدة لبلاط الخزر، جاءت بلاشك لأسباب سياسية، فان من الخطأ تصور أنهم اعتنقوا بين عشية وضحاها ديانة لم يكونوا على علم وبينة بمبادئها وتعاليمها.[١]

ويقول هذا الكاتب ردا على سؤال حول «إنفتاح الديانة الهيودية على غير اليهود، برغم ماضيهم وتقاليدهم الخاصة في عدم استقبال غير المنتمين لبني‌اسرائيل بين ظهرانيهم»:

إن يهودية بولان [ملك الخزر] كانت يهودية قرائية، بحيث أنه كان يؤمن بالعهد العتيق [لا التلمود]، وبعدها تطور وتحول إلى اليهودية الحاخامية. وقد ظهر المذهب القرائى فى القرن الثامن للميلاد فى العراق. وكان للقرائيين حملة تبشيرية قوية، اشتهرت بانها بقيت بصورة جلية فى بلاد الخزر حتى النهاية.

وتوجد حتى وقتنا هذا القرى اليهودية القرائية الناطقة بالتركية فى روسية. ولم يكن الخزر يتمسكون بجميع آداب وتقاليد اليهود، بل بقوا يطبقون الكثير من الآداب والتقاليد الشامانية.[٢]

مصير الخزر وهجرة اليهود إلى شرق أوروبا

وقد جرّب «الخزر» مثلهم مثل سائر الأمم والحضارات، وخلال تقلبات وصعود وهبوط التاريخ، الإنهيار والزوال، وتركوا عنهم أثرا مختصرا فحسب. وحسبما يقول **آرثور كستلر**:

---

١. **كستلر، آرثور**، «القبيلة الثالثة عشرة»، ص ٦٢.

٢. المصدر السابق، ص ٧٥؛ **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ص ١٦٦.

إن أهم معضلة واجهها الخزر، فى أواسط القرن الرابع، تمثلت فى تنامى قوة الـروس وهجماتهم المتكررة. وقد إنتزع الروس مدينة «كييف» من أيدى الخزر بحوالى عام ٢٤٨ م.[١]

وفي الحقبـة المعاصرة، أدى المصير المجهول لقبائل الخزر، لاندلا ع نقاش وجدال فكري. ويقول الأستاذ **عبدالله شهبازي:**

ويذهب بعض الباحثين إلى الإعتقاد بان الخزر هاجروا إلى شـرق أوروبا وأسسوا المجتمعات اليهودية باوروبا الشرقية. ويرى البروفيسور بولياك اليهودى[٢] **أسـتاذ التاريخ الأوسـط لليهود بجامعة «تل أبيب» أن قسـما مهما من اليهـود الحاليين، هم بقايا الخـزر المتحدرين من أصل تركى. وقدم آرثور كستلر اليهودى النظرية ذاتها فى كتابه «الخزر».**

إن ما تسبب فى هذا الزعم، هو بشكل رئيسى النقاشات النظرية والسياسة. إن هؤلاء هم الذين إعتبروا عادة ظاهرة الخزر، مستمسكا مناسبا لمكافحة العنصرية السـائدة فى اليهودية المعاصرة. وهذا الجهد، يستحق المديح. إن الصبغة العرقية لليهود تمتد إلى حد أنهم يعتبرون تلك الفئة من أتباع الديانة اليهودية ممن هم ليسوا «يهودا» من الناحية العرقية، «متهودون»[٣] **وليسوا «يهودا». وهكذا مجموعات توجد بين السود الافريقيين والهنود الحمر فى المكسيك وحتى فى «اليابان».**[٤]

وبذلک فان كسـتلر يرفض اسـطورة النقاء العرقى لليهود، ويؤكد على أهميـة العنصر العرقى للخزر فـى تركيبة اليهـود المعاصرين ويرى أن عوامل مثل التمازج والإختلاط العرقى والإعتداءات الجنسـية للفاتحين العديدين لارض «بنى‌اسـرائيل» سـببا لبطلان هذه «الأسطورة». لذلک

---

١. **كستلر، آرثور**، «الخزر»، ترجمة علي موحّد، طهران، ١٣٦١هـ .ش.، صص ٨٩-٩١.

2. A.N,Poliak.

3. Judaizer.

٤. أنظر: judaica,vol.10,397-402

فان الخـزر والمغالاة فی عددهم وکذلک التأکید علی اسـتدامتهم علی الدیانة الیهودیة، لا یمثل مستمسکا معقولا لخوض هذا النضال.

ووفقـا لبعض التقاریـر بما فیها التقریر «الکامل» لابـن أثیر، فان خاقان الخزر وبعد هجوم الروس بعام ۹۶۵ م. إعتنق الاسلام لکسب دعم أهالی «خوارزم» المسلمین. ولیس واضحا سـبب عدم الإهتمام بهذه التقاریر، وفـی المقابل، تصور الخزر، بانهم یهود ملتزمون ومتعنتون، یلجأون إلی بلاد شـرق اوروبا النائیة من أجل الحفاظ علـی دینهم؟! ویجب الإنتباه إلی أن قسـما مهما من أهالی بلاد «الخزر» اعتنقوا الاسـلام إبان رحلة «ابن فضلان»، لدرجة أن عاصمة الخزر، قسـمت إلی قسمین بجانب نهر الفولغا، ففی قسم، أقام «الملک ومرافقوه» وفی القسم الثانی، المسلمون. وتولی أحد الأفراد المسـلمین لبلاط الملک ویدعی «خز» أو «خزمة» رئاسة المسلمین.[1]

إن إعتناق بقیة شـعب الخزر، للإسـلام، فی العقـود اللاحقة، أمر مرجح ومعقول بالکامل.[2]

وفي منظور عدد من الباحثین بمن فیهم آرثور کستلر:

إن الوجود القوی للروس فی أقسـام من بلاد الخـزر، من جهة، ووجود السلجوقیین الأقویاء فی «ایران» من جهة أخری، وبالتالی هیمنة المغول علی أرجاء بلاد الخزر، مهد لإنهیار نظام حکمهم.

وورد في «موسوعة الیهود والیهودیة والصهیونیة» في هذا الخصوص:

ویذکر کسـتلر أن انهیار شـعب الخزر فی موطنهم التاریخی تزامن مع نشأة أکبر تجمع للیهود فی شمال غرب اوروبا. ولهذا السبب، فان جمیع المؤرخیـن یذهبون إلی أن هجرة الیهود الخزر کان لها الأثر فی توسـیع

---

۱. **أحمد بن فضلان**، «رحلة ابن فضلان»، ترجمة **سیّد ابوالفضل طباطبائي**، طهران، شرق، ۱۳۵۵، صص ۸۴-۹۸.
۲. **شهبازي، عبدالله**، «حکومة أثریاء الیهود والفرس»، ج ۱، ص ۴۸۷.

المجتمعات اليهودية فى «بولندا».[١]

ويورد **كستلر** محصلة دراسته حول كيفية تجمع اليهود في شرق أوروبا وبولندا هكذا:

إن الشواهد والقرائن المتوافرة، تمثل دليلا دامغا على صحة النظرية التى عرضها المؤرخون المعاصرون النمساويون والاسرائيليون والهولنديون الذين يقولون: إن أغلبية اليهود المعاصرين، ليسوا من أصول فلسطينية، بل يتحدرون من أصول قوقازية، وأن المسار الرئيسى لهجرة اليهود لم ينشأ من «البحر الأبيض المتوسط» ولم ينته من فرنسا والمانيا إلى الشرق، بل بدأ من القوقاز وانتهى عن طريق أوكرانيا ومن ثم بولندا، ومن هناك إلى وسط أوروبا أى الغرب. إن عددا غفيرا جدا من الهيود سكنوا بولندا بشكل غير مسبوق، فى حين أن عددا قليلا من اليهود أقاموا فى الغرب فى الفترة ذاتها، بينما كان شعب كامل من اليهود فى الشرق، يتحرك نحو حدوده الجديدة.

إن هذا التحليل والإستنتاج، وبالضبط من جانب باحث مثل آرثور كستلر اليهودي، يلغي الفرضية الصهيونية لحقوق اليهود في فلسطين والزعم بوجود العلاقة العرقية التي لا تنفصم للشعب اليهودي مع أرض الميعاد. وحسبما يقول **عبدالوهّاب المسيري:**

إن الصهاينة يسعون من خلال إثارة نظرية العرق النقى والتواصل الدائم مع أرض الآباء والأجداد، لتبرير إحتلال فلسطين. إن تحول الخزر إلى اليهودية بما يشبه تحول الإدوميين وباقى الشعوب إلى اليهودية يشكل عقبة أمام إثبات فكرة «العرق النقى». إن تحدر معظم يهود الغرب وبالأحرى القسم الأعظم من يهودالعالم من الأصل الخزرى، يبرهن عدم

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٢، ص ١٦٧.

صحة نظرية الحقوق اليهودية المبنية على أساس العرق.[١]

كما يشـرح **كسـتلر** كيف أن قبائل الخزر المعروفة بـ«كابار» انخرطت وهي في طريقها إلى بلاد «هنغاريا» [المجر الحالية] بالمجر وأرشـدتهم نحو موطنهم الجديد.

إن هذا الوضع، مشهود بما يمكن تسميته بتفرق الخزر فى المجر. ونتذكر أنه مرّ وقت طويل قبل انهيار دولة الخزر، حتى انضمت عدة قبائل منهم تدعـى «خابار» إلى المجر، وهاجروا إلى هنغاريا، وفضلا عن ذلك وفى القرن العاشـر، دعا الدوق تاكسـونى، الموجـة الثانية من الخزر إلى الهجرة والعيش فى بلاده... وربما كان عدد محدود من «اليهود الحقيقيين» يعيشون فى المجر منذ عصر الرومانيين، لكن لا شك بان أغلبية هذا الجزء المهم من اليهود، ناجمة عن موجات هجرة «خابار – الخزر» ممن اضطلعوا بدور بارز فى مستهل تاريخ المجر.[٢]

إن التناقص التدريجي للسـكان من جهة، وتفشـي وباء الطاعون الأسود من جهة اخرى، سـاهم في وصول الخزر إلى مرحلة الإندثار التام، لا بل وأنزلهم من الناحية الثقافية إلى مراتب أدنى وحتى البربرية، ويصف آرثور كسـتلر هذه الحالة كما يلي:

إن التناقص التدريحى لسكان النواة المركزية لبلاد الخزر – بين القوقاز، «دون» و«فولغا» – حيث بلغت زراعة الاسـتيب ذروتها، تسارع بسبب وباء الطاعون الأسـود فـى الأعـوام ١٣٤٧–١٣٤٨م.، وأصبح إنزلاق الخزر مجددا فى البربرية مقارنة بحضارتها السابقة، أكثر إحساسا به من المناطق المجاورة.[٣]

إن مـا تبقى من اليهود الخزر في هـذه البلاد، هو مجتمعات مبعثرة ومغلقة،

١. المصدر السابق، ج ٢، صص ١٦٧–١٦٨.
٢. **كستلر، آرثور**، «القبيلة الثالثة عشرة»، صص ١٤٥–١٤٤.
٣. **المسيرى، عبدالوهّاب**، « موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٢، ص ١٦٦.

بقيت لحد هذا اليوم، وتعيش بجوار بقايا القبائل القديمة.

في مقابل هذه الواقعة، استقر اليهود المهاجرون تدريجيا في شرق أوروبا واكتسبوا قوة، وقد كوّن هؤلاء بداخلهم نطفة سلسلة من الأحداث والتطورات، امتد أثرها إلى العصر الحاضر.

اليهود الغربيون واليهود الشرقيون (الأشكناز والسفارديم)

إن «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» تعتبر «اليهود الغربيين» أناسا هاجروا من العالم الغربي إلى اسرائيل، وبما أن أغلبيتهم من «الأشكناز» أي اليهود البولنديين المنحدرين من أصول ألمانية، ولذلك أصبح مصطلحا اليهود الغربيين والأشكناز مترادفين لأحدهما الاخر. وفي المقابل، فان اليهود الشرقيين، يطلقون على اليهود الذين غادروا «فلسطين» القديمة واتجهوا نحو العراق وايران وافغانستان وشبه الجزيرة العربية ومصر وبلدان شمال افريقيا وكازاخستان وجورجيا.[1]

لذلك فانه يجب البحث عن جذور وأصول اليهود الغربيين أو الأشكناز في بلاد «الخزر». بعبارة اخرى، فان اليهود الخزر وبعد هجرتهم إلى شرق اوروبا، والمانيا، أصبحوا يسمون بـ«اليهود الأشكناز».

وفي المقابل، أصبح اليهود الشرقيون يعرفون بـ«السفار». ويقول المسيري:

إن كلمة السفارد، أصبحت مترادفة اليوم مع كلمة الشرقي، لان غالبية اليهود الشرقيين لاسيما في الدول العربية، يتبعون السفارديم في الطقوس العبادية والعادات والتقاليد.

إن حكام اسرائيل معظمهم من الأشكناز، وهم يصرون على ذلك.

ويقول **عبدالله شهبازي** حول تفرق وتبعثر اليهود:

وقد خمن رافايل باتاى، تعداد اليهود فى العالم فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى، بمليون ونصف مليون نسمة إذ أن ١,٤

١. راجع: «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٢، ص ١٣٨.

مليون نسمة أى ٩٣,٣٪ منهم كانوا يعيشون فى البلدان الاسلامية وقسم مهم منهم عاشوا فى اسبانيا الاسلامية. ولذلک، فان اليهود الذين سكنوا البلدان الاسلامية، كانوا يسمون اليهود السفارديم (مأخوذة من مفردة السفاردى[1] العبرية التى تعنى «اسبانيا»). والثقافة الثانية لهؤلاء اليهود كانت اسلامية، وكانوا يتحدثون بلغة لادينو[2] (اليهود الاسبان) أو اللغات الشرقية للبلدان التى كانوا يقطنونها (العربية والآرامية والفارسية). وفى هذه الفترة كان عددهم مائة الف نسمة (٦,٧٪ من مجمل اليهود) ويعيشون فى أوروبا المسيحية واشتهروا باليهود الأشكناز (الألمانيين). وهذه المجموعة كانت تتحدث بلغة ييديش[3] (اليهودية الألمانية)...

وذكر مؤرخو جامعة «أورشليم» العبرية، أن عدد اليهود الذين أقاموا فى البلدان الاسلامية فى هذه الحقبة تجاوز نسبة ال ٩٠٪ من مجمل يهود العالم. وتقول «موسوعة اليهود» أن القسم الأعظم من اليهود ، كانوا يعيشون حتى القرن الخامس عشر للميلاد فى البلدان الاسلامية بما فيها «الأندلس».[4]

وبعد ذلک، لاسيما بعد القرن التاسع عشر، بدات العملية العكسية، واستولت الثقافة الأشكنازية شيئا فشيئا على المجتمع اليهودى. وفى عام ١٩٦٠ م. بلغ عدد اليهود الاشكناز ١١ مليون نسمة والسفارديم ٥٠٠ الف نسمة فقط.[5]

وعرضت نظريات مختلفة حول أصول اليهود الأشكناز، وقد أورد **المسيري** هذه النظريات بإختصار ويقول:

---

1. Sephardim.
2. Ladono.
3. Yidish.
4. ibid, p393, «Judaica», vol.12, p254.
٥. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ج ١، ص ٤٩٠؛ نقلا عن **كستلر، آرثور**، «القبيلة الثالثة عشرة»، ص ٢٢٨.

لقد أخذ مصطلح الأشـكناز من المفردة العبرية «اشكنازيم». والأشكناز هم يهود فرنسـا والمانيا وهولندا. إن الأشـكناز وكما جاء فى التوراة هو إسـم أحد أحفاد النبى نوح عليه السلام. والمرجح أن تكون الأشـكناز إسم قبيلة ظهرت إبان اسـر حـدون وتحالف أعضاؤها مع «آشـور»... وفى بعض الكتب الحاخامية، سـميت مجمل القارة الأسيوية اشكناز. كما أن مملكة الخزر، كانت تذكر باسـم الاشـكناز. وهذه المفردة اسـتخدمت للتذكير بالحروب الإفرنجية.

وهـذا المصطلح أخذ فى الوقت الحاضر من الأشـكناز بمعنى «المانيا». ومن الصعب معرفة منذ متى أصبحت هذه المفردة تستخدم بمعنى المانيا... ويطرح آرثور كستلر نظرية أخرى حول أصول أكبر قسم من الأشكناز. ويذهـب إلى أن اليهود فى فرنسـا والمانيا، إما أ، أبيـدوا بالكامل وإما أن لجاوا إلـى التخفى، وأن يهود بولندا هم فى الحقيقة بقايا يهود الخزر ممن تركوا بلادهم بعد الإطاحة بحكومتهم وأسسوا دولة «المجر"، ومن ثـم هاجروا من هناك إلى بولندا. وبالتالى، فان الأشـكناز هم من العرق التركى وغير السامى.

وقد تفرق الأشـكناز لاسـيما بعد هجمات اشـميلينكى فـى «أوكرانيا» (١٦٤٨م.) بـدء من بولنـدا وصولا إلى أوروبا، واسـتقر عدد منهم فى بولندا والمانيا وبريطانيا وأمريكا. وبعد الإنفجار السـكانى بينهم، هاجر الملايين منهم فى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد، إلى أمريكا وأمريكا اللاتينية واستراليا ونيوزيلندا. وبالتزامن مع الحركة التوسعية الامبريالية، توجهوا إلى اسـيا وافريقيا. وينسب هذا المصطلح إلى يهود شرق أوروبا بوصفهـم أهـم تجمع لليهود. ونرجـح نحن بطبيعة الحـال أن نأتى على ذكرهم تحت مسمى «يهود يديشى»...

إن الأشـكناز وبسـبب تواجدهم فـى المجتمع الغربـى، يمتلكون رمزا

دولیا. وبناء علی ذلک، فان معظم الشخصیات الیهودیة الشهیرة بدء من أینشتاین وصولا إلی کیسنجر وبالتالی راکیل ولش [الممثلة] هم من الأشکناز.[1]

إن قضیة الیهود والصهیونیة، أشکنازیة أصلا!

إن تفرق الیهود في کل أرجاء أوروبا، لم یؤد إلی إنصهارهم في الشعوب المستضیفة، بل أن هؤلاء الوافدین الجدد وبناء علی تقالیدهم، انتشروا في الأحیاء وحافظوا علی ترابطهم وتواصلهم. إن اشتغال الیهود وتمرسهم في التجارة والمعاملات الربویة وصنع النبیذ و...، لفت اهتمام المستضیفین الأوروبیین تجاههم، ومهد أرضیة إبداء السخط والکراهیة للیهود.

ویدعی الحي الذي کانت تقیم فیه الأقلیة الیهودیة، «غیتو».[2] وفي ایران تستخدم عبارة «محلة الیهود» لتسمیة هذا الحي. وتدعی الیوم المناطق التي تؤوي الفقراء وسکان الضواحي «غیتو» بصورة عامة. وقد أخذ هذا المصطلح «غیتو» ویعني ورشة السبك والصب، من إسم حي یقطنه الیهود في «فینیسیا»، والذي أسس عام ۱۵۱۶ للمیلاد. وکانت سلطات فینیسیا ترغم یهود المدینة علی العیش في هذا الحي. وفي القرنین السادس عشر والسابع عشر للمیلاد، أصدرت السلطات المختلفة – بدء من السلطات المحلیة للبلدیات وصولا إلی إمبراطور النمسا **تشارلز الخامس** – أمرا بانشاء غیتوهات اخری للیهود في «فرانکفورت» و«روما» و«براغ» وسائر المدن.[3]

ویقول **أبا إیبان** مؤلف کتاب «شعبي، تاریخ بني‌اسرائیل» حول توسیع أحیاء الغیتو:

وکان الیهود فی العصور الوسطی فی أوروبا، قد انفصلوا عن باقی

---

۱. **المسیري، عبدالوهّاب**، «موسوعة الیهود والیهودیة والصهیونیة»، ج ۲، صص ۱۳۵-۱۳۷.

2. Ghetto.

۳. موسوعة الهولوکوست: www.ushmm.org

شعوب الدول فى الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، وكانوا مرغمين على تنظيم حياة منفردة ومعزولة لهم، لان المسيحيين لم يكونوا يسمحوا لليهود بأن يصبحوا جزء من المواطنين الرسميين، للبلاد التى كانوا يعيشون فيها، وأن يستفادوا من الحقوق الاجتماعية. ونتيجة لهذا السلوك الذى اتبعه المسيحيون، تحول اليهود إلى هامش المجتمع، ولم يقيموا أى امتزاج واختلاط وعشرة مع الاخرين. وهذه العزلة إتضحت مع بناء أحياء الغيتو. وكانت مفردة غيتو Ghetto اعتمدت عام ١٥١٦ للميلاد، عندما أمرت حكومة فينيسيا بعزل اليهود وايوائهم فى أحياء خاصة كانت سابقا مقرا لورشات سبک وصب المدافع وصهر الحديد، وكانوا يسمونها Ghetto/ Nuo وبعدها استخدمت هذه المفردة على نطاق واسع.[١]

ويكتب الدكتور **حسين شكوهي** حول ماضي «غيتو»:

وربما يعود تاريخ السكن فى أحياء الغيتو، إلى عصر الروم القديم وعصر الساسانيين، إذ أن المجموعات العرقية والطائفية، لاسيما الأسرى كانت تقيم فى تلک الحقبة، فى أحياء خاصة فى المدن لكى تكون على تواصل أقل مع أهالى المدينة.

وفى عام ١١٧٩م. حظر المجلس الكنائسى، عيش المسيحيين بين اليهود. وكان المجلس الكنائسى يرى أن إيمان المسيحيين سيضعف على إثر التواصل مع اليهود. وكانت الغيتوهات الدينية موجودة أيضا فى البلدان الاسلامية منذ عام ١٢٨٠ م. وفى عام ١٥٥٥م. أمرت الكنيسة بتشكل غيتو «روما» وغطى خلال فترة زمنية وجيزة على جميع الغيتوهات التى يقطنها اليهود فى أرجاء ايطاليا. وتم تجميع اليهود من جميع المناطق الحضرية وأسكنوا فى الغيتو الخاص بهم. وفى داخل الغيتوهات اليهودية التى كانت تحيطها جدران مرتفعة، شيد اليهود الكنس والمدراس

١. **إيبان، أبا**، «شعبي، تاريخ بنى‌اسرائيل»، مكتبة ابروخيم، ١٩٧٩م. (١٣٥٨هـ .ش.)، صص ٢٨٦-٢٨٧.

والمحاكـم وعيادات الأطبـاء والصيدليـات والمتاجر وأماكـن الترفيه والمؤسسات الخيرية.

إن العزلة البيئية اليهودية تسببت بالا يتمكن هؤلاء القوم من الإنتماء الى المجتمع الأوروبى لقرون متمادية. وبعد الثورة الفرنسية، كسرت القيود، لكن هذه القيود استمرت فى معظم دول أوروبا الشرقية حتى أواخر القرن التاسع عشر. وفى الحرب العالمية الثانية، أحيا النازيون مجددا الغيتوهات اليهودية بحيث أن غيتو مدينة وارسـو كان يضم ٤٥٠,٠٠٠ نسـمة عام ١٩٤٠م. وكان النازيـون قد اهتموا بتأسـيس الغيتوهات ثانية فى جميع البلدان التى استولوا عليها.

ويمكن إسـتنتاج ما ذكر سلفا، بان الغيتوهات كان لها ماض طويل، لكن العيش فى الغيتوهات بالأسلوب الحديث، استمر بدء من الأحياء اليهودية فى مدن العصور الوسـطى وصولا إلى الغيتوهـات العرقية والغيتوهات الدينيـة وغيتوهات الفقر فى زماننا هـذا، إذ أن أتباع الطوائف والأعراق المختلفة والطبقة محدودة الدخل جدا، رضخوا قسـرا للعيش بعزلة بيئية داخل المجتمع الحضرى.[١]

ويقول **آرثور كستلر** حول موقع اليهود الخزر، بعد الهجرة إلى البلدان الأوروبية بما فيها «بولندا»:

إن تغييـر الحالـة اليهودية الخزرية إلى اليهوديـة البولندية، لم يؤد إلى الإنفصال المفاجئ عن الماضى وزوال الهوية. وهذا التيار المعقد المتمثل فى تغيير الحالة، نشـأ بشـكل تدريجى وكما برهين «بولياک» فان عددا من التقاليد الأساسـية للمجتمع الخزرى ظلت ثابتة وراسـخة فى بلادها الجديـدة. وهذه التقاليد ظهرت فى هيئة نسـيج إجتماعى أو نمط الحياة

١. **شـكوهي، حسـن**، «الجغرافيـا الاجتماعية للمدن، البيئـة الاجتماعية للمدينة»، مؤسسـة إصدارات الجهاد الجامعي، طهران، ١٣٩٢هـ .ش.

التى لم تشـاهد فى أى من مناطق العالم لدى المجتمعات المهاجرة، مثل الأحيـاء اليهودية التى سـميت بالعبرية «آياره»[1] وباليديش «شـتتل»[2] وبالبولندينة «مياستكو».[3]

ولا يجب الخلط بين «شـتتل» و «حى اليهود». إن حى اليهود هو عبارة عن شـارع أو منطقة داخل المدينـة، كان على غير اليهـود العيش فيها مرغمين. ومنذ منتصف القرن السـادس عشـر فصاعـدا، كان هذا يمثل الشـكل العام للسـكن اليهودى فى العالم المسـيحى والقسم الأكبر من العالم الاسلامى. وكان «حى اليهود» قد أحيط بجدران وله أبواب كانت تغلق فى الليل...

إن «شتتل» كان يختلف تماما، وكما ذكرنا سابقا، كان يمثل شكلا من الإيواء لم يكن موجودا فى أى نقطة من العالم سوى فى «بولندا – ليتوانيا». وكانت مدينة قروية تنتمى لنفسها، وتضم سكانا كلهم أو معظمهم من اليهود. إن نشأة «شتتل» تعود على الأرجح إلى القرن الثالث عشر، وقد تكون الحلقة الضائعة بين سوق مدن «الخزر» وأحياء انتشار اليهود فى بولندا.[4]

وعلـى أي حـال، فقد إنهزم الخـزر، أمام الروس الغزاة (٩٦٥م.) وخسـروا إمبراطوريتهـم، ومع ذلك، حافظـوا على حدودهم المصغرة حتى أواسـط القرن الثالث عشـر للميلاد. ويبدو أنهم عادوا حتى إلى عادتهم السـابقة في السـلب والنهب...

وينقل **آرثور كستلر** عن باحث شهير يدعى «بارون» قوله:

وبصفة عامة، فان مملكـة الخزر الصغيرة بقيت، وأبدت دفاعا مؤثرا إلى حد ما فى مواجهة جميع المنافسـين، حتى أواسط القرن الثالث عشر أى

1. Ayarah.
2. Shtetel.
3. Miastecko.

٤. **كستلر، آرثور**، «القبيلة الثالثة عشرة»، صص ١٥٦-١٥٧.

عندمـا تعرضت للضربـات الثقيلة للمغول الذيـن حركهم جنكيز. وحتى فى ذلک الحين، حيث استسـلم جميـع الجيران، أبدوا مقاومة عنيفة أمام المغـول... لكن وقبل هجوم المغول وبعده، كان الخزر قد أرسـلوا فروعا إلى داخل البلدان الاسلامية المستولى عليها والتى أثرت فى النهاية على تشكيل المراكز اليهودية الكبرى بشرق أوروبا.[١]

وقد تفرق اليهود الخزر، مثلما تفرق اليهود الساميون (العبريون) بنفس الجريرة. قوم عديمي الوطن، بذلوا في الوقت ذاته جهودا للتجمع مجددا حول حي، وأرض خاصة أو معبد ومدرسة و...

وحسـبما يقول مؤلف «القبيلة الثالثة عشـرة»، أنه بالرغم من أن خصيصتي التشـرد والعزلة، اجتمعتـا بصورة نادرة بين الاسـرائيليين القدامـى وخزر القرون الوسطى، وكان يغذيها الأمل بظهور المسيح وغرور الشعب المختار، لكن الخزر [وعلى العكس من الاسرائيليين القدامى] كانوا يعتبرون أن نسبهم يعود إلى [أبناء] **يافث**، وليس **سام**.[٢]

وقد حصل هذا التناقل، تدريجيا وعلى مرّ الزمن، إلى أن زال الخزر، واندثروا، وفي المقابل، ظهروا في بلاد أبعد، في شرق أوروبا.

... وحسب مقالة إحصاءات «موسوعة اليهود» فان مجمل عدد اليهود فى القرن السـادس عشر للميلاد، بلغ نحو مليون نسـمة. ويستشف من هذا الموضوع وكما ذكر «بولياک» و«كوتشـرا» واخـرون، أن الخزر كانوا يشكلون أغلبية أتباع الديانة اليهودية فى العصور الوسطى. وجزء كبير من هذه الأغلبية توجهوا إلى «بولندا» و«المجر» و«البلقان»، وأرسوا هناک مجتمعات الشـرق اليهودية والتى تحولت بدورهـا إلى الأغلبيةالمطلقة للعالم اليهودى... ويقول ى المؤرخ البولندى آدام وتولان:

١. المصدر السابق، ص ١٤٣.
٢. المصدر السابق، ص ١٤٤.

ويسلم المؤرخون البولنديون أن أقدم هذه المجتمعات، أسست على يد المهاجرين الذين جاؤوا من بلاد «الخزر» و«روسية»، فى حين أن يهود جنوب وغرب أوروبا بدأوا لاحقا بالمجئ والإقامة... وعلى الأقل فان جزء من اليهود (فى الماضى، الجزء الرئيسى منهم) جاؤوا من الشرق والخزر ولاحقا من «كييف» فى روسية.[١]

ويقول **أبا إيبان** وزير خارجية اسرائيل وسفيرها (١٩٤٨-١٩٥٩م.) لدى «الأمم المتحدة» في كتاب «شعبي» في وصف الهجرة اليهودية الكبرى منذ أواسط القرن الثالث عشر وبعد هجوم المغول:

وبينما كانت المواقع التى يقطنها المهاجرون اليهود على امتداد شواطئ «البحر الأسود» وجنوب روسية، تمتلئ بمهاجرين جاء معظمهم من بلدان الشرق، جاء من أوروبا الغربية أيضا يهود كانوا يتمتعون بثقافة شعب «المانيا» ونهج الدول اللاتينية إلى «بولندا» واستقروا فيها، وتحركت قوافل التجار اليهود من «غواكو» فى بولندا وقطعت الطريق الواصل بين «رجنسبورغ» و كييف. وتوجهت فئة أخرى بإتجاه غرب بولندا حتى «سيلزى» وكان التواصل قائما بين جميع اليهود.[٢]

وبدأت مبكرا في الممالك الأوروبية، معارضات دينية وصراعات ضد اليهود.

وبالرغم من أن هذه الخلافات تضرب بجذورها في القدم، لكن أداء اليهود في المناسبات السياسية والاقتصادية والثقافية لأوروبا، كان لها دور في إذكائها.

وكان المسيحيون منذ القدم، يعتبرون اليهود سبب وقوع السيد **المسيح** عليه السلام في قبضة الحكام الروم وقضية الصلب، ولم يماشوا بني‌اسرائيل واليهود في المبادئ العقائدية وبعدها الثقافية والأخلاقية. وفضلا عن ذلك، فان ممارسة اليهود، الربا في المجال الاقتصادي، و«السحر والشعوذة» في المجال السياسي والثقافي،

---

١. **كستلر، آرثور**، «القبيلة الثالثة عشرة»، صص ١٥٢-١٥٣.

٢. **إيبان، أبا**، «شعبي، تاريخ بني‌اسرائيل»، ص ٢٨٠.

كان يذكي لهيب حقد المسيحيين ضد اليهود. ويقول أبا إيبان:

وقد يكون الربا، هو أبرز مهنة امتهنها اليهود فى العصور الوسطى وبالتأكيد المهنة التى حطت من قدر وشأن اليهود أكثر من غيرها، أمام الاخرين. وكانت نتيجة قانون حظر الربا عند المسلمين والقوانين المماثلة له عند الكنيسة فى القرون الوسطى، أن الناس كانت تعتبر الربا، عمل الأشخاص الملحدين والكفرة... وقد اعتمدت الكنيسة والدول المسيحية قوانين صارمة تدريجيا تجاه مهنة الربا، ومنعوا الصفقات المالية بواسطة المسيحيين، وخلت محال الصيرفة، وكان اليهود هم الوحيدون القادرون على ملء هذه المحال الشاغرة، وممارسة هذه المهنة. ولم يدم الأمر طويلا، حتى أمسك هذا الشعب بالصفقات المالية بيده وأصبحت حكرا عليه.[١]

وبالرغم من أن اليهود كانوا يتقاضون منذ الماضي البعيد في تعاملاتهم الاقتصادية والتجارية مع غير اليهود (المسلمون والمسيحيون) الفائدة والربا، لكن الاقتصاد الربوي تمركز في الغرب إعتبارا من القرن العاشر للميلاد فصاعدا. وقد ذكرت اسباب عديدة لهذه الواقعة، بما في ذلك أن المسيري يرى أن أحداثا مثل الحروب الصليبية ساهمت في بروز هذه الواقعة، ويقول:

لقد حرمت الكنيسة الربا على المسيحيين، وصدرت فى هذا الخصوص عدة تعليمات أحدها عام ٣٢٥م. فى «جمعية نيقيا العامة» و عام ٥٣٨م. فى «مجمع اورليان». وكانت هذه التعليمات تحرم الربا بطبيعة الحال على رجال الدين لا كافة المسيحيين، إلى أن صدرت تعليمات شارلمان فى عام ٧٨٩م. وقد بلغ هذا التحريم ذروته فى «مجمع لانزال» عام ١١٧٩ للميلاد، وشمل كافة المسيحيين... لكن اليهود لم يحرموا الربا بل أنهم حرموا أخذ اليهودى الربا من يهودى أخر فحسب. وجاء فى سفر

١. المصدر السابق، صص ٢٢٠-٢٢١.

التثنية (٢٣/١٩-٢٠):

إن أعطيت الربا لأجنبى، فلا تعطى الربا لأخيك على شكل فضة وطعام أو أداة. أقرض على شكل ربا، لكن لا تتصرف مع أخيك هكذا حتى يضفى الله البركة عليك وعلى ما تضع يدك عليه فى الكرة الأرضية، وتمتلكه.[١]

ومثلما أن المرابين اليهود كانوا يعطون المال بالربا للملوك والنبلاء الإقطاعيين، كانوا يعطون المال بالربا ايضا للنبلاء من صغار الملاك والفرسان ومن ثم للحرفيين والقرويين المزارعين والفقراء، لدرجة أن آكل الربا، اضطلع بدور اقتصادى رئيسى فى المجتمع الغربى. وعندما كان الحاكم الإقطاعى يريد تزويج إبنته، أو تسديد نفقات الحروب الصليبية، أو إعمار أرض جديدة، أو أن تبادر بلدية لتشييد كنيسة ومراكز اسقفية، أو أن كان أعضاء الطبقات الدنيا، يواجهون مشاكل شخصية غير متوقعة، فكان المرابون يهرعون بأموالهم النقدية إلى مؤازرة المجتمع الذى كان بحاجة إلى هذه الأموال التى كانت تكفل بقائه واستمراريته.[٢]

ومن هنا وكما كتب المؤرخون، يمكن إستكشاف دور اليهود في تأجيج نيران الحروب الصليبية وإرسال فرسان الهيكل لغرض خاص إلى أورشليم، وتجهيز الاسطول البحري لمستشكف البلاد النائية والبعيدة و... ويشير **أبا إيبان** خلال دراسته لاسباب وموجبات كل هذا التشاؤوم حيال اليهود، إلى نقطة مهمة ويقول:

ويجب معرفة أن السحر كان فى العصور الوسطى أحد المستلزمات الضرورية التى كان يصطحبها اليهود معهم أينما رحلوا، وكانوا يستخدمون هذه الأسلحة للدفاع عن كيانهم ووجودهم على إثر الجهل وبسبب تخوفهم الدائم من الأوضاع، وهذا الأمر كان يؤدى على الدوام

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٢، ص ٢٨٥.
٢. المصدر السابق، ج ٢، صص ٢٨٦-٢٨٧.

إلى أن يشـــك الاخرون بهم، ويطلقون التهـــم عليهم، ومازالت ذكريات العصور الوسطى هذه حية بين الشعوب المتقدمة والمتحضرة فى العالم.[١]

وحســـبما يقر **أبا إيبان** والتجربة التاريخية، فان «الربا والســـحر» إســـتخدمتا كأداتين مهمتين لسلطة وهيمنة اليهود في العلاقات السياسية والاجتماعية خلال القرون المتادية.

وفضلا عن ذلك، فإن الأوروبيين المسيحيين، كانوا يوجهون تهما اخرى لليهود بما فيهـــا تلويث آبار الماء وتعريض الناس لأنواع الأمـــراض وقتل الأطفال واقامة مجالس خاصة للسحر والإساءة إلى مقدسات الديانة المسيحية، ويشيرون إليهم بالبنان.

وهنـــا يجب القـــول: إن التبرير الذي يســـوقه أبا إيبان حـــول اضطرار اليهود لإســـتخدام سلاح «الربا» و «السحر» غير مقبول البتة، لان «بني‌اسرائيل» وكما أظهرنا سابقا خلال مسار تطورهم وتغيرهم على مر التاريخ، كانوا يعتبرون أنفسهم ورثة **الســـامري** وحتى قبله، ســـحرة عصر **فرعون**، وجعلتهم جملـــة آثامهم المادية والثقافية، يستحقون وجاهزين للتفرق والتشتت بين سائر الشعوب.

ومـــن جهة أخرى، فان يهود الخزر الذي ســـكنوا أوروبا الشـــرقية، لم يكونوا بحســـب خلفيتهم القديمة، براء ومنزهين عن هذا التدنس. وكل هذا أدى إلى أن يرسم المسيحيون الأوروبيون في ذهنهم ولســـانهم، صورة **العناصر التجارية الطفيلية والمستغلة والمشاكسة** عن اليهود، ومن جهة أخرى، أعتبروا **مادة خام** وجاهزة لتنفيذ المشروعات الصهيونية للمستعمرين.

إن إذكاء ظاهـــرة «معاداة اليهـــود» جعلت عموم وعوام اليهود، مســـتعدين من الناحية النفســـية للهجرة مجددا إلى بلاد أكثر أمنـــا من «اوربا»، بل ووفرت الأرضيات العملياتية لتطبيق المشروعات الرهيبة والصهيونية لأثرياء اليهود. وقد ركز هؤلاء إهتمامهم وانتباهم على الإستيلاء على «بيت المقدس».

---

١. **إيبان، أبا**، «شعبي، تاريخ بني‌اسرائيل»، ص ٢٤٤.

ويمكن تأليف كتاب مسهب حول مجموعة العوامل التي ساهمت في تصاعد موجة الكراهية لليهود في أوروبا، مثلما أن العديد من الأعمال الأدبية الأوروبية والحوادث التي مرت على شعوب البلدان الغربية، مليئة بالمصاديق والنماذج والأمثلة البارزة على هذه الكراهية وردات الفعل الناجمة عنها.

وبذلك، فانه كلما اطلع سكان الغرب على المعتقدات الدينية المحرفة لهؤلاء وأدائهم السياسي و الاقتصادي أكثر فاكثر، كلما كانت تزداد كراهيتهم لليهود، وجعلتهم جاهزين لإبعاد ونبذ اليهود من مجتمعاتهم. وكل هذا يطلق عليه «قضية اليهود».

العوامل التي أدت إلى كراهية اليهود

إن اليهود لم يكونوا قادرين ببساطة وسهولة على إزالة ذكريات خطة قتل **عيسى المسيح**عليه السلام وقضية الصلب، من ذهن وروح المسيحيين، بحيث أن **الكسندر الثالث**، قيصر روسية، أعلن عام ١٨٩٠ للميلاد:

إننا لا ننسى إطلاقا بان اليهود هم من قتلوا عيسى المسيحعليه السلام **وأراقوا دمه المقدس.**[١]

ويقول الباحث الأمريكي **هنري لوكاس:**

إن المسيحيين الذين كانوا خلال العصور الوسطى يؤمنون بحقيقة دينهم، ويعتقدون بان اليهود، صلبوا عيسى المسيحعليه السلام**، كانوا ينظرون بكراهية وسخط إلى اليهود ويكنون حقدا شديدا تجاههم.**[٢]

إن التعاليم التلمودية رسمت من خلال الترويج للكراهية والحقد اليهودي تجاه غير اليهود (المسيحيون وغير المسيحيين) وإطلاق التهم غير المنصفة المتسمة

---

١. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، قم، بوستان الكتاب، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ .ش.، ص ١٦٧؛ نقلا عن: **سناء عبداللطيف حسين صبرى**، «الجيتو اليهودى»، ص ١٠٠.

٢. **لوكاس، هنري**، «تاريخ الحضارة»، ترجمة **عبدالحسين آذرنغ**، ج ١، ص ٤٨٨

بالكفـــر، حدودا غير مرئية بين اليهود والاخرين، بل أدت إلى بقاء الحقد والعداء بين اليهود وأتباع سائر الديانات والشعوب.

ويقول البروفيسور **اسرائيل شاهاك**، اليهودي متحرر الفكر المعادي للصهيونية:

إن «التلمود» وفضلا عن إطلاق سلسـلة من التهم الجنسـية البذيئة ضد عيسـى المسـيح، يقول أن عقابه فى الجحيم هـو أن يرمى فى حمام من الغائط المغلى.

ويواصل القول:

وهـل كانـوا (اليهود) يتوقعون بذلك كسـب حسـن نوايا المسـيحيين المؤمنين تجاههم؟![١]

ويمكـــن في الأدب التلمودي والعبراني وكذلك أداء اليهود، مشـــاهدة مظاهر عديدة من الروح التعسفية والعنفية لهذه الطائفة ضد غير اليهود.

ويشـــرح الشاعر اليهودي **شـــاول تشرنيكوفســـكي**، في قصيدة «بقوة سيفي"، المشاعر الحاقدة لليهود بشأن الاخرين:

سيفى! أين سيفى، سيفى المنتقم؟
أعطنى سيفى لأتغلب على أعدائى!
أين هم أعدائى؟
لكى أقضى عليهم كلما أسرع؟
وأمزقهم إربا إربا وأقطعهم تقطيعا
وسأحصدهم قريبا وأستئصلهم من الجذور...[٢]

وإضافـــة إلى ذلـــك، وكما ذكرنا ســـلفا، لقد كان اليهود فـــي اوروبا متهمين **بامتصـــاص الدماء وقتل الأطفال غير اليهود والعنصرية والنشـــاط الإقتصادي غير المنتج والربا وتجارة البغاء واحتكار التعاملات بالذهب والفضة** و...

---

١. **شاهاك، اسرائيل**، «تاريخ اليهود، عبء ثقيل لثلاث الفيات»، ترجمة **مجيد شريف**، صص ٧٠-٧١.
٢. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، ص ١٧٦؛ نقلا عن **سناء عبداللطيف**، ص ٣٦٨.

ويقول **كارل ماركس** مؤسس الماركسية، في كتابه «حول مسألة اليهود»:

إن المـال، هو إله اسـرائيل الحسـود بحيث أن أى إله آخر لا يسـتطيع مقاومته...

إن الإله الحقيقى لليهود، هو المال. إن إلههم يتجسد فى المال ليس إلا...

إن الوطنية الوهمية لليهود، هى وطنية الإنسان المحب للمال، إجمالا.[١]

وقـدم العديد من المؤرخين والكتاب في الغرب في أعمالهم الثقافية والأدبية، نماذج وإحصاءات مذهلة عن تواجد وعمل اليهود في النشاطات الاقتصادية غير المنتجة، وكذلك الرق والعبودية وممارسة الربا وحتى تجارة البغاء.

... وأقدم التجار اليهود فى ميناء «أوديسـا» الواقع على شـاطئ «البحر الأسـود» على بيع الفتيات والنسـاء، واحتكروا هذه التجارة لأنفسـهم. وكانوا يرسلون بضاعتهم إلى البيوت المنشودة حسب الطلب.

وفى الأحيـاء الفقيرة من «بولندا»، تكاثر اليهـود الذين يتجارون بالعفة والشـرف، لدرجـة أن المصلحين الاجتماعيين رفعـوا عقيرتهم إحتجاجا ورفعوا راية الإعتراض.[٢]

ويقول الدكتور **المسـيري** في «موسـوعة اليهود واليهوديـة والصهيونية» حول عمليات التجسس التي تقوم بها المجموعات اليهودية:

وبعد أن تفرقت المجموعات اليهودية فى أرجاء العالم لاسـيما فى العالم الغربـى، تحولـت إلى مجموعـات وظيفية. وكانت الحصيلـة أن تحول أعضاؤهـا إلى عناصر فعالة ومتحركة لم تبق وفية لأى أحد، بحيث كان بالإمكان تجنيد أشـخاص من بينهم للتجسس، خاصة أنهم كانوا يعيشون فى المناطق الحدودية. وكما ورد فى «تاريخ هيرودوت» أن «كمبوجية»

---

١. **ماركس، كارل**، «حول مسـألة اليهود»، ترجمة الدكتور **مرتضى محيط**، أختران للنشر، طهران، ١٣٨١، صص ٤٨-٤٩.

٢. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، المصدر السابق، ص ١٩٨؛ نقلا عن **عنايت، محمّدجلال**، «قوة اليهود في آمريكا»، صص ٢٢-٢٣.

وقبل فتح «مصر»، أوفد جواسيس يهود إلى هناك، ليجمعوا له معلومات.

إن انتشار المجموعات اليهودية أدى إلى ظهور شبكة من الإتصالات اليهودية، سهلت من تبادل البضائع والأموال وأسرعت فى عملية نقل المعلومات. وقد استخدم يهود البلاط فى القرن السابع عشر للميلاد، هذه الشبكات لجمع المعلومات ونقلها إلى الحكومات التى كانوا يدينون لها بالوفاء.

وكان «اليور كرامول» بصدد استخدام هذه الشبكات فى مجال التجارة والاستخبارات. ولذلك كان يريد تجنيد يهود للتجسس.

وكان يبدو أن «نابليون» كان أيضا بصدد تجنيد اليهود من أجل التجسس (وقد وضع هرتزل، ملك ايطاليا فى صورة هذه الحقيقة). وقد وظف نابليون قبل مهاجمته لـ«روسية»، عددا من اليهود كجواسيس، بالرغم من أن معظم هؤلاء الجواسيس، تجسسوا ضده ولحساب «القيصر»، لان المؤسسة الدينية [اليهودية] كانت تعتبره ألد أعدائها.[١]

وقد قدمت المستندات التوراتية، عمليات التجسس كتعاليم موسوية وشددت على ضرورتها.

وتقارنت نهاية العصور الوسطى وبداية التاريخ الغربي الحديث، مع أحداث عديدة شهدها العالم. فكان لخروج الاندلس من أيدي المسلمين، وفتح القسطنطينية في عام ١٤٥٣م. وإختراع صناعة الطباعة على يد **غوتنبرغ** في عام ١٤٥٤م. وبالتالي إكتشاف القارة الأمريكية في عام ١٤٩٢م. بالغ الأثر على المعادلات السياسية والإجتماعية في الغرب.

إن واقعة سقوط الأندلس المؤسفة، لم تكن غير ذي أثر على الحياة السياسية والاجتماعية لليهود. وكان ترحيل اليهود وهجرتهم إلى الدول الأوروبية، واحدا من تداعيات هذه الواقعة.

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهوديةوالصهيونية»، ج ٢، صص ٣٣١-٣٣٢.

الكابالا[1] (القبّالة) والتصوّف اليهودي

ويستحيل التعرف على «الجمعيات السرية» وطريقة تفكير وعمل هذه المنظمات الشيطانية، من دون معرفة العلوم الخفية والعلوم الغريبة[2] وعلى وجه الخصوص «الكابالا».

إن الإنطباع العام للناس عن المحافل المجهولة بما فيها الماسونية وأداء سائر محافلها السرية والخفية، هو أن أعضاء مثل هذه المجاميع والمؤسسات، يتصرفون فقط في إطار المناسبات والتعاملات السياسية والاقتصادية والمبنية والقائمة على العلوم السائدة والرائجة، في حين أن إستناد وإرتكاز هذه المحافل يقوم منذ الأزمان الغابرة، على العلوم الخفية، وللبقاء بمأمن عن توجيه أصابع الإتهام إلى هذه العلوم، أطلقوا عليها عناوين براقة وزائفة مثل التصوف والعرفان، ونسبوها إلى الأنبياء والأولياء الالهيين.

وبالرغم من أن العلوم السرية، وكما ذكرنا في الجزئين الأول والثاني من «قبيلة اللعنة» تم تداولها بين الأمم المختلفة بسمسرة الشياطين، وسلكت مسارها

---

1. Kabbalah.

٢. وتعد «العلوم الخفية» أو العلوم الغريبة، واحدا من فرعي «العلوم» في التقسيمات القديمة للعلوم في نظام التعليم بالمدارس الاسلامية. والفرع الاخر أي «العلوم الجلية» التي تطلق على الطب والمنطق والهندسة وغيرها، كانت تملك قوانين محددة وتدرج على غرار العلوم الحديثة، في الكتب وتدرس في المدارس. وكان موضوع العلوم الغريبة، يتمثل في قوى ماوراء الطبيعة، وكانت أسرارها تبقى حكرا على العارفين بها.

التكويني، لكن هذه العلوم كانت تتمتع بمنزلة خاصة لدى «بني‌اسرائيل» ويمكن العثور بشكل خاص على أسسها المتصلة بعلم الكون والوجود في «التلمود».

وكما أسلفنا، فان التلمود بوصفه مجموعة التفاسير الشفهية الحاخامية لليهود يشكل بعد الكتاب المقدس «التوراة»، أهم المصادر والمراجع الدينية والعقائدية لليهود.

إن رجوع بني‌اسرائيل إبان فترة السبي، إلى العلوم الخفية والعودة إلى التعاليم الباقية عن سنوات الإقامة في مصر، مهدت لصياغة مجموعة من هذه العلوم الخفية والتي انتقلت جيلا بعد جيل بين رجال الدين اليهود.

ويمكن اعتبار «الكابالا» جزء من مجموعة العلوم الخفية لحاخامات اليهود.

إن الكابالا أو «القبّالة» هي التعاليم الصوفية الرمزية وغير الوحيانية التي تم تناقلها وتداولها بين مجموعة من الزعماء اليهود منذ غابر الزمان. ويطلق عليها القبالة لكون هذه التعاليم تنسب إلى جمع من الزهاد والمتصوفة اليهود في العصر القديم ممن كانوا يعيشون لقرون خلت.

ويذهب مؤلف كتاب «اليهودية، دراسة تاريخية» إلى الإعتقاد أنه:

وبعد التلمود، فان التراث العرفانى اليهودى[1] الكابالا (Kabbala) ترك أعمق الأثر على اليهودية.[2]

ويقول الاستاذ **عبدالله شهبازي** في هذا الخصوص:

الكابالا هو الإسم الذى يطلق على التصوف اليهودى والتلفظ الأوروبى للكبالة العبرية، بمعنى القديم. وهذه المفردة، معروفة لدينا على شكل القبالة العربية.

إن أتباع طريقة الكابالا (الكباليون)[3]، يعتبرون هذه المدرسة، علما سريا

1. Jewish Mystieism.

٢. **ايستاين، إيزيدور**، «اليهودية، دراسة تاريخية»، ص ٢٨٣.

3. Kabbalists.

وخفيا للحاخامات اليهود، ويرون أن لها ماض ضارب في القدم.[١]

ويؤيد مؤلف وباحث «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» هذه النظرية ويقول:

إن القبالة هى مجموعة من التحليلات والتفاسير الباطنية والصوفية بين اليهود. والقبالة هى مفردة عبرية تعنى التواتر، والقبول بتراث الأقدمين. والقبالة فى الأصل كانت تعنى التراث الشفهى اليهودى، ويدعى الشريعة الشفهية. وهذه الكلمة اكتسبت فى أواخر القرن الثانى عشر معنى جديدا، واستخدمت للدلالة على أنواع التصوف والمعرفة الحاخامية المتحولة. ويطلق الأناس العارفون باسرار وخبايا القبالة، على أنفسهم إسم العارفون بالفيض الربانى.[٢]

ولا شك بان العلوم الخفية تمتلك في حد ذاتها «مبادئ وأسس ومصادر» خاصة تؤدي إلى ظهور علم الكون وعلم الوجود الخاصين اللذين يتعارضان والعلوم الوحيانية للأنبياء الالهيين العظام.

إن المفاهيم والمفردات والمصطلحات المستخدمة في المنظومة الفكرية للكابالا، وعلى الرغم من تشابهها واشتراكها في اللفظ مع سائر المفردات والمصطلحات السائدة في الأديان التوحيدية، تبرز تباينا جادا وأساسيا، وأن كلا من تلك المفاهيم والمصطلحات، يكتسب منزلة ومعنى متفاوتا، بما يتناسب مع النص والمنظومة التي تنتمي إليها.

والقبالة هي أكثر المصطلحات التقليدية المألوفة المستخدمة للتعاليم السرية والخفية اليهودية والتي تشير بمفهوم أوسع إلى جميع التيارات السرية اليهودية والتفسيرات الغامضة للكتب المقدسة العبرية، وبالرغم من محاولات الكابالليين، فانها لا تمت بصلة إلى العرفان النابع من الديانات التوحيدية والتعاليم الأصلية

١. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ج ٢، ص ٢٤٣.
٢. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ١٧٥.

والحقيقية للعرفاء المسلمين العظام، بل وبصفة خاصة، منفصلة ومنفكة عن مفهوم العرفان في تاريخ الأديان.

إن هيكلية المعرفة الكابالائية، مثلها مثل نظام كهنة معابد مصر، سرية، وتقوم أساساتها على العلوم الغريبة. فضلا عن أنه يجب البحث عن ماضي وتاريخ هذه العلوم في السنوات التي سبقت نشأة ديانة **موسى كليم الله**عليه السلام و «التوراة».

ويجب القول فيما يخص «بني‌اسرائيل» من أنهم وفي عصر السامري وبعد رحيل النبي موسى‌عليه السلام، أعرضوا عن أحكام التوراة بعد العودة إلى التعاليم المصرية القديمة التي اعتادوا عليها قبل عصر المنقذ موسى‌عليه السلام، وأعادوا إجمالا قراءة الشعائر والطقوس السحرية للمصريين القدامى وقبلوا بها، وخلطوا هذه التعاليم مع وجه من مكتوباتها وتعاليمها الدينية الوحيانية، ليعتبرونها معرفة سرية وصوفية نابعة من الكتب المقدسة.

ويتحدث **ويل ديورانت** في كتابه «قصة الحضارة» حول ماضي «الكابالا» أو حسب قول **عبدالله شهبازي** «ذروة الإنتاج الفكري لليهود» ويقول:

وقد عثر في فترة ما، خلال القرن الأول للميلاد على كتاب سرى فى بابل يدعى «سفر يصيراه»[1] (كتاب الخلق). وقد نسب الزهاد بمن فيهم يهوذا هالوى، تصنيفه إلى ابراهيم الخليل والله.[2]

ويبين مؤلف «قصة الحضارة» بعد هذا، مسار تنامي وانتشار الكابالا حتى العصر الحديث.

ويمكن تتبع إنخداع المجموعات المختلفة للمجتمع خلال التواجه مع الكابالا في أمور مختلفة بما فيها غموض التعاليم الواردة في المصادر الكابالائية ونسب تلك المصادر إلى الأنبياء والأولياء الالهيين.

لقد كان مؤلفوها، يخفون إسماءهم وهوياتهم، ويظهرونها خلف ستار

1. Sefer Yezirah.

٢. **ديورانت، ويل**، «قصة الحضارة»، ترجمة **أحمد آرام** واخرين، اليونان، اصدارات مركز تدريب الثورة الاسلامية، ١٣٧٢هـ .ش.، الكتاب الثالث، صص ٥٣٣-٥٣٤.

دینی مثل: أنوخ ونوح وابراهیم وموسـی وباروخ ودانیال. إن هذا الخفاء وتوحـد العرفاء الیهود مع الشـخصیات الدینیة، جعـل من الصعب علینا إعادة معرفة منزلـة هؤلاء الکتاب والعرفاء تاریخیـا واجتماعیا. إن هذا النموذج من الکتابة باسماء مستعارة وبوجوه مماثلة، خلد فی القرون التی تلت السنة العرفانیة.[1]

ویتطرق الدکتور **عبدالوهّاب المسیري** في «موسوعة الیهود والیهودیة والصهیونیة» تحـت مفردة العرفان الیهـودي (القبالة) إلی أحد أرکان التعالیـم الکابالائیة أي «الحلولیة» ویقول:

ویدعی التراث العرفانی الیهـودی، قبالة، وأمضی مراحل عدیدة ومهمة بما فیها قبالة زوهر، تحت مسمی القبالة النبویة وقبالة لوریانی، المعروفة بقبالة مشـیحانی. وکلمـة التصوف فی المنظومـة الیهودیة لها مفاهیمها الخاصـة بها، لان هـذه المنظومة متعددة الطبقـات، وتحتوی علی طبقة حلولیـة وقویة تشـاهد فیهـا قضایا بدء مـن العهد العتیـق وصولا إلی الشریعة الشفهیة، وتتجسد فی أفکار بما فیها الشعب المختار وأمة الروح والأرض المقدسة.

إن التراث العرفانی للقبالة، واسـع النطاق جدا، وأرسـی أسـاس تفاسیر حلولیـة وصوفیة فی کتب مثـل «زوهر» و «باهیـر» وقد حلت محلت التـوراة والتلمود. ویقـال أن الحرکات المشـیحانیة الحلولیة والصوفیة راجت وسادت بین المجموعات الیهودیة علی امتداد التاریخ.

إن الأفکار الفلسفیة، نادرا ما تشاهد بین الیهود، وتتجلی فحسب علی إثر التأثر بباقی الحضارات، وتتخذ فی معظم الأوقات شکل ومظهر الحلولیة، علی سـبیل المثال، وقع فیلون الاسـکندری تحت أثر الحضارة الهیلینیة ولم یکن یجید العبریة قط، ومع ذلک، تشاهد فی فلسفته النزعة الحلولیة

---

۱. **کاویاني، شیوا**، «دیانة القبّالة، العرفان والفلسفة الیهودیة»، فراروان للنشر، طهران، الطبعة الثانیة، ۱۳۸٤هـ .ش.، ص۱۸.

بقوة، ولم يكن لأفكاره الفلسفية أى أثر على التطورات التالية لليهودية. من جهة أخرى، فقد كان موسى بن ميمون الشخصية المميزة بين جميع المفكرين العقلانيين اليهود، قد تأثر بقوة بالحضارة العربية الاسلامية، لكن فى العصر الحديث ومع نشأة الأفكار الفلسفية الحديثة بين اليهود، نرى بان اسبينوزا، تقدم بفلسفته الحلولية على سائر المفكرين.

كما أن مارتن بوبر، ابرز المفكرين اليهود، إهتم كثيرا بالتصوف وحتى اعتبر واحدا من أعمدة التصوف فى تاريخ الفكر الغربى الحديث. وفى الحقيقة، فان الفكر الدينى اليهودى إتسم فى التاريخ المعاصر، بجوهر صوفى وحلولى، فيما تمثل الصهيونية، النقطة التى تبدو فيها الحلولية من دون الله.

ويمكن تمييز نوعين من التصوف: أحدهما يقع فى الإطار التوحيدى ونابع من الإيمان بالاله الذى يتخطى الانسان والطبيعة والتاريخ وكذلك الإيمان بالثنائيات الدينية الواسعة (السماء/الأرض، الإنسان/الطبيعة والله/الانسان). وتظهر هذه الرؤية فى التمرينات الصوفية، إذ يسيطر الصوفى من خلال قيامه بها، على تمرد جسده ليبرهن بذلک حبه لله ويتقرب إليه. إنه يدرى بانه غير قادر على الوصول إلى الله، والتوحد معه، لان الحلول الإلهى فى تضاد مع الرؤية التوحيدية وأن وحدة الوجود هى قمة الكفر وانعدام الإيمان. إن العارف الذى يقف فى إطار التوحيد يبرهن حبه لله عن طريق التمسک بالقيم الانسانية ويكرم القيم المطلقة التى أرسل بها الله إلى البشرية، ويعمر بذلک دنياه.

أما النوع الثانى، هو التصوف والعرفان الحلولى النابع من وحدة الوجود، ويحل على أساسه الله فى الطبيعة والانسان والتاريخ ويتوحد معها. وفى هذه الحالة، فان لا وجود مستقل له خارجها، ولهذا السبب، يختزل الوجود فى مستوى واحد ويتبع قانونا واحدا. وبالتالى فان كل من هو على

علـم بهذا القانون (الغنوسـية) قادر على حكم جميع العالم. إن السـيادة على العالم هى غايـة هكذا عارف [عرفان القدرة]. إنه وبدلا من مراقبة نفسـه الطائشة، يلجأ هنا إلى التفاسـير الباطنية وصنع التعاويذ والتمائم والعثور على الهياكل التى يستطبع بواسطتها التأثير على المشيئة الالهية ويكتسب هيمنة امبريالية على العالم.

إن التصوف هنا حتى وإن اتخذ شـكل الزهد، فان هدفه بلا شـك ليس احتـواء الذات، بـل الوصول والتواصل مع الله والفنـاء فيه، لكى يتمكن المرء من الإطلاع على الأسـرار الالهية وأن يصبح الله أو شـبيه لله. إن الصوفى الحلولى يهتم بنفسـه فحسـب، ولذلك، فانه لا يخطو فى إطار الزمان والمكان الإنسانيين. إن أداءه لا اثر له على مسار التاريخ ولا يهتم ببناء العالم. إنه يعتبر نفسه أعلى وأرفع من الخير والشر والقيم المعرفية والأخلاقية. [فى حين] إن تجربة العرفان التوحيدى تتبلور فى طريق بناء الذات، وطاعة الله وإصلاح الدنيا، لكن تجربة العرفان الحلولى تتجسـد فى إثبات الذات وجعل الله يطيع والعثور على سبيل للسيادة على العالم. وبالرغـم من أن لفظة التصوف والعرفان تسـتخدم لكلا النوعين، لكنهما يختلفـان عن أحدهما الاخر تماما. إن التصوف الحلولى لاسـيما الأنماط المتطرفة منه، يشـكل مظهرا من مظاهر العلمانيـة، لانه إن كان الله، هو المخلوقـات، فان المخلوقات سـتكون هـى الله. وإن يحل الله فى المادة، فان الطبيعة تصبح الله أيضا (كما قال اسبينوزا) ويستطيع العارف السيادة على الله والطبيعة والعالم. وهنا يمكن مشاهدة «الانسان الكامل» لنيتشة، الإنسان الذى يؤمن فحسب بقوة الإرادة وينبذ أخلاق الضعفاء.

ويمكن القول أن التصوف اليهودى، وبشـكل عام، حلولى وله توجهات غنوسـية قوية. إن الصوفـى اليهـودى لا يخطو بإتجاه التحكم بنفسـه المتمـردة وطاعـة الله، بل يسـعى لـدرک ماهية الله عن طريـق التأمل

والمعرفة الاشراقية، وأن يؤثر على الله ويفرض هيمنة امبريالية على العالم. وهنا تتضح علاقة التصوف اليهودى أو القبالة بالسحر وكذلك علاقة السحر بالعلم والغنوسية. ويطلق غرشوم شولم، على التصوف اليهودى إسم التيوصوفية، أى معرفة الله عن طريق التأمل والمعرفة الاشراقية. لذلك فانه يبقى بعيدا عن التمرينات الصوفية والزهد ويسعى لفناء الذات الانسانية فى الذات الالهية. وهذا التوصيف لا يتمتع طبعا بقوة تفسيرية هائلة، لان التصوف الحلولى اليهودى، هدفه الإتحاد مع الله والإنضمام إليه (دويقوت) وهكذا إتحاد يفضى إلى وحدة الوجود. وربما أن أكثر مواصفات التصوف اليهودية أساسية هى كونه يقع فى إطار الحلولية، وهذا الأمر جعله يختلف عن التصوف التوحيدى. لذلك إننا نفضل الإشارة إلى التصوف اليهودى من خلال مصطلح القبالة، لانه أدق وأكثر تحليلية.[١]

إن أتباع مدرسة الكابالا، ومن أجل إضفاء الشرعية على التعاليم الكابالائية الغامضة وبهدف البقاء بمأمن عن تهمة **اعتماد التعليمات السرية للمصريين القدامى**، إعتبروا أن المعرفة الكابالائية نابعة من قوة الدرك الهائلة والباطنية لمفسري «التوراة» ورأوا أن امتلاك **اليد الباطنية**، يمثل شرطا ضروريا لدرك تلك المفاهيم الخفية بين طيات الكتب الدينية اليهودية.

ويقول القباليون إن التوراة كتبت على النار البيضاء قبل خلق العالم بالنار السوداء، وأن النص الحقيقى للتوراة هو الشئ الذى كتب بالنار البيضاء، وهذا يعنى أن التوراة الحقيقية مخفية فى الصفحات البيضاء بحيث أن أعين البشرية لا تدركها.[٢]

إن عموم وعوام الناس، وبسبب فقدان الوعي بشأن العلوم الباطنية والساحات

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، صص ١٧٤-١٧٥.
٢. المصدر السابق، ص ١٧٥

الوجودية للانسان، يعتبرون أي تعاليم غامضة تكتنفها الاسرار والغموض، والسائدة في أقوال وأعمال الأمم المتخلفة، بانها نابعة من السير والسلوك النفساني و «التجارب العرفانية»، ويطلقون على أعمال من هذا القبيل إسم العرفان. ويتصرف الباحثون الغربيون بذات التفكير. إن إطلاق **العرفان اليهودي** على التعاليم الكابالائية نابع أيضا من سوء الإنطباع والإستنتاج هذا. إن هؤلاء الباحثين، وبسبب فقدان المعرفة حول العلوم الباطنية، ومع مقارنة الأعمال التي صدرت حول المتصوفة والعرفاء المسلمين وبعض التجارب الزهدية والنسكية للرهبان المسيحيين، ظنوا في ضوء الكتابات المليئة بـ**الإستعارة** والتوصيفات الشاعرية للحاخامات اليهود، بان هذه الأقوال مشتركة في الماهية مع التعاليم النابعة من التجارب العرفانية والتأملات النفسانية، وترتوي من نبع واحد. في حين أن التعاليم الكابالائية وبالرغم من التعقيدات الظاهرة للتمائم والرقى، وبسبب خلوها من أبسط مستوى من التجارب الزهدية والنسكية للهنود الحمر لـ«أمريكا اللاتينية»، والمرتاضين الهنود، فانها لا تندرج ضمن هذه الفئة ولا تتمتع بادنى درجة من المصداقية والإعتبار.

إن «الكابالا» تفتقد للباطن الحقيقي أصلا وهي صنيعة الذهن اليهودي تماما.

وعلى الرغم من العارفين بالله ممن وظفوا كل هممهم لكسب معرفة الله المتعال وإرتقاء المراتب النفسانية للانسان. عن طريق ترك الهواجس النفسانية، فان أتباع الكابالا، وفي ظل المكر التام وبهدف إغراء البشرية، ومع التشبه بصورة أقوال وأفعال المتصوفة والعرفان وحكماء الأديان التوحيدية، يقدمون التعليمات الكابالائية على أنها حقيقية وحصيلة التأملات العرفانية الحاخامية اليهودية لاسيما حول عالم الأرواح وترابط سكان هذا العالم السامي مع الظواهر الطبيعية بما فيها الشجر.

وفي الديانة الكابالائية وكذلك لدى الطوائف الباغانية[1] فان الشجرة تحظى

١. إن **الباغانية** (المشتقة من كلمة faganus) هي رديف للمشرك والكافر عند المسيحيين، لان مجموعة الديانات التي تسمى الباغانية، تم تداولها بما يتقارن مع ظهور المسيحية في أورشليم وانتشارها في الغرب والبلاد التابعة للروم، وكانت تشكل منافسا عنيدا وجادا للمسيحية. وهذه المفردة تعني القرية بينما تعني الباغانية ديانة أهالي

بمنزلة خاصة ومقدسة.

شجرة الحياة (Tree of Life)

إن مجمل علم كون هذه الديانة وعلم أساطير اليهود، يتم تقديمه بصورة رمزية في شجرة تدعى **شجرة الحياة** (Tree of Life). إن **شجرة العلم** (Tree of Knowledge) و**شجرة الموت** (Tree of Death) و**شجرة الأرواح** (Tree of Souls) و**الشجرة الكونية** (Tree of Isaacluria) هي استعارات ترتكز على مفهوم الشجرة، واستخدمت في التعاليم الكابالائية لوصف عالم الخلق. ومع ذلك، فان المنزلة المقدسة وكون الشجرة تمثل حلقة السماء والأرض في الديانة الكابالائية، لا تقتصر على معانيها الإستعارية فحسب. وفي هذه الديانة، فان الشجرة الأرضية ليس بوصفها مظهرا للخلق الالهي، بل كوسيط بين العالم العلوي والعالم الجسدي وهمزة وصل بين عالم الملكوت وعالم الناسوت. وحسب علم اساطير الكابالا واليهود، فان ثمة شجرة تدعى شجرة الحياة توجد في جنة عدن وفي السماء السابعة تُنتج منها الأرواح. والارواح التي تم إنتاجها تسقط في خزنة تدعى **غوف** (chamber of Guf) وتتريث هناك للهبوط إلى الأرض والولادة.

وورد في عقيدة ورؤية أتباع جميع الأديان التوحيدية بان كل كائن في تسلسلية الكائنات، من أدناها أي الجمادات إلى الإنسان، وما بعده، من سكان العوالم الملكوتية، يكون أعلى من ما قبله.

إن الكائنات الجمادية والنباتية والحيوانية، هي في مرتبة أدنى من الانسان، وتفتقد بذاتها إلى القدرات اللازمة لتحمل عبء الكائنات الأعلى منها. إن الضعف الوجودي الذاتي للكائنات الجمادية والنباتية، يحول دون أن تدع كائنا عاليا يستقر بذاتها أو أن تكون موضع صدور هذا الكائن الأعلى.

إن الانسان ومن أجل اكتساب المعرفة وسلوك مراتب الكمال (من الأدنى

القرية. (**كلسرخي، إيرج**، «تاريخ السحر»، طهران، علم للنشر، ١٣٧٧هـ .ش.، ص ١٧٠.)

إلى الأعلى) ليس بحاجة أبدا إلى الكائنات الأدنى منه، بما فيها النباتات؛ مثلما أنه في هذا المسار، بحاجة دائما إلى الكائن الأعلى. إن الكائن الأدنى مثل الجمادات والنباتات وحتى الحيوانات هو في مذهب عبادة الأوثان وغير الإلهي وغير الرحماني يكتسب فحسب مرتبة ودرجة أعلى من الانسان، ويكتسب القدسية حتى.

والمؤكد أن الأرواح المجردة، بعيدة عن الوصول إلى جميع الكائنات غير المجردة (من الجمادات إلى الانسان)، وهي بشكل خاص بتصرف اللّه المتعال ولا تحصل بعد الخروج من قفص الجسد، على رخصة وإذن للعدول والحياد عن أوامر اللّه المتعال. لذلك، فان الكائنات المتواجدة في المراتب الدنيا ليست قادرة على التواصل مع هذه الروح، لان أصحاب الأرواح العالية والرفيعة والقوية جدا، يكتسبون قدرة وقوة التواصل مع الأرواح المستقرة في عالم المجردات، بمن فيهم الأنبياء الإلهيين.

إن اليهود وعلى مدى السنوات المتتالية، تلاعبوا بالألفاظ والمصطلحات الملفقة، بحيث أن جماعة آمنت بأن ثمة شيئا قابلا للكشف وكامن في التعاليم الكابالائية. وجعلوا هؤلاء يقبلون بان كائنا مثل الشجرة، يملك الجهوزية لإنتاج الأرواح أو حماية وحراسة الأرواح المجردة.

وفيما يخص ما يروج له ويعلن عنه دعاة الديانة الكابالائية المزورة وغير الإلهية، تحت مسمى الإنطباعات النورانية والسامية، يجب القول أن اليهود أضفوا طابعا الوهيا على السحر الذي هو صنيعة أيديهم وجنود الشيطان، ليقدموا أنفسهم وأناس مثلهم، على أنهم أصحاب قوة أكبر وأسمى.

إن اليهود لم ولا يسعون أصلا لكشف سر العبودية وسلوك مراتب الكمال عن طريق التزكية النفسانية. إنهم يعتبرون أنفسهم أفضل من جميع الكائنات، ومنافس حقود لله المتعال، ويحاولون حتى لبيع روحهم الفاوستية[1] للشيطان من أجل نيل

١. إن **فاوست** (Faust) هو الشخصية الرئيسية لأسطورة المانية، وأن صفته «الفاوستية» هي توصيف للحالة التي

السلطة العليا.

وبما أن اليهود يرون أنهم الأعلى والأرفع وحتى أنهم يعتبرون أنفسهم أصحاب كمالات نسبة إلى اللّه بحيث يستطيعون جعل اللّه ينقاد لأوامرهم وإرغامه على تلبية مطالبهم، يعتبرون أن يد اللّه مغلولة في جميع الأمور. ويقول اللّه تعالى:

«وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»[1]

يتخلى فيها شخص يسعى للجاه عن الأخلاقيات من أجل الوصول إلى السلطة.
وفاوست هو أيضا إسم مسرحية ل**يوهان ولفغانغ فون غوتة** الألماني (١٧٤٩-١٨٣٢م).
١. سورة المائدة، الآية ٦٤.

الكابالا والتحرر

وكمـــا ذكرنا، فان «زوهـــار» هو واحد من الكتب المقدســـة لأتباع «الكابالا». ويعنـــي «زوهار» اللمعـــان والتألق. وهذا الكتاب وضع في القـــرن الثاني للميلاد باللغة الآرامية على يد **شيمون بن يوشع**. ويشتمل زوهار على ثماني عشرة صحيفة، تنطوي على إنطباعات خاصة وغامضة عن «التوراة» والعلوم الدينية والعصر القديم وكذلك بحوث حول نشـــأة العالم على شكل روايات أسطورية يكتنفها الغموض. واســـتخرجت من هذا الكتاب شجرة تدعى «سفيروت» أي «العدد والإحصاء". إن هذه الشجرة التمثيلية تشكل في الحقيقة المبادئ والأسس العقائدية للكابالا. ويطلق على كل غصن من أغصان هذه الشـــجرة «سفيره". وبالرغم من أن اليهود، قد أغلقوا على غير اليهود أبواب اعتناق الديانة اليهودية، لكن ليس ثمة قيود لغير اليهود في الديانة والفرقة الكابالية.

وبالرغـــم من أننا نؤكـــد بان القبالـــة، كانت بمنزلة نهضـــة على التراث الحاخامـــى، لكنها ضربت فـــى الوقت ذاته بجذورها فـــى طبقة الحلولية فى الهيكلية اليهودية متعددة الطبقات والعهد العتيق، هناك عندما يتوحد الله مـــع قومه. وهذا الإتحاد بيـــن الله والقوم، يعنى تجديد العهد والميثاق بين الله والقوم والتدخل الدائم فى التاريخ لحســـاب قومه، ويتجلى بهذه الطريقـــة، مـــن أن الله يهبط فى صورة عمود من النـــار لهداية الناس. إن

غضب الله وحقده وغرامه، يقتصر على هؤلاء القوم. إن حلول الله وغرامه بابنة صهيون، أفضى فى النهاية إلى نشأة عبادة الضحية المركزية، لان لحظة حلول وإتحاد الله مع القوم والأرض المقدسة، يتحقق فى يوم عيد العطاء، عندما يتفوه الكاهن الأعظم باسم يهوه بعد الدخول إلى «قدس الأقداس».

وأصبحت الأفكار الحلولية وعلى الرغم من معارضة الأنبياء لها، أكثر تجذرا فى القرن الأول للميلاد، وانتشرت بين الأسينيين وكتب وأسفار آخر الزمان، بما فيها كتاب «حنوخ» والكتب غير القانونية وفى الغنوسية اليهودية وغير اليهودية. وتعززت طبقة الحلولية أكثر فاكثر فى ضوء تجذر مفهوم التحرر المشيحانى بوصفه تحررا قوميا لا فرديا. وتشاهد قواسم مشتركة بين القبالة وكتب آخر الزمان، أهما الإيمان بالتحرر.

ولا يعتبر هؤلاء التحرر، مسارا أخلاقيا وتدريجيا، بل يرون بان هذه القضية تتحقق على شكل معجزة خارجية وفى ظل تدخل الله المفاجئ، وبالضبط عندما يظهر الماشيح الموعود وينشر فى نهاية التاريخ، نوره فى أرجاء العالم وتقام حينها جنة الأرض.[١]

وعلى غرار جميع الأنظمة العرفانية، فان العرفان [التصوف] اليهودى يتحدث عن ساحة حتى ماوراء الطبيعة، يرتبط بها الإنسان وبوسعه أن يُستدعى إليها وينقل قواها اللا متناهية. إن العرفان اليهودى ينقسم فى الحقيقة إلى قسمين:

١. العرفان النظرى[٢] الذى يرتبط بماهية العالم الروحانى وترابطه مع عالمنا ومكانة الإنسان فى كليهما؛

٢. العرفان التطبيقى[٣] الذى يسعى لامتصاص طاقات العالم الروحانى

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ١٧٧.
2. Speculative Mysticism.
3. Practical Mysticism.

التى تملك آثارا نفسية وتتسم بالإعجاز وتتواجد فى عالم الطبيعة.[١]

وبالرغم من أن معاجز الأنبياء الالهيين والمكاشفات والإنطباعات العرفانية وبالتالي كرامات أولياء الله والعرفاء بالله في منظور الديانات التوحيدية، تتطلب نوعا من الترابط الباطني للعارف بالعالم ماوراء الحسي (ماوراء الطبيعة) الرحماني، والذين يمكن إطلاق اسم العرفان العملي على هذه المجاهدة حقا، لكن في المقابل – وكما أوردنا في فصل الإستدعاء والتواصل مع القوى الشيطانية – فان أتباع مدرسة «الكابالا» وفي مجال تجربة العوالم وماوراء الطبيعة والكائنات التي تقيم في هذه العوالم، تتصرف وتعمل عن طريق السحر والتمائم والرقى وإجمالا، العلوم الخفية. إن هذه التجربة والتواصل، يؤديان بالتالي إلى إبرام عهد ثنائي الإتجاه، بين سالك طريق الكابالا (السحرة والصوفيون اليهود) والقوى الشيطانية، الصفقة التي ينتفع فيها كل من الطرفين، الإنسان والشيطان.

إن الصوفيين اليهود أو الكابالليين، يستخدمون العلوم والفنون الكابالية وممارسة السحر والشعوذة كأداة للتأثير على الأرض والتصرف في أرواح الاخرين والإستفادة من جميع القوى السائدة.

إن جوهر هذا التوجه والأداء يمكن تتبعه وتعقبه في المصادر التلمودية. وحسب المؤلف الغربي لكتاب «اليهودية ودراسة تاريخية»:

إن شواهد الجوهر العرفانى [التصوف اليهودى] أكان العرفان النظرى أو العرفان التطبيقى أو العرفان الممتزج بالسحر، تشاهد بوفور فى الأدب التلمودى. والتأملات العرفانية فى التلمود تقوم بشكل رئيسى على محور «معسة برشيت» (فعل الخلق)[٢] والذى تم توصيفه فى الفصل الأول ل «سفر التكوين»، و «معسة ميركافا» (العربة الإلهية)[٣] فى وصفت رؤيا

١. **ابستاين، إيزيدور**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ص ٢٦٩.

2. Maaseh Bereshit (The Work of Creation).

3. Maseh Merkabah (The Divine Chariot).

«حزقيـال». فالأول أدى إلى نشـأة اراء وأفكار علـم الكون[١] والمتعلق بخلـق الكون[٢] والثانـى كان له دور مثمر فى التأملات فى باب أسـرار وصفات الذات الالهية.

ومع ذلک، فقد تم إخفاء التعاليم العرفانية فى الدورة التملودية، على وجه الدقة، ومنع شـرحها وتبيانها إلا لعدد ضئيل مـن المريدين المختارين، خشـية أن يؤدى البوح عنها لغير العارفين بالرموز إلى تعريضها لسـوء الفهم، ويفضى إلى إتساع نطاق الشک والردة.

ويزعـم أن التعاليم الباطنية ل «معسـة برشـيت» و «معسـة ميركافا» نبعت من أفكار بعض العرفاء الذين أصبحوا إثر تربية قواهم الشـهودية وإنجذابهم العرفانـى قادرين على تجاوز الحواجز الطبيعية والولوج إلى الساحة العلوية، وأن يتعلموا هناک أعمق أسرار الأشياء.

ومـن بين هـؤلاء المعلمين التنائيين[٣] يتم ذكر إسـم «ربّـى يوحنّان بن زكاى»[٤] بوصفه أب ومؤسـس عرفان الميركافا، بينما يرتبط إسم «ربى عقيوا» بتأملات معسة برشيت.

وفى حقبة الغاوونى، واصلت مدارس عرفاء ميركافا وبرشـيت تأملاتها العرفانية، واتخذت مدرسة ميركافا من «فلسطين» مقرا لها بينما اتخذت برشيت من «بابل» مقرا لها بصفة رئيسية.

ويأتـى توصيـف خبرات عرفـاء ميركافا، فى فرع مـن الأدب العرفانى المعروف بـ هخالوت[٥] [القاعات السـماوية]، رغـم أن هذا الفرع وصل إلينـا بصورة ناقصة ومبعثـرة من حقبة الغاوونى. ومـن أجل الجهوزية للعروج إلى القاعات السـماوية فان عرفاء ميركافا الذين يسمون يورده

1. Cosmological.
2. Scepticism.
3. Tannatic.
4. Rabbi Jochananben Zakkai.
5. Hekaloth.

ميركافا[1] (الذين يهبطون فى العربة) يجب أن يتلقوا دورة تدريبية شاقة على أعمال الزهد والتنسك، بما فى ذلك الإغتسال والصيام الطويل وأن يتوسلوا إلى الأسماء السرية لله والملائكة ويجهزوا أنفسهم بالتالى لحالات الخلسة[2] والإنجذاب العرفانى[3]، والذى يفضى إلى نوع من الإستحالة[4] ويتحول فيها الجسم إلى نار. وبعد نيل هذه المرحلة، كان العارف يتصور أنه قبل فى القاعات السماوية السبع، وإن كان يملك من الكفاءة بما يكفى، لكان يكافأ مع مشاهدة العربة الإلهية، وكان يتعرف فى تلك الحقبة على أسرار المستقبل أو أسرار العالم العلوى.[5]

بعبارة أخرى، فان التعاليم الصوفية (النظرية والتطبيقية) اليهودية، كانت إلى ما قبل الكابالا ومن أجل التواصل مع العوالم الماورائية، تنحصر في الفرعين الرئيسيين، مدرسة ميركافا في فلسطين ومدرسة برشيت في بابل. وفي كلا الفرعين، فان الصوفيين اليهود التلموديين، وعلى إثر التمرس على التنسك والإستعانة بتراث السحرة المصريين والسامريين، كانوا في عوالم من العوالم الماورائية وبمدد بعض السكان غير الرحمانيين من الجنّ يتوصلون إلى معلومات أو ينجحون في العمل في نطاق من الساحات الأرضية والتصرف فيها.

وفي ظل الإبتعاد عن التعاليم السماوية، وقتل الأنبياء الالهيين ومحاكمة وإنكار نبوة السيد **المسيح**عليه السلام وبالتالي المواجهة الشاملة مع أتباء السيد المسيح عليه السلام، أعرض اليهود عن السماء في النظرية والتطبيق، وأصبحوا بصدد الثأر من الله ومؤمني الأديان التوحيدية، وجعلوا الشيطان وجهة نظرهم. لذلك فانه يجب التذكير أثناء دراسة أحوال وأقوال اليهود:

إن اليهود وخلال قراءة إله السماء الواحد جل وعلا، ينظرون إلى الشيطان،

1. Yorde MerKabah.
2. Ecstasy.
3. Trance.
4. Metamorphosis

٥. **ابستاين، إيزيدور**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، صص ٢٧٠-٢٧٢.

ويتوسلون إليه ويتمسكون به. إن الإشتراك فى الألفاظ والأسماء لا يجب أن يؤدى إلى القرصنة. إن التلمود يأتى على ذكر «سفر يصيرا» كعمل حول السحر إذ يهب قراءته لمريد المرشد، القوى الخالقة، لكن لا يبدو أن هذا العمل، هو سفر يصيرا الحالى. ومن الناحية التاريخية، فان «سفر يصيرا» هو أقدم عمل متعلق بالعرفان [التصوف] النظرى باللغة العبرية. ويشاهد فيه خليط من التعاليم العرفانية والفلسفية وهى كما سنرى، تشكل العناصر المقومة للقبالة.[١]

اليهودية المعيار

لقد بلغت حركة القبالة ذروتها مع نشأة كتاب «زوهار» تأليف «موسى دى ليون» (المتوفى فى ١٣٠٥ للميلاد)، الكتاب الذى تستند إليه جميع مدارس القبالة. وتعد مدينة «جرونا» فى «كاتالونيا» أحد أهم مراكز القبالة فى اسبانيا. وقد أسس القباليون مركزا لهم فى مدينة «صفد» بفلسطين (١٤٢١م.).

إن رواج وانتشار القبالة فى هذه المرحلة، مؤشر على معارضة الجماهير للتراث التلمودى الذى كان يروج له على يد الحاخامات ورجال الدين التابعين للشرائح الثرية والبلاط فى اسبانيا. وقد بادر أعضاء هذه المجموعات الأريستقراطية إلى الترويج والدعاية للفلسفة العقلية وساروا فى حياتهم العامة والخاصة على خطى هذه الفلسفة، الفلسفة التى لم تبق من وجهة نظر عوام الناس على الأقل، حرمة لبعض المعتقدات اليهودية. وقد اضطلعت القبالة بدور بالغ فى إبعاد أعضاء الأقليات اليهودية عن الفلسفة العقلية. وانتشرت هذه الفلسفة على يد موسى بن ميمون وباقى الفلاسفة الذين تأثروا بأعمال الفلاسفة المسلمين. وفى تلك الحقبة، كان

١. **ابستاين، إيزيدور**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ص ٢٧٤.

يطلق إسم «الكتب الشيطانية» على الكتب الفلسفية. وبعد أن تبلورت القبالة وانتظمت فى كتاب زوهار، إنتشرت فى اسبانيا وبعدها فى ايطاليا وبولندا فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وسميت القبالة النابعة من «زوهار»، بـ«قبالة زوهار» إذ يطلق عليها «غرشوم شولم» إسم «القبالة النبوية". وحظيت القبالة بمزيد من الإهتمام بعد طرد اليهود من اسبانيا، وتصاعد حمى المشيحانية، لاسيما وأن القبالة كانت تنطوى على الإيمان بتحرر قوم يسرائيل. وكان أحد أهم مراكز القبالة يقع بمدينة «صفد». وكان هذا المركز يضم مجموعة من اليهود السفارديم الذين طردوا من اسبانيا. وقد شعر هؤلاء لهذا السبب بعمق الكارثة، الكارثة التى أدت إلى عجز اليهود بالكامل وابتعادهم عن أى مساهمة فى صنع التاريخ.

ويعد اسحاق لوريا من أهم أعضاء هذه المجموعة والذى أسس «القبالة اللوريانية» فى مقابل القبالة النبوية أو زوهار. إن أبرز مفهوم أثاره لوريا هو مفهوم الشرر الإلهية المتفرقة. وبناء على هذا المفهوم، فان الانسان اليهودى شأنه شأن الله، له ضلع فى مسار تحرر العالم وعودة قوم يسرائيل وانتصارهم، وهذه المشاركة، هى مشاركة حقيقية وليست مجازية. وهذه المفاهيم، إستحدثت تواصلا بين التوجهات المشيحانية والتوجهات العرفانية – على الرغم من التضاد الظاهرى –، لانه إن لجأ التوجه الباطنى والحلولى العرفانى لكشف الأسرار الإلهية إلى التأمل والزهد، وهدفه الرئيسى هو فرض الهيمنة الامبريالية والفردية على العالم، فان التوجه المشيحانى يتجسد فى التاريخ أو بالأحرى فى العالم الخارج لفرض الهيمنة الامبريالية القومية والجماعية على العالم بصورة مباشرة، لكن لوريا قام بربط التنسك الباطنى والفردى الذى ينجز على يد الفرد، بالتيار الموفر للشرر الالهية المتفرقة وعمليات تحرر الانسان والعالم والذى اضطلع اليهود بوصفهم قوم بدور فيه، وبالتالى ربط كل

هذا بالعودة المشـيحانية والقومية لشـعب يسـرائيل. وقد أدى لوريا فى الحقيقـة إلى أن تظهر الطبقات الحلولية مرة أخرى على شـكل قومى لا فردى. وهنـا ظهر الإنفجار الكامن فى الفكر العرفانى المشـيحانى على شـكل القبالة اللوريانية، وأدى إلى ظهور الحركات المشيحانية الواحدة تلو الاخرى، الحركات التى بدات مع حركة «شـبتاى زوى» التى يمكن درک أسرارها ورموزها فى إطار القبالة اللوريانية فحسب. وهذه الحركة انتشرت بين اليهود منذ القرن السادس عشر فصاعدا.

وكان للقبالة أثر ضئيل على شـريعة «هالاخـا»، لكنها أثرت كثيرا على شـريعة «أغادا»، بحيث إمتزجتا ببعضهما البعض وأصبح من غير الممكن التمييـز بينهمـا. وهذا أدى إلى أن تترک القبالة أثـرا معمقا على الضمير اليهودى. وقد أثرت القبالة على الأدعية والتسبيحات والأذكار والأناشيد وآداب وتقاليـد يوم السـبت والأدعية والأخلاق والمعتقـدات المتعلقة بالملائكة والشياطين والماشيح وبصورة عامة على الأفكار المتعلقة بآخر الزمـان ودور اليهـود المنفيين. لذلک فان تأثير القبالـة هذا على الحياة اليومية والروتينية كان أكثر من أثرها على الشـؤون الشرعية والفقهية. وقد نقل القباليون، الشـؤون الشـرعية والفقهية للعلماء التلموديين الذين كانوا يصدرون فتاوى جافة وعديمة الفاعلية وبمنأى عن الحقيقة.

وتأسيسا على ذلک اندلعت توترات وخلافات بين القبالائيين من أنصار التفسيرات الباطنية والفقهاء من حماة الشريعة، لان الملمين بأسرار القبالة كانوا يعتبرون أنفسهم الأفضل وحتى أنهم كانوا يستهئزون بالحاخامات. وكانـوا يتلفظون العبـارة العبرية التـى تعنى الفقيه الأعظـم والحاخام، بالشـكل المختصر حمور (اللفظة العبرية للحمـار)، وكانوا يطلقون على فقيه الشريعة إسم «حمار ميشناوى» (منسوب إلى ميشنا).[١]

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ص ١٧٨

... وقد سيطرت القبالة في النهاية حتى على المؤسسة الحاخامية وأصبحت جزء لا يتجزأ من اليهودية الكلاسيكية أو اليهودية المعيارية والتلمودية. ويأتي «غرشوم شولم» على ذكر الاعوام ١٦٣٠ إلى ١٦٤٠ للميلاد بانها حقبة السيادة شبه التامة ل «القبالة اللوريانية» على الأفكار الدينية اليهودية. ويقول الحاخام «غويل سركيس» (١٥٦١- ١٦٤٠م.) الذى يعد أحد العلماء التلموديين البارزين: «كل من يحتج على المعرفة القبالائية، فانه سيخرج من حريم الدين».

كما أن «شولحان عاروخ» بوصفه أهم كتاب المؤسسة الحاخامية الارثوذكسية، يعتبر الإيمان بالقبالة فريضة دينية. وقد أصبحت القبالة ضمن الهيات الديانة اليهودية، ولم يجرؤ أى يهودى الإساءة إليها. وسعى مردخاى كوركوس عام ١٦٧٢م. لوضع كتاب ضد القبالة، لكن الحاخامات منعوه من ذلك.

وبالرغم من هزيمة حركة «شبتاى زوى» المشيحانية واعتناقه الاسلام، لكنه كان مايزال يسيطر على أنصاره وأتباعه. وبرر إعتناقه الاسلام على أنه انسان متحرر، وطأت قدماه عالم الذنوب والمعاصى، لجمع الشرر الالهية. وهذا الموقف أفضى إلى نشأة التوجه الافراطى ضد القوانين الشرعية. وقد سعى هذا التوجه لنبذ الشريعة الالهية جانبا، وجعلها عديمة الأثر. واستمر هذا التوجه فى «حركة فرانكيسم» و «يهود الدونمة» وبالتالى فى «حركة الحسيدية» (ونطلق عليها نحن إسم «روانغارى» أى إباحة المحرمات الالهية).[١]

القبّالة ومستقبل العالم

إن أحد الأوجه التي يمكن ذكرها حول التوجه الخاص للقبالة بشأن المستقبل

١. المصدر السابق، ص ١٧٩

هو الهيمنة على العالم واستقرار «بني‌اسرائيل» في «أورشليم» وتأسيس الحكم الاسرائيلي العالمي. وفي الحقيقة فان صوفيي القبالة، يسعون دائما لرصد مجمل الوقائع الجلية والخفية في العوالم المختلفة (إلى المدى الذي يقدرون عليه)، ويؤثرون بكل ما أوتوا من قوة على الأحداث وينظمون ويضبطون العلاقات والتعاملات الصغيرة والكبيرة للوصول إلى **المستقبل** المفترض والموعود.

ولا يجب أن ننسى بان المستقبل في هذا المسار وحسب كل ما تتابعه «المحافل الخفية»، سيتحقق من خلال الهيمنة غير الالهية وغير الرحمانية وبلامنازع لاشرار اليهود على العالم واقامة «هيكل سليمان» مجددا وإحياء جميع طقوس السامريين المنسية.

ويقول مؤلف كتاب «اليهودية ودراسة تاريخية:

إن إعادة الوحدة المفقودة [لبنى‌اسرائيل] التى تسمى «ييحود»[1] فى القبالة، هى عملية متواصلة، وكل شخص يُدعى للمشاركة فيها، وهذا الأمر يتم عن طريق الإتصال بالله والكمال الأخلاقى والروحى [إن الله الذى ينشده إليه اليهود ليس إله موسى وعيسى وسائر الإنباء الالهيين العظام]، لكن أعلى نصيب يجب أن يؤدى بصورة جماعية ومن قبل مجتمع اسرائيل لنيل هذا الكمال المطلوب. وهذه المسؤولية التى أنيطت إليهم لكونهم شعب مختار. وبهذا، أصبح شخينا[2] تابعا لاسرائيل، وأبرم معهم علاقة مبنية على العهد والميثاق، وتجسد أعمق هذه العلاقة الحميمة، فى بناء الهيكل. ومنذ تدمير الهيكل، لم تمر علاقة شخينا باسرائيل من دون مشاكل ومصاعب، والبركات التى نجمت عن هذه العلاقة، قلما كانت ثابتة ومؤثرة. ومع ذلك، لم يترك شخينا اسرائيل وشأنها. وقد

---

1. Yichud.

٢. إن شخينا هو مفهوم مفتاحي في الديانة اليهودية وفي الكابالا بشكل خاص. وهذا المفهوم يمكن مقارنته بمصطلح «السكينة» في الثقافة الاسلامية، لكن في معان أوسع نطاقا. وشخينا هو اخر سفيرا من السفيراء العشرة في الكابالا، ويكتسي أداء مهما في نظام الكونيات.

رافقهم شـخينا فی المنفی، وأظهر لهم حبا وعطوفة، مثلما يظهره الأبوان لابنهم المفضل، ومع ظهور المسـيح، وعندما اسـتعادت اسرائيل سلطتها السـابقة مرة أخرى بصورة مطمئنة، وارتبطت ثانية مع الله، ستعاد جميع الاشـياء والكائنات إلى المكان الذی كانت عليه فی المشـروع البدائی للخلقة، وستفرض السيطرة فی الأعلی والأدنی وسيتحد العالم فی ترابط موحـد، بحيث ورد فی «كتـاب زكريا النبی» (الباب ۱۴، الآية ۹): وفی ذلک اليوم، فان الله سـيصبح ملكا لجميع العالم، وسـيعبده الناس وحده، ويعتبرونه إلها.

ولنيل هذه الوحدة، منحت «التوارة» لاسرائيل، ويكون بوسع اسرائيل من خلال قراءة التوراة والعمل باحكامه وتعالميه، أن تضطلع بدورها الخاص فی نيل هذا الكمال الكونی المطلوب.

إن أثر وفاعلية قراءة التوراة ينجمان عن تطابقه مع نظام الخلق. ويتصور «زوهار» التوراة بانه خارطة أو مشـروع جسـد بواسطته الله، نفسه فی عالـم الخلق. «وعندما أراد الله خلق العالـم، نظر إلی التوراة وكل مفردة إبداعيـة فيه وخلق العالم بما يتطابـق معه، لان كل العوالم وجميع أفعال وآثار العوالم، واردة فی التوراة.» (**II.161a**) وكل كلمة رمز لشـئ وكل حرف ونقطة يحملان سرا بباطنهما.

لذلک، فان قراءة التوراة، والسعی لكشف معانيه الكامنة فيه، يتحول إلی أحد أهم واجبات بنی‌اسرائيل. «لان الذی يركز ذهنه علی التوراة ويدرک أسراره الباطنية، يمسک بالعالم بيد قدرته.» (III.61a) ومن جهة أخری، «إن الذی ينسی قراءة التوراة، وكأنه قد هدم العالم بأكمله.» (I.184b)[1]

وهـذا هو الزعم الذي يطلقه اليهود حول الإستنسـاخ الذي يقوم به اللّه. فهم يزعمون بان اللّه المتعال، قد خلق العالم وفقا لنسخة من آيات وكلمات «التوراة».

---

۱. **ابستاين، إيزيدور**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، صص ۲۸۹-۲۹۰.

وإستنادا إلى هذا التوجه التلمودي الخاص، وبعده الكابالائي يتم الإعلان أنه: في المرتبة الأولى وبعد حركة الإصلاح الدينية في القرن السادس عشر في أوروبا، إستحوذ التوجه الماشيحي وآخر الزماني على الأدب الديني «للمسيحيين البروتستانت» وفي المرتبة الثانية، نشأت «الحركة الصهيونية اليهودية» من جوهره.

وفي الحقيقة، فان تياري «المسيحية اليهودية» و «اليهودية الصهيونية» هما أبناء «التوجهات الكابالائية اليهودية» تجاه العالم.

إن الصهيونية هى وريثة القبالة من حيث الهيكلة، لانه كما تعد «الحسيدية» إحدى الحركات المشيحانية من دون الماشيح. فان الصهيونية هى أيضا حركة من هذا القبيل، لكنها كانت فعالة ونشطة. وكان الصهاينة يطالبون بتحرر اليهود على شكل العودة إلى «صهيون» من دون أن ينتظروا الماشيح. إن الصهيونية تؤشر فى النهاية إلى الطبقة الحلولية المركبة متعددة الطبقات والمتراكمة لليهودية. الطبقة التى بدت فى البداية على شكل رؤية حلولية مبنية على التحرر القومى وترابط مثلث الحلولية أى الله والقوم والأرض، لكنها إختفت لاحقا فى ضوء زوال القوة المركزية لليهود، لتظهر مرة أخرى على شكل فردى وعن طريق القبالة (النظرية والتطبيقية) وتجدد الوضع السابق فى الحقبة المعاصرة، لان القبالة، أضفت مرة أخرى بعدا قوميا على التحرر، وتجسدت فى هيئة الايديولوجية الصهيونية، وهى تعيد التداخل المطلق والنسبى، وتقيم ترابطا من خلال التركيز على حلول الله أو سريان روحه المقدسة، بين شعب يسرائيل والأرض المقدسة.

إن القبالة التطبيقية هى فى الحقيقة الهيمنة على أرض الميعاد ونقل اليهود إليها. وبذلك فان دولة اسرائيل تصبح ذلك الهيكل الذى يعبده الصهاينة واليهود فى العالم، ويقدمون الذبائح له. (إعادة تأهيل دين

القربان المركزى وبمظهر وهيئة جديدين وحديثين).[١]

ويقول الأستاذ **عبدالله شهبازي** في كتابه «حكومة أثرياء اليهود والفرس» حول الإرتباط بين الفرق الغامضة للعصر الحديث ومدرسة الكابالا:

إن التعرف على مسار نشاة الأوليغارشية للأثرياء المعاصرين، لن يكتمل من دون دراسة ترابط اليهود مع الأفكار والحركات الغامضة والمسيحائية التى ظهرت لاسيما حول التصوف اليهودى (الكابالا). وفى هذه الدراسة المهمة، سنرى هذه الأفكار فى الترويج لموجة الهجوم ماوراء البحار الأوليغارشى الأوروبى. وهذه الدراسة تكشف تلك الأسس النظرية والثقافية للحضارة الغربية الجديدة، والتى أغفلت فى كتابة تاريخ الرسمى للغرب. وفى أنموذج كتابة التاريخ هذا، فان نشأة الحضارة الغربية الجديدة، هى عملية مبنية على المذهب العقلى الذى يضرب بجذوره فى التوالد العقلى للقرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد.

إن دراستنا، تظهر على العكس، النصيب الأوفر للدوافع والتطلعات الغامضة والسحرية والخرافية فى هذا المسار. ومع التعرف على هذا البعد من الفكر والثقافة الغربية الحديثة، يمكن فحسب معرفة مكانة ودور الفرق الغامضة العصرية، لاسيما الماسونية فى الهيكلية السياسية والنظرية الأوليغارشية[٢] **للاثرياء المعاصرين.**

إن ما كان قد تراكم على مدى السنين والقرون المتتالية في جراب تطلعات وآمال بني‌اسرائيل، للوصول إلى السلطة العالمية عن طريق محورية الذات وبعد

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ص ١٧٩.

٢. الأوليغارشية، أو حكم الأقلية الاريستقراطية. وقد أطلق عليها غزنفون أيضا البلوتوقراطية أو حكومة الأغنياء، وهي في منظور **أفلاطون**، حكومة يتولى فيها الحكم عدد محدود من الذين يعتبرون جمع المال غايتهم.
والأوليغارشية هي مركبة من مفردة Oligos اللاتينية بمعنى العدد المحدود و Archos وتعني القائد.
ويعد **أرسطو** وأفلاطون من منظري هذه المدرسة. ومنذ عهد افلاطون، أصبحت الاوليغارشية في مقابل الاوتوقراطية والديمقراطية. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.)

الإنفصـــال عن الحقائق الدينية للأنبياء الإلهيين، كان قد حصل عن طريق **الكابالا** والفرق الشيطانية السرية والغامضة.

إن أشـــرار «بني‌اســـرائيل» وفي ظل معرفتهم بالســـيادة التي وعـــد بها «بنو اســـماعيل» في عصر نبي آخر الزمان ﷺ، وبعد ظهور أحد أحفاد بني اسماعيل [الإمـــام المهدي عجل الله فرجه الشريف]، ركزوا جل همهـــم واهتمامهم أولا على إظهار هذه الفكرة المسيحائية على أنها بني‌اسرائيلية، والتأكيد على أن بني‌اسرائيل هم شعب مختار، لتثبيت ذلك في أذهان بني‌اسرائيل بانه رزق مقدر وغير قابل للتغير وحظي بشهادة اللّه التعال، وثانيا، وفي ظل معرفتهم بغياب التأييد الســـماوي، استعانوا بالشيطان وجنـــوده، لتحقيق هذه الرغبة النفســـانية غير الرحمانيـــة – أرض الميعاد والحكم العالمي لبني‌اسرائيل –. ولذلك يمكن القول بشكل موجز:

إن «الكابـــالا» قائمة على محورين رئيســـيين هما **علم الشـــيطان والتواصل مع الشياطين وتأسيس مملكة اسرائيل بوصفها مملكة المسيح الموعود.**

ولابد من التســـاؤل إن هذه الإيديولوجية غير الالهية وســـندها الشيطاني أي العلوم الخفية والفنون السحرية (تراث السامري والمصريين القدامى) كيف خرجت من الشرق وانتقلت إلى أوروبا؟

إن الكابـــالا في الحقيقة هي مجموعة من النســـخ والأنظمة واللوائح الداخلية والتعليمات الموضوعة على يد الصوفيين والمتنســـكين اليهود للدعوة والتواصل مع القوى الماورائية الشـــيطانية، لكي يتوســـع بهذه الطريقة نطاق نظرة وعمل اليهود للهيمنة الجلية والخفية على العالم وسكانه، وتتوفر الأرضية لبسط القدرة الشيطانية وحكومته في آخرالزمان (وفي مواجهة موعود آخر الزمان).

إن اتساع نطاق وتعميم المفاسد والرذائل وإطلاق يد القوى الشيطانية الخبيثة (الجـــنّ والإنس) يعد من النتائج الأولية للتصوف الكابالائي وأن تاســـيس العالم أحادي الحكم الشيطاني هو غايته المنشودة.

وبمـــا أن الإصابة بالماديـــة النظرية والتطبيقية والتلوث بالنجاســـات الفيزيقية

والميتافيزيقيـــة وامتهان العمل الحرام، يفســـح المجال لحضور وعمل الشـــياطين في الميادين المختلفة لحياة الانســـان، فان الكابالليين اضطلعوا على مدى الأعوام الأربعمائة الاخيرة وبشكل ممنهج بأكبر دور لحرف أذهان وأنفس وألسن وأجسام سكان الأرض عن التعاليم الدينية للديانات الالهية والسماوية.

إن سر إهتمام قادة المحافل الخفية والسائرين على نهج الكابالا بهذه التعاليم يكمن في التجربة الموضوعية للتواصل مع القوى الماورائية.

إن الســـحر والإرتباط يوفر أرضية التجربة والحشـــر والنشر والتعامل مع القوى الماورائيـــة بطريقة بحيث يشـــعر مقيم الإُرتباط بانه قـــوي وأفضل من عامة الناس والجميع، ومع التجربة الشيطانية العذبة، لهذا الإرتباط الخفي، الذي يحصل عادة من خلال ســـلوك المراتب والسير والسلوك الشيطاني، يصبح غير مستعد للتخلي عن هذا المســـلك. فضلا عن أنه وحســـب التقليد الشيطاني، فان مقيم الإرتباط ومنـــذ المراتب الأولى، يتعهد في مقابل تلك القوى ويدمر الجســـور التي خلفه، بحيث لا يبقى له طريق وسبيل للعودة.

وفي تجربة العرفان العكســـي والشيطاني، فان الصوفيين الكابالليين، ومن أجل الدعوة والتواصل، يضطرون للقيام بالكثير من الممارســـات والأعمال الشـــيطانية المناهضة للدين (كسر القدسية)، وهذا يحولهم بطبيعة الحال إلى شياطين الإنس.

ولا يجب أن ننســـى بان القوى الجنية الشـــيطانية، هي متنوعة ومتعددة وأن مجالات انتشـــارها متداخلة لدرجة أنه من غير الممكـــن لعامة الناس تحديدهم ودركهـــم. إن هذه القوى غير المرئية، لكن الفاعلـــة، هي حقيقية وصاحبة تجربة وخبـــرة، وخبيثـــة وتملك عمرا طويـــلا للغاية، وتضع أفضـــل الإمكانات بتصرف الكابالليين للمضي قدما بأهدافهم مرحلة بمرحلة.

إن الوســـائل الحديثة والتكنولوجيا بما فيها الســـينما والموســـيقى والإنترنت والحضارة التكنولوجية والعصرية، ونمط الحياة النابعة من الساحة الثقافية والحضارية العلمانيـــة، من جهة، وكذلك الإبن وحصيلة الزواج غير الشـــرعي بين الانســـان

والشيطان من جهة أخرى، يشكل سندا ودعامة لهذا الإرتباط والمستقطب للناس في هذا العالم مترامي الأطراف.

وبالرغم من أن هذا الكلام، تتيقله الآذان بصعوبة، لكن يجب القول أن النظام الشـيطاني وآخر الزماني للدجال، في تراتيبيته، يعتبر ابليس كإله وجنود الشيطان كأنبياء واشـرار الكابالليين كوسـيط ورابط له. إن هؤلاء المجتمعين في المحافل السـرية والخفية، ينفذون أهداف إلههم. وبعدهم، فان المحافل والأوساط الدولية وقادة الدول الغربية (وبعض سـلاطين الشرق) هم أداة بيد هذه المحافل، ليتم في هذا المسار وضع كل استراتيجيات وتكتيكات هذا الإله، موضوع التنفيذ.

إن تعميم المفاسـد والرذائل، وإطلاق يد الجنّ الشـيطانيين على روح ومال وجسـم الأناس (عالـم الدخان) وهجر رجال أهـل الإيمان والتعاليـم الوحيانية التوحيدية، في السـنوات التي تسـبق ظهور الموعود المقدس، هي من نتائج هذه الواقعة الرهيبة.

ولا يجب نسـيان أن مجمل هؤلاء معرضون لمكر الله. وعندما يمتحن جملة الناس في خضم بحر الإبتلاءات، يتم التمييز بين الصالح والطالح والجيد والردئ، ويحيـن الوقت المعلوم، وينهار عرش ابليس وحلفائه بغتة على يد حضرة صاحب الأمر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. إن شاء الله.

الفصل الثالث

تدنس أوروبا بالعلوم الخفية

اليهود والسحر في العصور الوسطى

إن الحديث عن الكتب والمصادر النظرية لليهود (التوراة والتلمود والكابالا) ومسار نشأة أسسها، هو الحديث عن المبادئ النظرية والعقائدية الخاصة التي تنطوي بحد ذاتها على «حجة العمل» الفردية والجماعية لليهود، وهي التي تبرز في جميع التعاملات والمناسبات الجلية والخفية. وهذه المصادر، أماطت اللثام عن الطبقات المتداخلة لميل اليهود إلى الشرك وعبادة أوثان عصر الفراعنة، وأظهرت سلسلة إعتقادهم وعملهم بالعلوم الخفية والسحر. وكما تم توثيقه في الأجزاء السابقة من «قبيلة اللعنة»، فان تراث الفراعنة انتقل عن طريق أشرار اليهود (أتباع السامري) إلى الأجيال اللاحقة. وقد أشارت أحد أقسام «التلمود»:

وقد نزلت إلى الدنيا عشرة مكاييل من السحر، التقطت «مصر» تسعة مكاييل منها وبقية الدنيا مكيال واحد.[1]

وهذا لا يعني أن المصادر التوراتية والتلمودية هي نفسها مصادر تعليم السحر، بل أن هذه المصادر المحرفة – عن الحقائق الوحيانية للديانة الموسوية – تسببت بظهور توجه نحو العالم والانسان، دفعت باليهود أكثر من أي زمن وحقبة، نحو العلوم الغريبة والغامضة. وفي الحقيقية فان اليهود، أخذوا حجة عملهم ونظريتهم

---

١. **كُهن، آبراهام**، «اللّه والعالم والانسان في التعاليم اليهودية»، ص ٢٣٤؛ نقلا عن: «التلمود»، عبارة وشين، ح ٤ ب.

من هذه المصادر، التي إنحرفت عن مسار الحقيقة بإتجاه العلوم الخفية.

والوجهة الرئيسية لليهود، في المتابعة التطبيقية والنظرية لهذه التعاليم، لم تكن سوى «السلطة»، بعبارة أخرى، فان هذه المصادر، كانت تصنع من كل يهودي، تمثالا ومجسما ل «الإرادة اللاهثة وراء السلطة»، في حين أن المصادر الدينية الموسوية الحقيقية، كانت تعتبر «العبودية التامة» بانها الوجهة النهائية للانسان المؤمن.

جدير ذكره أن تاريخ «التلمود» بدأ منذ السنين الثلاثمائة قبل ميلاد المسيح، واستمر حتى السنوات الأربعمائة بعد ميلاد المسيح.[١]

إن التملود، أبرز بشكل جلى للغاية، الصراع والنضال الذى كان سائدا بين المبادئ والمعتقدات الطاهرة والعقلانية [حسب تعبير آبراهام كهن] ل"التوراة» من جهة، والمعتقدات السخفية والخرافية لأناس تلك الحقبة من جهة أخرى. ويستهجن الكتاب المقدس، أى ضرب من السحر وأى نبؤات والرجم بالغيب بشدة، ونلاحظ بناء على ذلك، بان مجموعة من العلماء اليهود، لاسيما فى العصور الأولية للتلمود، قد ناضلوا ببسالة وقوة لإستئصال فساد السحر الذى كان قد تهدد المجتمع، لكن هذه النضالات، لم تحقق نتيجة، واستولت السذاجة على العقل والإيمان.

وعرضت الآيتان ١٠ و ١٢ من الفصل الثامن عشر ل «سفر التثنية» أوجه من ممارسات السحر والشعوذة التى كانت رائجة وسائدة فى تلك الحقبة بين الشعوب العابدة للأوثان، وقد منعت «التوراة» بنىاسرائيل من ممارسة هكذا أفعال. ويستشف من الشرح الذى قدمه العلماء اليهود حول الأعمال المذكورة، أن هذه الممارسات كانت سائدة فى عصرهم أيضا.[٢]

ويقول **آبراهام كهن**، حول الإنتشار العام للعرافة والتبصير والسحر بين اليهود:

---

١. **يحيى، هارون**، «أسس الماسونية»، ص ١٥.

٢. **كهن، آبراهام**، «اللّه والعالم والانسان في التعاليم اليهودية»، صص ٢٣٠-٢٣١.

إن حقيقة أن «التلمود» يشير بصورة مستمرة إلى العرافة والسحر كأعمال خاصة لعبدة الأوثان، مؤشر اخر على هذه الرغبة التى تبعد وتطهر وتنزه المجتمع عن هذه الممارسات السيئة...، لكن وعلى الرغم من كل الجهود التى بذلت من قبل العلماء اليهود لإزالة السحر ، فقد تغلغلت هذه الخرافات بين عوام الناس واستحوذت على جميع الطبقات والشرائح.[١]

إن دراسة التلمود تضع بين أيدينا، الكثير من الشواهد عن تورط بنيإسرائيل بالسحر:

إن التلمود يقدم شواهد كثيرة تشير إلى رواج كل أنواع الخرافات بين عوام الناس فى تلك الأزمنة القديمة. وفيما يخص إنحطاط وزوال الحياة الوطنية، لدينا هذه الأقوال: إن الممارسات المنافية للعفة والحشمة والزنا والسحر، قد أبادت كل شئ. (ميشنا سوطا، ١٣:٩) وكذلك: عندما تزايد وتكاثر الأناس الذين كانوا يستعملون الطلاسم والتمائم كعامل للحفظ والوقاية فى مقابل غضب الله، نزل غضب الله على العالم، وابتعد شخينا عن اسرائيل. (توسيفتا سوطا، ٣:١٤)

وقد أشير سابقا إلى رواج السحر بين نساء اسرائيل فى ذلك العصر. وقيل حول «شيمعون بن شطح» الذى كان يعيش فى القرن الأول قبل الميلاد، أنه أعدم ثمانين إمرأة ساحرة فى يوم واحد بمدينة «اشقلون». (ميشنا سنهدرين، ٤:٦).

وقال «أبى يوحانيان» إن أى أحد لا يقبل فى عضوية «مجلس السنهدرين الكبير» إلا إذا كان ملما بعلم السحر والشعوذة فضلا عن تحليه بالصفات والمعلومات المختلفة. (سنهدرين ١٧ أ)

إن الإيمان بأثر النجوم على حياة الناس، كان سائدا بقوة بين الناس.

---

١. المصدر السابق، صص ٢٣٤-٢٣٥.

وقالوا بان النجوم لا أثر لها على مصير الحيوانات. (شبات، ٥٣ ب)[١]

وحسبما يقول **أدين اشتاين سالتز** (ولادة ١٩٣٧م.) مؤسس «جامعة موسكو اليهودية» و «سن بطرزبورغ» وشارح ومفسير «التلمود البابلي» ومن الحاخامات المؤمنين بالسنة واليهودية التلمودية؛

إن كان الكتاب المقدس يشكل الحجر الأساس لليهودية، فان «التلمود» سيشكل نصوصه الرئيسية، والتى انبثقت من قمة الأسس وترفد مجمل البناء والعمارة المعنوية والعقلانية لليهودية. إن التلمود يعد من الكثير من الابعاد، أهم كتاب فى الثقافة اليهودية والعمود الفقرى لإبداعهم وحياتهم القومية. ولا يمكن العثور على أى كتاب قد أثرّ بقدر التلمود على الحياة اليهودية فى النظرية والتطبيق، وتكوين محتوى ومضامينها المعنوية والإضطلاع بدور مدونة السلوك. إن اليهود كانوا يعرفون جيدا بان بقائهم ونموهم يكمن فى قراءة التملود.[٢]

وفي ضوء الرجوع إلى مضامين وتعاليم التلمود، يمكن أن نجد الجذور النظرية والتطبيقية ل «اليهودية الصهيونية» وزعماء «المحافل السرية»، ومشاهدة أساس توجهاتهم نحو العالم وبارئ الكون والعباد المستضعفين لاسيما المسلمين.

ويقول **ويل ديورانت** حول انتشار وانتقال هذه التعاليم في الثقافة العامة لليهود وبين طبقات التقاليد الأسرية لليهود:

وفى اليهودية، كان كل منزل، كنيسا، وكل مدرسة، معبدا، وكل أب، كاهنا. وكانت الأدعية والطقوس الدينية للكنيسة، تقام فى المنزل بالضبط، لكن بشكل مقتضب. وهناك كانت تقام أيام الصوم والأعياد الدينية بطقوس وبروتوكولات خاصة، إذ كانت تربط الحاضر بالماضى والأحياء بالموتى وحتى بالكائنات التى لم تكن تبصر النور حتى. وكان

---

١. **كهن، آبراهام**، «اللّه والعالم والانسان في التعاليم اليهودية»، صص ٢٣٦-٢٣٧.

٢. **اشتاين سالتز، آدين**، «نظرة على التلمود»، ترجمة **باقر طالبي دارائي**، مركز دراسات وبحوث الأديان والمذاهب، ١٣٨٣هـ .ش.، قم، صص ١٦-٢١.

أب العائلة يجمع الزوجة والأطفال والخدم حوله فى كل ليلة سبت، وكان يقدس واحدا واحدا منهم، ويرشدهم فى تلاوة الأدعية والتعاليم الدينية وقراءة الغزليات المقدسة. وقد ألصقت أنبوبة صغيرة (مزوزا) على عتبة كل من الغرف الكبيرة للمنزل، وكانت هذه الأنابيب تحتوى على عريضة كتب عليها بندان من «سفر التثنية». (٤٠٦-٩ و ١٣٠١١-٢١)[١] وهذه العبارة تذكر وتنبه كل واحد من اليهود، بان إلههم، واحد وأن يحوبه «من أعماق القلب والروح وبكل قوة». وما أن يبلغ الطفل الرابعة من العمر، حتى كانوا يحضرونه إلى الكنيس، وكان الدين يحفر فى ذهنه منذ المراحل الاولى لنموه.

ولم يكن الكنيس مكانا للعبادة فحسب بل مركزا اجتماعيا لعامة اليهود. والمعنى اللغوى للكنيس، مثله مثل الكنيسة أو المجلس الكنائسى والحوزة العلمية، كان عبارة عن الجماعة أو إجتماع من أتباع ديانة ما، فى العصور ما قبل ظهور المسيحية. وكان الكنيس، مدرسة (school) أصلا، ومازال اليهود الأشكناز يسمونه شوله (Schule). وفى عصر تفرق اليهود، كان يتم نشر قرارات، من أن مجلس «بث دين» إتخذها طوال الأسبوع، ويجبون الضرائب، ويعلنون تفاصيل الاشياء المفقودة، ويصغون

١. «يا اسرائيل! إصغي إلى يهوه إلهنا، يهوه إله واحد. لذلك أغمري يهوه إلهك بالمحبة من الأعماق وبكل ما أوتيت من قوة، وهذا الكلام الذي آمرك به اليوم، ليكن على قلبك، وعلميه لأولادك بدقة، وتحدثي عنهم عندما تجلسي في البيت وتخرجي منه وأثناء النوم والنهوض، واربطيهم بذراعك من أجل التأشير والعلامة، وأن تكون عصابة بين عينيك، واكتبيها على عتبة باب منزلك، وعلى بواباتك».

«وسيكون هكذا، فان أصغيتم إلى الأوامر التي اصدرها اليوم اليكم، وتحبون يهوه إلهكم، وتعبدوه من الصميم والروح. فعندها سأهب المطر لأرضكم، أي مطر الاولين والاخرين في موسمه، لتجمعي حبوبك وعصيرك وزيتك، وساعطي الأعلاف في صحرائك لبهائمك، لكي تأكلي وتشبعي. إنتبهي! لكي لا تغتر وتنخدع قلوبكم، وتعبدوا وتسجدوا في العودة لآلهة أخرى. ويشتعل غضب اهّل عليكم، ليغلق السماء ويحبس المطر، ولا تعطي الأرض محصولها، وأنتم ستهلكون قريبا لحرمانكم من بركة اهوى ويمنه. لذلك ضعواكلامي هذا في قلوبكم وأنفسكم، واربطوه على أيديكم ليكون معلما، وأن تكون عصابة بين أعينكم وعلموها لاولادكم، وتحدثي عنها حينما تجلسي في البيت وتخرجي منه وأثناء نومك ونهوضك، واكتبيها على عتبات باب بيتك وبواباتك، لتصبح الايام وفيرة عليكم وايام أولادكم على الأرض التي اقسم ليعطيها لآبائكم، مثل أيام الأفلاك فوق الأرض». (م.)

للشكاوى التى رفعها أحد الأعضاء ضد الاخر، والبيع القريب للممتلكات التـى أعلنت على عامة الناس، لكى إن يكن هناك من يملك دعوى أو حقـا تجاهها، أن يعترض. وكان الكنيـس يقوم بعمل جمعية خيرية عامة، وكان بمنزلـة فنـدق للزوار فى قارة اسـيا. وكان مبنـى الكنيس، أعلى مبنى فـى حى اليهود دائما. وفى بعض الأحيان، لاسـيما فى «اسـبانيا» و«ايطاليـا»، كان مبنى الكنيس من روائع الفـن المعمارى دائما، وكانوا يزينونه ويزخرفونه بتكاليف باهظة وولع كبير. وكانت سلطات الكنيسة، تحظـر مرات ومرات، مبانى الكنـس التى كان يصل إرتفاعها إلى أعلى كنيسـة فى المدينة. وفى عـام ١٢٢١م. أوعز البابـا هرنويوس الثالث، لتدمير أحد هذه الكنس فى مدينة «بورج». وكانت مدينة «سـويل» فى القرن الرابع للميلاد، تضم ثلاثة وعشرين كنسا، كما تضم تولدو وقرطبة هذا العـدد تقريبا من الكنـس، وأحد الكنس الذى بنـى فى قرطبة عام ١٣١٥ م. تم الحفاظ عليه اليوم بايعاز من الحكومة الاسبانية.

وكل كنيـس حـان يضـم مدرسـة تدعـى بالعبرية «بـث هاميدراش» (بيـت التدريس). وإضافة إلـى ذلك، كان هناك العديـد من المعلمين الخصوصييـن والمدارس الخاصة، وربما كان عدد الأناس المتعلمين بين يهود العصور الوسـطى، أكثر نسـبيا، منه من المسـيحيين. رغم أن هذا العدد لـم يكن ليصل إلى الأناس المتعلمين فى العالم الاسـلامى. وكان عامـة الناس أو الآباء والأمهات يدفعـون رواتب المعلمين، لكنهم كلهم كانوا ينفذون الواجب تحت إشـراف جماعى. وكان الأولاد يذهبون إلى المدرسـة فى الصباح الباكر وفى الشتاء قبل شروق الشمس عادة، وبعد سـاعات، يعودون إلى البيت لتناول وجبة الغـداء، وكانوا يعودون ظهرا مجـددا إلى المدرسـة، وكانت لهم فرصة بين السـاعتين الثانية والثالثة بعد الظهر، ويبقون فى المدرسـة حتى المغرب، وفـى هذا الوقت، كانوا

يغادرونها ليعودوا إلى بيوتهم لتناول العشاء وتلاوة الدعاء والخلود إلى النوم. وكانت الحياة، تتسم بالجدية بالنسبة للصبى اليهودى. وكانت اللغة العبرية والأسفار الخمسة، تشكل الموضوعات الرئيسية للتعلم. وكان التمليذ يبدأ فى العاشرة من العمر، تعلم «مشنا»، وفى الثالثة عشرة، يتعلم الرسائل المهمة للتلمود. وتلك الفئة من التلامذة الذين كانوا يريدون التتبع فى علم الدين، كانوا يشرعون منذ الثالثة عشرة أو فما فوق، بتعلم مشنا و«غمارا».[١]

جدير ذكره، أنه في هذا المرجع التعليمي والملهم العام لليهود، كان مجمل اليهود يتعلمون في ضوئه:

إن شواهد الجوهر العرفانى، أكان العرفان النظرى أو العرفان التطبيقى أو العرفان الممتزج بالسحر، تشاهد بوفور فى الأدب التلمودى.[٢]

الجماعات اليهودية في الشرق في العصور الوسطى

أن «العصور الوسطى» أو «القرون الوسطى» هي التسمية التي تطلق على إحدى الحقب الأربع التي تعتمد لتقسيم التاريخ الأوروبي. وهذه الحقب الأربع هي: الفترة الكلاسيكية القديمة، والعصور الوسطى، وعصر النهضة، والعصر الحديث الذي يبدأ منذ القرن السادس عشر. وتقع فترة العصور الوسطى بين نهاية الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس وحتى سقوط «القسطنطينية» على يد الدولة العثمانية ونهاية إمبراطورية الروم الشرقية أو البيزنطية عام ١٤٥٣م.

وتعد القرون الوسطى أحد أهم الحقب التاريخية لاوروبا.

وقد دخل اليهود العصور الوسطى بينما لم يكونوا يمرون بأوضاع مناسبة. إن التفرق والإضطراب الذي ساد اليهود، بعد التدمير الثاني ل «هيكل اورشليم»

---

١. **ديورانت، ويل**، «قصة الحضارة» عصر الإيمان، ج ٤، صص ٤٨٨-٤٨٩.

٢. **ابستاين، إيزيدور**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ص ٢٧١.

استمر حتى هذا العصر. ولذلك، فقد عاش اليهود في الأرض على هامش سائر الحكومات الشرقية والغربية، ومع ذلك، كان وضعهم في البلدان الإسلامية أفضل منه من سائر مناطق العالم.

وإبان العصور الوسطى، فان إحدى المناطق التي حقق فيها اليهود نموا شاملا، هي «اسبانيا» لاسيما إبان حكم المسلمين لتلك البلاد.

وكان الحكام المسلمون الذين فتحوا اسبانيا بعام ٧١١م.، أكثر ثقافة وحضارة من المسيحيين الأوروبيين، وعاملوا اليهود بلطف ولين. وسمحوا لهم أن يعيشوا بأمن وسلام، ويتمتعوا بالحرية في تنفيذ طقوسهم الدينية.

وعندما خسر المسلمون الأندلس بالكامل في القرن الخامس للميلاد (١٤٩٢م.)، نفي اليهود من تلك البلاد أيضا. ويقول **ويل ديورانت** حول يهود الشرق في العصور الوسطى:

وكانت «أورشليم» مدينة مسيحية حتى عام ٦١٤م. وخضعت لحكم ملوك ايران حتى عام ٦٢٩م.، إلى أن استولى المسيحيون عليها ثانية عام ٦٣٧م. وأصبحت أحد الاقاليم الاسلامية حتى عام ١٠٩٩م. وفى تلك السنة، حاصر الصليبيون، أورشليم. وعندما انهارت تلك المدينة، ساقوا اليهود الذين بقوا على قيد الحياة، إلى داخل كنيس، وأحرقوهم وهم أحياء. وبعد أن استولى صلاح الدين الأيوبى على أورشليم عام ١١٨٧م. تزايد عدد السكان اليهود لفلسطين، وكرم الملك العادل، شقيق صلاح الدين، ٣٠٠ من علماء اليهود الذين فروا من «بريطانيا» و«فرنسا» عام ١٢١١م. ومع ذلك، وبعد إثنين وخمسين عاما إعتبر موسى بن نخمين، أحد مؤلفى الأحاديث اليهودية، عددا محدودا من سكان تلك المدينة، بانهم يهود، لان معظم سكان أورشليم، كانوا من المسلمين...

وكانت مدارس اليهود فى «سورا» و «بومباديتا» تعد العقلاء والزعماء

الدينيين، ليهود المدن الاسلامية وبنسبة أقل ليهود العالم المسيحى.[١]

... وفى العصور الوسطى، توجه يهود بابل وايران، إلى روسية عن طريق «ماوراء النهر» و «القوقاز»، وتوجهوا من أسيا الوسطى إلى «القسطنطينية»، وأقاموا هناك فى الشاطئ الشمالى لـ«البحر الأسود». وفى القسطنطينية ذاتها، وفى نطاق الإمبراطورية البيزنطية، مر اليهود بحقبة من الرخاء والسعادة، شابها إيذاء وإزعاج.[٢]

... وفى أرجاء ايطاليا، من «ترانى» إلى «فينيسيا» و «ميلان»، كانت توجد تجمعات سكنية صغيرة للمهاجرين اليهود فى كل مكان. خاصة فى «باودا» كان عدد اليهود كثيرا جدا، وربما هذا ساعد على تطور نهضة أنصار «ابن رشد» فى جامعة تلك المدينة. وفى «سالرونو» أى موطن أول مدرسة علمية طبية فى العصور الوسطى، فى العالم المسيحى اللاتينى، كان يقيم ٦٠٠ يهودى، وكان عدد منهم، من أشهر أطباء العالم... وكان اليهود الاسبان يعتبرون أنفسهم من السفارديم ويوصلون نسبهم إلى قبيلة يهوذا...

ومثلت القرون العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة، العصر الذهبى لليهود الاسبان كما تعد أكثر فترات تاريخ اليهود ثمرة وبركة فى العصور الوسطى...

وماعدا «بالرمو» وعدد محدود من مدن اسبانيا، لم يكن مقررا فى أى من المدن المسيحية بالعصور الوسطى، فرز السكان اليهود عن سائر الناس، لكن اليهود كانوا يعيشون عادة منعزلين عن الاخرين، من حيث الراحة الإجتماعية والتأمين النفسى والوحدة الدينية. وكان الكنيس يمثل المركز الجغرافى والإجتماعى والاقتصادى للحى اليهودى، ويجتذب

١. **ديورانت، ويل**، «قصة الحضارة»، ج ٤، صص ٤٦٦-٤٦٧

٢. المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٧٠.

معظم منازل اليهود نحوه... واليهود الذين كانوا يعانون من ضائقة وقيود من كل طرف، إهتموا بالتجارة. وكان «راب» عالم الدين التلمودى الكبير ليهود بابل، قد أوصى أتباعه ما مضمونه «إن قمتم بالتجارة بمائة درهم، فسيكون بوسعكم شـراء اللحم والشراب، شغلوا المبلغ ذاته فى الزراعة، فاقصى ما تستطيعون شراءه قد يكون الخبر والملح».

وكان البائـع المتجول اليهـودى معروف فـى كل مدينةوقصبة والتاجر اليهودى فى كل مركز تجارى. وكانت التجارة الدولية قبل القرن الحادى عشر للميلاد، فى تخصصهم لا بل حكرا عليهم تقريبا...[١]

اليهود در عصر الحروب الصليبية

إن اندلا ع الحروب الصليبية التي اسـتمرت مائتي عام (١٠٩٥-١٢٩١م.) في أواخر القرن الحادي عشـر للميلاد، شـكل بداية لعصر اخر في حياة اليهود المقيمين في اوروبا.

وفي هذه الحقبـة، كان اليهود يقيمون في معظم بلدان أوروبا الغربية بما فيها فرنسـا وبريطانيا وشـواطئ الراين، ومع ذلك، لم يكونوا علـى ما يرام مع الأغلبية المسيحية. وبذلك فان أول مجموعة من المحاربين الصليبيين المتعنتين، بدأوا قبل التحرك نحو «أورشليم» لفتح «القدس»، قتل كفار أوروبا، أي اليهود.

وكان **البابا أوربان الثاني**، في هذه الفترة يرى أنه:

قبل تكبد عناء السـفر الطويل إلى القـدس، أرى من الواجب، قتل يهود أوروبا الذين هم بقايا قتلة ربنا، المسيح.

كما أعلن قادة الجيوش الصليبية، أنهم **سـيثأرون لدم عيسـى المسيح** عليه السلام، **مـن اليهود، ولـن يتركوا أحدا منهـم حيا علـى الأرض**. وكان بعض الجهلة، ينسـبون الوقائع المقيتة مثل الكوارث الطبيعية والطاعون إلى اليهود. ويقول مؤلف

١. **ديورانت، ويل**، «قصة الحضارة»، ج ٤، صص ٤٧٠-٤٨٠.

«التاريخ الشامل للأديان» بهذا الخصوص:

وفى هذا القرن، انتشر اليهود فى جميع أرجاء أوروبا الغربية عبر الحدود «الاسبانية»، وأقاموا فى «فرنسا» و«بريطانيا» وشواطئ نهر «الراين»، وشكلوا فى كل مكان، مجتمعاتهم الصغيرة الخاصة بهم، وانهمكوا بتنفيذ طقوسهم الدينية. لكن وبما أنهم كانوا يقومون بطقوسهم ومناسكهم الدينية فى الخفاء وفى كنسهم المغلقة بوجه الغرباء، فكانوا يثيرون حس الفضول والإستطلاع وسوء الظن لدى العوام تجاههم، وكان هذا الإعتقاد يسود يوما بعد يوم، لدى الأهالى المحليين لتلك البلاد من أن اليهود، هم جماعة مخاتلة تمارس أعمالا غير لائقة ضد أرواح وأموال الناس. لذلك كانوا يتهمونهم بانواع الجرائم والممارسات الدنيئة. وعندما اندلعت نهضة الحروب الصليبية فى آخر القرن الحادى عشر للميلاد (الخامس الهجرى)، وثارت عامة شعوب أوروبا ضد الكفار (غير المسيحيين)، ناصب الجميع العداء لليهود وجعلوهم عرضة للدمار والهلاك. وهذه الحركة المناهضة لليهود بدأت من «المانيا»، ووقعت هناك مذابح جماعية ضد هؤلاء القوم المساكين، وانتقلت من هذه البلاد إلى سائر البلدان الأوروبية. وبعد المذابح، كانوا يقومون بنفى الناجين، وطردوهم من بريطانيا بعام ١٢٩٠ م. ومن فرنسا بعام ١٣٩٤ م. ومن ثم من اسبانيا وسائر البلاد.[١]

ولم تعتبر الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، تعذيب اليهود كافيا، لذلك لجأت إلى ممارسات أخرى. وفي عام ١٢١٥ م. أصدر **البابا اينوسانت الثالث** قرارا بان يخيط جميع اليهود، قطعة قماش صغيرة على صدروهم وخلف ملابسهم. وبما أن هذه القطعة كانت صفراء اللون، أطلقوا عليها «القماشة الصفراء»، وكانوا يسمونها أحيانا «قماشة الفضيحة» أيضا. وهذه الواقعة، أدت إلى أن يتعرض اليهود للايذاء والإزعاج على يد أعدائهم.

---

١. **بى‌ناس، جان**، «التاريخ الشامل للاديان»، ص ٥٦٥.

وبعد الإيعاز بنصب «القماشة الصفراء»، بدأت الكنيسة المسيحية، حملة ضد كتاب «التلمود»، بدعوى أن هذا الكتاب ملئ بحقد وكراهية اليهود ضد المسيحيين. وبذلك أحرقت نسخ عديدة من التلمود في الميادين العامة للمدن، ومع ذلك، لم يتخل اليهود عن مهنهم الموروثة أي الصرافة والربا وتكديس الثروة.

وفي عامة البلاد المسيحية، كان اليهود يعيشون في أحياء خاصة إسمها «الغيتو»، وبقيت هذه الأحياء في أرجاء اوروبا حتى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد.

وكان «الغيتو» يمنح لليهود إمكانية متابعة أهدافهم بمنأى عن أعين كل مراقب غريب، وبالرغم من كل القيود والتضييقات التي يتعرضون لها.

العصور الوسطى والسحر

وكانت أوروبا المسيحية، متورطة في العصور الوسطى بالسحر والشعوذة والأعمال السحرية البسيطة والمركبة، من جهتين، الأولى، كل ما كان يقع في نطاق العلوم الغريبة التي كانت سائدة منذ العصور القديمة بين جميع مجتمعات هذه العصور، وانتقلت جيلا بعد جيل إلى أوروبا، والاخرى، التراث المتراكم للسامريين وكهنة يهود أورشليم، والذي أصبح في أعقاب الحروب الصليبية، من نصيب الصليبيين.

ونلقي بداية نظرة على التوجه العام لسكان العصور الوسطى تجاه العلوم الغريبة والسحر.

البيئة السحرية

وقد خصص **ويل ديورانت** فصلا مسهبا لتلوث أوروبا المسيحية في العصور الوسطى بالعلوم الغريبة وفنون السحر السائدة بين مختلف الشرائح الاجتماعية ويقول:

وكان الرومان، وفى ذروة قوة إمبراطوريتهم، يولون أهمية وقيمة للطابع العملى للعلوم، لكنهم نسوا تقريبا العلوم النظرية لليونانيين. وفى كتاب «تاريخ بلينى الطبيعى» نشاهد فى كل صفحة وأخرى بعدها، الخرافات التى كانت تنتمى حسب الظاهر إلى العصور الوسطى. وقبل أن تقطع

هجمات البربر الطرق السريعة بانقاض مجتمع مدمر على نقل الثقافة، فقد وضع عدم اكتراث الرومان يده بيد تحلل المسيحيين، وجفف ينبوع التيار العلمـى للعصر تقريبا. وما تبقى من العلـوم اليونانية فى أوروبا، أحتفظ بـه فى مكتبات القسـطنطينية، بينما تعرضت بقايا تلـك الكتب للضرر فى النهب الـذى حصل عام ١٢٠٤م. وفى القرن التاسـع، رحلت العلوم اليونانية إلى العالم الاسـلامى عن طريق سـورية، وبينما كانت أوروبا المسـيحية تسعى لتخليص نفسها من مسـتنقع البربرية والخرافة، أثارت هذه العلوم، أفكار المسـلمين، وأسهمت فى نشـأة أحد أجمل الحركات الثقافية فى التاريخ البشرى.

وفى أوروبا العصور الوسـطى، كان لابد للعلوم والفلسـفة، أن تسـلك طريق التقدم والتكامل فى هكذا بيئة مشـحونة بالأسـاطير والمعجزات والتطيـر والشـياطين والكائنات الغريبة والسـحر وعلـم أحكام الفلك والرجم بالغيب والشعوذة، وأن أمثال ذلك يحدث فقط فى زمن الفوضى والرعب. وكافة هذه الظواهر كانت سائدة فى عالم الأمم المشركة، وهى توجد اليوم أيضا، مع اختـلاف، أنها أصبحت أكثر ليونة فى ظل التنوير وروح الدعابـة للعصور المتحضرة. وكانت هـذه الظواهر قوية فى عالم الشـعوب السـامية، وانتصرت بعد «إبن رشـد» و «إبن ميمون». وفى أوروبا الغربية، حطمت هذه العوامل كاسـرات الفيضان الثقافى من القرن السـادس حتى الحادى عشـر للميـلاد، وغمرت أذهان شـعوب العصور الوسـطى فى محيط من الإيمان بالقوى الغيبية وسذاجة التفكير. وأفضل وأكرم أناس العصر، كانوا شـركاء فى هذه السـجاذة الفكرية، بحيث أن أوغوسـتيونوس قال: «مازال آلهـة عصر الشـرك، موجودين فى هيئة شـيطان، وأن آلهـة المزارع وأرباب الأنواع على شـكل نصف انسـان ونصف حيوان، هم كائنات حقيقية».

وذهب أبلار إلى أن الشياطين وبسبب معرفتهم الدقيقة باسرار الطبيعة، قادرون على ممارسة السحر.

وكان الفونسو الحكيم والمنجم، يؤمن بوجود السحر، ويجيز قراءة الطالع من خلال الأفلاك والنجوم، وإن كان رجال مميزون كهذا يؤمنون بالسحر، فكيف للناس العاديين إنكاره؟ وكانت جيوش جرارة من الكائنات الغامضة والخارقة من عصور الشرك، قد وصلت إلى المسيحية كتراث، ومازال عدد غفير من الغيلان والجنيات والشياطين الصغيرة والكبيرة واللطيفة والشريرة، والأفاعى الغامضة والحيات الماصة للدماء، تتهافت على تلك الديانة من «المانيا» و«اسكاندينافيا» و«ايرلندا»، وتنهال خرافات جديدة على الدوام من الشرق بإتجاه أوروبا. وتمشى أرواح الموتى فى الهواء، وتحول أشخاص باعوا أنفسهم للشيطان، إلى قطيع من الذئاب التى تصول وتجول فى الصحارى والأحراش، وأصبحت أرواح الأطفال الذين توفوا قبل التعميد، على شكل فانوس الشيطان أو وهج المستنقعات، واتخذت من المستنقعات موقعا لها. وعندما شاهد أحد كبار أساقفة «كانتربرى» القديس «ادموند ليتش» قطيع من الغربان السوداء سماها على الفور جماعة من الشياطين التى تحركت لالتقاط روح أحد المرابين فى الحى. إن الكثير من قصص العصور الوسطى كانت تحكى قصة بما أن شيطانا انتزع من جسد انسان، فيمكن مشاهدة ذبابة سوداء كبيرة – وأحيانا كلب– تخرج من فمه. إن عدد الشياطين لم يتقلص إطلاقا.

ولصد الشياطين، واستقطاب الطالع الميمون، كانوا يحملون معهم أنواع وأقسام الأشياء بما فيها النباتات وأحجار التعاويذ والتمائم، والخواتم والمجوهرات لخاصيتها السحرية. وكان حدو الفرس، حسن الطالع لانه كان يشبه الهلال، الذى كان إله فى يوم من الأيام. والربابين الذين

كانوا أسرى بيد العناصر الطبيعية، والمزارعون الذين كانت حياتهم ألعوبة بيد السماء والأرض، كانوا يعتبرون كل حركة، علامة من العالم ماوراء الطبيعة، وكانوا يعيشون فى عالم، شكلت الخرافات أهم أركانه. وقد وصلت وثائق القوى السحرية لبعض الأعداد، عن طريق الإرث من الفيلسوف اليونانى فيثاغورس بواسطة آباء المسيحية، مثلما أن العدد ثلاثة، بعلامة التثليث هو أكثر الأعداد مباركة وكان يمثل روح الانسان، والعدد أربعة، كان رمزا للجسد وجمع هذين العددين، أى سبعة، يقدم الإنسان الكامل، أى مجموعة الجسم والروح، لذلك فان العدد الميمون سبعة، كان يستخدم فى الكثير من المجالات. بما فى ذلك، العصور البشرية السبعة، والأفلاك السماوية السبعة، والطقوس المقدسة الدينية السبعة، والكبائر والخصال الحميدة للانسان وكان كل منها سبعة. والعطسة فى غير أوانها، كانت تحكى الطالع النحس، وكان على المحيطين بالشخص، أن يستعملوا جملا مثل «بالعافية» ليبطلوا مفعول الأثر السئ للعطسة. وكانوا يستخدموا بعض القطع لإنتاج المحبة أو إخماد حب أحد. وكان الإعتقاد قائم على أنه مع البصاق ثلاث مرات فى فم ضفدع، أو الإحتفاظ بالحجر الأخضر فى اليد أثناء الجماع، يمكن الحد من إنعقاد النطفة فى الرحم. وكان اغوبار، كبير أساقفة «ليون» المثقف فى القرن التاسع للميلاد، يشكو من أن «المسيحيين يؤمنون باشياء تافهة لدرجة أن أحدا قبل هذا، لم يستطع إرغام الكفار على قبولها».

وقد خاضت الكنيسة، كفاحا مريرا ضد جاهلة التخرف، فاستهجنت العديد من التقاليد والمعتقدات ووضعت كفارة للتكفير عنها بما يتناسب مع شدتها وضعفها، ورفضت السحر الأسود، أو بالاحرى، التوسل إلى الشياطين لكسب السلطة ولتغيير مجرى الاحداث، لكن هذه القضية انتعشت هنا وهناك بصورة سرية وخفية. والذين كانوا يمارسون هذا

النوع من السحر، بادروا على وجه الخصوص لإصدار كتاب بعنوان «اللعنة الدائمة» ويحتوى على أسماء المقرات والصلاحيات الخاصة للشياطين الرئيسيين. وكان كل واحد يؤمن عادة بوسيلة سحرية للفت إنتباه وقوة الكائنات الخارقة لغايته المنشودة. ويتحدث جون او سالزبيرى عن شماس وقس وأسقف أعظم كانوا يمارسون السحر. وكان أبسط أنواع السحر، قراءة العزائم والرقى، بمعنى أنهم كانوا يكررون تميمة ما عدة مرات. وكان يمكن بواسطة هذه التمائم، الحد من الإجهاض وإنزال الجنين، وشفاء مرض ما، وصد شر عدو ما. وكان معظم المسيحيين على الأرجح يعتبرون علامة الصليب والدعاء الربانى وتأدية عبارة «أوه ماريا» نوعا من العزائم والتعاويذ السحرية، ويستخدمون الماء المقدس والتقاليد المقدسة كاداب السحر، عسى أن يتمكنوا من خلال ذلك، التوصل إلى نتائج خارقة.

وكان الإيمان بالسحر، منتشرا بصورة عامة تقريبا. وكان كتاب «توبة اسقف مدينة اكستر» يدين النساء اللواتى كن يزعمن أنهن قادرات على تغيير أفكار الرجال بواسطة السحر والغنج، بحيث أنهم يحولونهم من ممارسة الحقد إلى ممارسة المحبة، ومن المحبة إلى الحقد، أو أن يسحروا الأشخاص أو سرقة أموالهم. وكان هذا الكتاب، يدين نساء كن يزعمن، أنهن يرافقن فى ليال محددة، الكثير من الشياطين الذين يظهرون على هيئة نساء، ويمتطون بعض الحيوانات، وينخرطون رسميا فى فئة هذه الجماعة. وهذا القبيل من الإجتماعات، إشتهر فى القرن الرابع عشر للميلاد ببريطانيا باسم «سبت النساء الساحرات».

وكان نوع من السحر المبسط يتمثل فى أن يقوم شخص، بصناعة تمثال شمعى لعدوه، ويثقبه ويتلو التمائم عدة مرات، وينفخ فى ذلك التمثال. واتهم أحد وزراء فيليب الرابع أنه سخر ساحرة لتفعل هذا مع تمثال

الملك. وكان الإعتقاد السائد هو أن بعض النساء صاحبات العيون اللامة التى تصيب الاخرين بالسوء ويقدرن بنظرة واحدة، جرح أو قتل إنسان ما. وكان برتولت من أهالى «رغنسبورغ» يؤمن بان عدد النساء الجهنميات، أكثر بكثير من عدد الرجال، لان النساء يمارسن السحر ويكتبن الطلاسم للعثـور على أزواج لهـن، ويملكن تميمة قبل ولادة الطفل وقبل غسـل التعميد، ومع كل السـحر المروع الذى تمارسه النساء بشأن الرجال، فمن الغريب ألا تمس عقول الرجال.

وكان قانون «فيزغوت» يتهم النساء السـاحرات، بإستحضار الشياطين، وتقديم الذبائح للكائنات الخبيثة، والتسـبب بهبوب العواصف وهلم جرا، وقـرر أن أى امرأة تقوم بمثل هذه المخالفات، تدان بحلق شـعر رأسـها وجلدها مائتى جلدة. وكانت قوانين «كنوت» لملك بريطانيا ترى أن من الممكن قتل شـخص بأدوات سحرية. وكانت الكنيسة تتعامل فى البداية بمرونـة مع مثل هذه المعتقدات العامية، لأنها كانت تعتبر هذه المعتقدات من مخلفات عصر الشرك وأن مآلها الزوال، لكن وعلى النقيض من رؤية الكنيسـة، تزايدت هذه المعتقدات، وبدأت منظمة تفتيش الأفكار عملها لإمحاء وإبادة السـحر عام ١٢٩٨م. من خلال حرق النسـاء السـاحرات علـى تلة مـن الحطب. إن العديـد من الفقهاء كانـوا يؤمنون بصدق أن بعض النسـاء يتحدن مع الشـيطان، ويجب حماية المؤمنين من شـرهن. ويـروى كايسـاريوس من أهالى «هايترباخ» أن الكثير من الرجال فى زمنـه، كانوا قد أبرموا عقد وحدة مع الشـياطين. كمـا يقولون بان هذا القبيل من الأشـخاص السـحرة، كانوا يعتبـرون الذهاب الى الكنيسـة ينتقص من قدرهم، وكانوا يقيمون قداسـا لعبادة الشـيطان لهجو شـعائر دينهم. إن الأدعية والتعاويذ والمراسـم التى كانت تعتمدها الكنيسة لصد الجنّ والكائنات الخبيثة، كانت على الأرجح عقارا نفسـيا لتهدئة خواطر

الأشخاص الذين يميلون إلى الخرافة.[١]

إن ما يستند إليه **ويل ديورانت** لتوضيح الظروف التي مرت بها أوروبا القرون الوسطى، يميط اللثام عن تدنس قسم كبير من سكان هذه البلاد بالممارسات السحرية.

ويقول مؤلف كتاب «تاريخ السحر» حول رواج بعض مؤشرات ومواصفات العلوم الغريبة بين سكان أوروبا العصور الوسطى:

ولم يكن ملوك العصور الوسطى غير مكترثين إلى هذا الحد بموضوع الكيميا [فرع من العلوم الغريبة]. ففى عام ١٣٨٠م. حظر شارل الخامس ملك فرنسا، الكيميا، وألقى القبض على الأستاذ المسكين الذى تجاهل هذا القانون، لكن هذا الأستاذ استطاع أن يتخلص من حبل المشنقة. وبعد وفاة الملك، نسخ هذا القانون أيضا.

وفى عام ١٤٠٤م. أصدر ملك «بريطانيا» هنرى الرابع، مرسوما بهذا المضمون:

«ومن الان فصاعدا، وبموجب قانون معاقبة الجريمة، فانه لا يسمح لاحدد تحضير الذهب والفضة عن طريق الكيميا، ولا يحق لأحد أن يلجأ إلى الدجل والإحتيال للنجاح فى مشاريعه».

وبالرغم من أن هذا القانون، ميز بين الكيميائيين الحقيقيين والدجالين والمحتالين، لكن لم يكترث به لا أساتذة الهرمس ولا المحتالون.

وحظرت جمهورية «فينيسيا» الكيميا عام ١٤١٨م.، لكن أثر القانون هناك لم يكن باكثر من مرسوم ملك بريطانيا. ومع بدء وانتشار الرأسمالية، تغيرت رؤية الملوك إزاء الكيميا. وعندما كانت رائحة الذهب – أى السلطة – تصل إلى أنوف الملوك والأمراء، كانت تجعلهم رؤوفين وكرماء، لكن وبمجرد أن كانوا ييأسوا مما كانوا يصبون إليه كانوا

١. **ديورانت، ويل**، «قصة الحضارة»، ج ٤، صص ١٣٢٥-١٣٢٨.

يطبقون عقوبات قاسية، وأكثر ضراوة من قوانين العصور الوسطى... .[١]

وكما فصلنا سابقا، فان الكيميا، كانت من العلوم الباطنية للأقدمين.

وكانت هذه العلوم السرية تضم فضلا عن الكيميا، كلا من الليميا والهيميا والريميا والسيميا، ونشأ عنها السحر والتعويذ والطلسم وخفة اليد. وأهم مزاعم الكيميائيين، تمثلت فى أن بمقدورهم، إيصال الأجسام الناقصة إلى مرتبة الكمال. وكانوا يعتبرون الكيميا، أحيانا إسم عشب يستخدم الجاف منه مع عقاقير أخرى، لتحويل الفضة إلى ذهب.[٢]

وكل هذا يظهر، أن العلوم الغريبة والسرية وعلى الرغم من كل القيود، انتشرت على امتداد رحلتها الطويلة، منذ الماضي السحيق وبدرجات مختلفة، بين سكان الغرب المسيحي. ويقول المؤلف الأوروبي لكتاب «المسيحية من بين النصوص»:

وقد وضع كتاب «مطرقة السحرة» (Malleus Maleficarum) عام ١٤٨٦م. من قبل إثنين من المفتشين البارزين. وهذا الكتاب يحتوى على الكثير من أفكار الناس السائدة حول السحرة، وتتضمن مقدمته تأييد البابا. والهدف من هذه الوسيلة هو تقديم السحر على أنه واقع قائم ينطوى على تهديد، وكان التقليد المسيحى الأقدم لاوربا، ومنذ عهد شارلمانى (عام ٨٠٠م.) قد حظر حتى نحو عام ١٣٠٠م. تصور أن يكون السحر حقيقيا. وأكثر النقاط الصادمة لكتاب «مطرقة السحرة» هى هجومه اللاذع على النساء. إن مهاجمة السحرة فى أواخر العصور الوسطى، ربما مثلت ذروة معاداة النساء فى تاريخ أوروبا، وكما يتضح من الملخص التالى، فان هذا الكتاب، يشرح العديد من البراهين المتعلقة بمعاداة النساء والتى كانت سائدة فى العصر.

وفى هذا العصر، كان السحر أكثر رواجا بين النساء منه من الرجال. وإن

---

١. **مدني، آزاده**، «الكيميا»، كتاب النقد، العدد ٤٥، ص ٢٨٩.

٢. المصدر السابق.

أراد أحد التفحص فى سبب ذلک، فاننا نستطيع إضافة النقطة التالية إلى ما قيل لحد الان: بما أن النساء أضعف من حيث الذهن والجسم، فانه ليس مستغربا أن ينخدعن أكثر بالسحر...[١]

ويقول مؤلف كتاب «تاريخ السحر» حول القوانين التي أقرت في تلك الحقبة بشأن الذين يمارسون السحر:

وقد وضعت فى هذا العصر المديد، قوانين خاصة ضد السحرة، وطبقت بأنماط مختلفة. وفى هذا العصر، كانت بعض القوانين الأولية القاسية ضد السحر، تبدو مرنة ولينة بشكل محير، بما فيها قانون «فرانک ساليک» الذى يقول:

«إن الساحر الذى أكل من لحم الانسان، يجب أن يدفع ألف دينار ما يساوى مائتى ليرة ذهبية، لقاء عقوبته وإدانته.»

إن ألف دينار، هو مبلغ كبير بطبيعة الحال، أما فى العصر الذى يعتبر أكل لحوم الموتى فيه، لا كاضطراب عقلى بل كانحراف وخطيئة مروعة ولا تغتفر، يعد جريمة مرعبة. وقد أيد كلوفيس الأول، ملک فرانک (٤٦٦-٥١١م.) هذا القانون، ووفقا لهذا القانون، فان الذى يسحر الأناس، عليه أن يدفع غرامة قدرها إثنين وسبعين بنى ونصف من الذهب. والملفت أن معظم الغرامات التى أخذت بنظر الإعتبار للأعمال السحرية بنية الشر، كانت أقل من غرامة الإفتراء والتجنى على الآخرين.

وكان قانون أعراق «ريبوار»[٢] **قد قرر أن كل غلطة من طارد الأرواح الشريرة - مثل إلحاق الضرر بالعضو أو ضرر مالى - يجب التعويض عنه بواسطة المال.**

وفى الحالات المشتبه بها، فان على المتهم أن يبرئ نفسه عن طريق

---

١. **وال وورست، روبرت اى.**، «المسيحية من بين النصوص»، صص ٢٢٩-٢٣٠.

٢. Ripuar وهو متعلق باعراق فرانك الذين سكنوا في حوالي نهر «الراين» وقوانينهم.

القسم واليمين.

وكان «قانون شـارلمانى» قد أخذ بنظر الإعتبار السجن وفرصة للتوبة[١] بالنسبة للسحرة.

والملفت أن العقوبة التى وضعت للطبقات العليا فى المجتمع، كانت أكثر صرامة من الطبقات الدنيا. وفى أقدم مجموعة بريطانية، أعتمدت معايير تأديبية كنسـية، تدعى Liber Poenitentialist (علم العقوبات) لواضعها سنت ليونارد (القرن السابع) حول تقديم القرابين للشياطين – والذى كان يعد جريمة مروعة من وجهة نظر الكنيسة– وتتضمن عقوبة السجن:

«فـان كان قرويا ومن الطبقات الدنيا للمجتمع، سـنة واحدة من طقوس التوبة، وإن كان من الطبقات العليا، فعشر سنوات.»

لكـن عندما كانت تتعـرض حياةالملك أو أحد أعضاء الأسـرة المالكة للخطر، كانت الظروف تختلف. وأى ممارسة سحرية لقتل الملك، كانت تتضمن عقوبة.

وكان السحر، يشكل وسيلة أحيانا للتخلص من الأشخاص غير المرغوب فيهم. وعلى أى حال، لا يمكن اعتبار التشدد والعنف اللذين كانا يمارسان فى هذه المحاكمات، أحكاما مقررة... ونظرا إلى ما قلنا حول الكيميا، فانه يمكن إستنتاج أن السحر لم يكن قد زال بالكامل.

وكانت «الصناعة الهرمسـية» قد انتشرت وشاعت فى الشرق، ولم يأت علماء «فرنسـا» و«اسـبانيا» و«بريطانيا» القدامى علـى ذكر لها، لكن يستشـف من كتابات الغـرب، أن الكثير من تقاليـد وطقوس «باغانى» كانت مازالت سائدة بين الطبقات الدنيا. وكانت الأساطير والربط بالسحر والتحـول إلى هيئة حيوان أسـطورى، والتجمعات الليلية، وطرد الأرواح

١. Penance، وتعد التوبة لدى المسيحيين، الرياضة أو الزهد و التنسك، وسيلة للشخص للتعبير عن توبته وندمه من الذنب الذي اقترفه.

الشـــريرة والســـحرة، والطلاسم والأعشـــاب الطبية، والأحجار والسموم، والتعاويذ والأسحار وعبادة الشيطان والكثير من الأساليب والممارسات السحرية، رائجة وشائعة كثيرة على مدى هذه القرون الهادئة فى الظاهر. وكان الجميع، بدء من العلماء وصولا إلى الحكام ورجال الدين، يؤمنون بقوة الســحر... لكن البابا غرغورى الكبير (٥٩٠-٦٠٤م.) وجه إهتمامه فقط على الموضوعات المتعلقة بالكنيسة وكان موضوعه المحبذ لديه هو تسخير الانسان على يد الشيطان ومعاجز القديسين.[١]

إن كل صفحة من ســجل حياة إمبراطوريي وسلاطين العصور الوسطى، زاخرة بالممارســات الســحرية، بينما كانوا يوحون بظاهر خادع، بان جميع تعاملاتهم وطقوسهم، دينية وتتماشى مع الديانة المسيحية، وكأن السلطنة والسلطة والسحر، مرتبط باحده الاخر كالجنين والحبل السُري، لكي يتسنى للشيطان إخصاب إبنه.

وقــد وضع دانتى[٢] فى أشــعاره، ممــن عاصروه مثل مايكل اســكوت[٣] (١١٧٠-١٢٣٢م.) وغيــدو بوناتى (الوفاة حوالى ١٣٠٠ م.) فى الجحيم. وهناك حيث يلقى اســكوت، كفارة ذنوبه الســحرية. السحر الذى يعتبره دانتى، دجلا وبالتالى جريمة مضاعفة...

وحسبما يزعم اسكوت نفسه، فانه كان منجم بلاط الإمبراطور فردريک الثانى. وكان فردريک، الذين أعتبروه أعجوبة العالم، قد اســتدعى إلى بلاطه المتنبئين ورجال دين الشرق والغرب من كل حدب وصوب، وقام اسكوت بناء طلبه، بتأليف كتب مسهبة ومفصلة فى العلوم الغريبة.

وأى ذنــب أرتكبــه أدى إلى أن يبقى اســكوت [كما يصــف دانتى فى

---

١. **كلسرخي، إيرج**، «تاريخ السحر»، صص ٢٨٩-٢٩٠.

٢. **دانتي أليغييري** (Dante Alighiri)، (ولادة فلورانس، ١٢٦٥-١٣٢١م.) شاعر ايطالي. وكان عنصرا مؤثر في سياسة مسقط رأسه. و«الكوميديا الإلهية» تاليف **دانتي**، تصف الرحلة الخيالية إلى الجحيم، والبرزخ والجنة. وقد وضع هذا العمل الضخم، في قلب «العصور الوسطى».

3. Michael Scot.

الكوميديا الالهية] فى الجحيم إلى الأبد؟ وبالرغم من أنه كان يطلق على الكثير من الممارسات السحرية، عنوان التجربة والإختبار، لكنه كان يستهجن السحر، خاصة الإرتباط بعالم الأرواح لاسيما إستحضار أرواح الموتى. لكن فيما يخص هذه الأعمال المستهجنة، فانه تحدث كثيرا وبالتفصيل الممل. وكان نشر وإشاعة الفنون المحظورة وتوصيفها وشرحها بالكامل، قد أدين خشية أن تسهم فى وسوسة الناس ونشر الثقافة المسيئة بينهم، لكن اسكوت كان قد وصف فى أعماله جميع التفاصيل المتعلقة بالسحر والتى كانت سائدة ورائجة فى عصره، باسهاب تام.

وكان السحرة يمزجون الماء الذى يستخدمونه فى طقوسهم، بالدم، لان الدم يؤدى إلى إستقطاب الغيلان والجن. وكانوا يضحون بالاناس ويلتهمون لحوم أجسادهم أو أجساد الاخرين. وكانوا يقطعون رؤوس الحمام ويستخدمون دماء قلوب هذه الطيور لرسم الدوائر السحرية، ويستخدمون آيات الإنجيل فى تمائمهم الشيطانية.

وخلاصة القول أن اسكوت كان متخصصا بارعا فى السحر، وكان ملما أيضا بالعلوم الغريبة فضلا عن الطب. وأى رسالة فى علم الكلام، لا يمكن لها أن تضاهى من حيث الحجم، هذا الكم الخارق من العلوم الخفية.[١]

إن مزج العناصر السحرية والدينية في العصور الوسطى، كان يؤدي إلى راحة بال وتهدئة خواطر أولئك الذين كانوا يلجأون إلى الممارسات غير المقبولة من لدن الناس، لكنهم كانوا في الوقت ذاته، يخشون عقوبة السماء.

ومع انتشار المعتقدات الإلحادية – والتى لم يكن بمقدور الكنيسة استئصالها – كانت الضغوط التى يمارسها البابا تزداد أيضا. وترسخت

١. **كلسرخي، إيرج**، «تاريخ السحر»، ج ١، صص ٢٩٧-٢٩٩

المعتقـدات الإلحادية للثنويـة والتى جلبها الصليبـون على الأرجح من الشـرق، لسنين [فى الكنيسـة]، فيما قام الطائفيون، بنشر نظرياتهم على العلـن والدعاية لها فى ايطاليا لاسـيما «لمباردى» حيـث كانت ملتقى حركتين فكرتين...

وكان البابا غرغورى السـابع مايزال يوصى الحكام غير الروحانيين فى عام ١٠٨٠م. بـالا يبدو مرونة فى تعقب ومعاقبة الملحدين والسـحرة، لكن الطوائف المتعددة كانت تتكاثر بسرعة مقلقة...

والنمـاذج الأولى لأحكام محاكم التفتيش، إعدام سـاحرة، حيث أحرقت وهى حية فى «تولوز» مركز حركة كاتارى.

ومن ثم نشـر فى الأعوام ١٣١٨، ١٣٢٠، ١٣٣١ و ١٣٣٧م. المزيد من الأحـكام البابوية ضد السـحر والكفر والإلحاد والبـدع. وقد حذا أولياء الأمور الدنيوية حذو الكنيسـة، وساروا على خطاها. لكن أقسى المذابح الجماعية وقعت فى القرنين السـادس عشـر والسـابع عشر للميلاد، فى وقت تحول إحراق السحرة إلى عامل إقتصادى.[١]

والمحصلـة، هى أنه على امتداد حقبة العصور الوسـطى، لم تبق أوروبا المسـيحية بمنأى عن العلوم الغريبة والممارسـات السحرية بالرغم من سيادة الكنيسـة والقوانين البابوية، بل أن الخوض غير الحكيم والمتعقل للحروب الصليبية، تسـبب بتسـرب التراث اليهودى إلى أوروبا بشكل مذهل. وسنتحدث فى هذا الشأن فى الأقسام اللاحقة بالتفصيل.

١. المصدر السابق، صص ٣١٠-٣١١.

الفصل الرابع

اليهود المعاصرون

اليهودية في العصر الحديث

إننا سنتابع مسار تغير تفكير وعمل «قبيلة اللعنة» في الغرب، في كتاب اخر، كل ما بدأ منذ عصر بعثة **النبي عيسى**عليه السلام ويستمر حتى العصر الحديث وإرساء المحافل السرية، لكن ما يعود على وجه الخصوص إلى اليهودية، فان الحوار عن النحل اليهودية منذ نهاية العصور الوسطى وحتى العصر الحاضر، مغيب، إذ نتناوله في هذا الفصل.

والقصد من «العصر الحديث» هو التاريخ الغربي الجديد، العصر المتأثر بالفكر الحديث والذي أوجد تطورات كثيرة في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتي ألقت بظلالها على الحياة الثقافية والحضارية للغرب وما بعدها سكان الأرض. وقد غطت هذه التطورات، جميع أوجه حياة الناس وغيرت حياتهم الدينية بشكل خاص.

إن نشأة عصر النهضة[1] وظهور عصر التنوير[2] ألقيا بظلالهما على حالة اليهود.

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد وعندما كان الغرب المسيحي يمر بمرحلة نشأة وتشكيل المدارس الإحتجاجية والتحديث الديني (البروتستانتية)،

---

١. عصر النهضة (Renaissance)، الحركة الثقافية الكبرى التي مهدت للثورة العلمية والإصلاحات الدينية في الغرب المسيحي.

٢. عصر التنوير (Age of Enlightenment) وهو مصطلح اعتمد في القرن الثامن عشر، وتسبب بالتغير الثقافي والإعراض عن الفكر الديني.

كان الوضع الاجتماعي لليهود سيئا للغاية، بالرغم من أن التطورات الثقافية للعصر الغربي الحديث، كانت تدفع بحد ذاتها، سكان الغرب المسيحي بإتجاه جوهر وباطن اليهودية ويمكن توجيه إصبع الإشارة إلى اليهودية في كواليس الإعتراضات المسيحية.

وكان اليهود يعيشون في الغيتوهات وبعيدا عن المواهب والنعم التي كانت سائدة خارج الغيتو، ومع ذلك، لم تكن الثورة الفرنسية (١٧٩٩-١٧٨٩م.) وتحول النظام الملكي الفرنسي إلى الجمهوري، غير ذي أثر على وضع اليهود الذين أصبحوا يتمتعون بمزيد من الحقوق المدنية.

إن تراجع سلطة الكنيسة الكاثوليكية على مقدرات أوروبا العصور الوسطى، ورواج وانتشار الحريات الدينية والاجتماعية، أدى إلى نشأة تشعبات جديدة في الحياة الدينية لليهود وأسس لظهور الطوائف الإصلاحية والمحافظة والأرثوذكسية.

ويمكن القول أن نشأة هذه النحل اليهودية، تأثرت بتطورات العصر الحديث.

١. الإصلاحيون اليهود (Reform Judaism)

وقد حصلت في العصر الحديث وتحت أثر التيارات الفكرية الحديثة، نهضات مختلفة في اليهودية. ويقول مؤلف كتاب «اليهودية ودراسة تاريخية»:

إن جميع الحركات الحديثة فى اليهودية، نشأت بشكل مباشر أو غير مباشر، منذ عصر التنوير[1] الذى ميز المناخ العام للقرن الثامن عشر، وكان مؤشرا على محاولات الانسان الغربى لممارسة سيادة العقل على مجمل مراحل الحياة البشرية.

وفى نطاق الدين، كان الحكم الذاتى للعقل بما يشمل رفض وإنكار أى نوع من الجزمية والمرجعية الدينية والتقليد، وقيل بأن أى إنسان، هو الحكم النهائى على أعماله ومعتقداته، وفى الوقت ذاته، فان هذه

1. Enlightenment.

الحركة عارضت فى مجال العلاقات والمناسبات الاجتماعية كل أشكال التعصب وعدم الإحتمال[1] والإستبداد والحكم المطلق[2] وطالبت بالحرية والمساواة بين أبناء البشرية.

إن حركة التنوير التى ظهرت بداية فى «هولندا» و«بريطانيا» انتقلت إلى «فرنسا»، واتسمت هناك بطابع عنيف، وبلغت ذروتها فى «الثورة الفرنسية الكبرى»، وتحطمت مع الإعلان عن حقوق الانسان[3] الحواجز التى كانت الكنيسة والحكومة تفصل بموجبها اليهود عن جيرانهم. وانتقلت هذه الحركة من فرنسا إلى ألمانيا والبلدان الأوروبية الاخرى لتصل إلى «فولغا».

وقد اضطلع موسى مندلسون[4] (١٧٢٩-١٧٨٦م.) بدور مهم فى الترويج للفكر التنويرى بين اليهود. وبينما كان يخضع لأثر لايب نيتس لتوضيح النسبة القائمة بين العقل والإيمان، غير تصور اليهود، لانه أحجم عن قبول أى ركن إيمانى لا يستطيع العقل كشفه بصورة مستقلة وقال فى كتابه بعنوان «أورشليم»:

«إنى لا أؤمن باى حقيقة أبدية، إلا الحقائق التى يمكن تصورها وبل تملك القابلية على إثباتها وتأييدها بواسطة العقل البشرى.»[5]

وليست ثمة حاجة للتأكيد على أن العقل[6] وكما يبجله مندلسون، بوصفه صديقا وداعما للدين، يختلف تماما عن العقل الذى يصفه «إبن ميمون» وباقى فلاسفة الدين اليهودى بوصفه خادما للدين. كما أنه ليس ضروريا الإشارة إلى أن مندلسون، تحرك فى ضوء إختزال اليهودية إلى مجموعة

1. Intolerance.
2. Absolutism.
3. Right of Man.
4. Moses Mendelssohn.

٥. **ابستاين، إيزيدور**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، صص ٣٤٩-٣٥٠.

6. Reason.

محدودة من التقاليد والطقوس الشـرعية، بعكس المسـار الكلى لتاريخ الحياة الدينة والتجربة اليهودية. ورغم ذلك، كان مندلسون يؤمن إيمانا راسخا باليهودية ولم يكن ينوى أبدا، إبعاد أخوانه عن دين أجدادهم.[١]

ويـرى مؤلف «موسـوعة اليهـود واليهودية والصهيونية» أن نشـأة الحركات الإصلاحية في اليهودية تعود إلى أزمة اليهودية الحاخامية والتلمودية ويقول:

إن نشـأة الحركات الإصلاحية فـى اليهودية، تعود إلـى أزمة اليهودية الحاخامية والتلمودية، وكانت على علاقة بوضع يهود أوروبا قبل الثورة الصناعية. ولم تسـتطع اليهودية التقليدية التكيف مع الظروف المستجدة التى طرأت فى المجتمع الغربى بدء من الثورة التجارية وصولا إلى الثورة الصناعيـة. إن إنهيـار «الغيتوهات» وبعدها «حركةالتحرير السياسـى» فاقمت هذه الأزمة، ووعدت الحكومـة الوطنية الحديثة الكبرى، اليهود بالتحرر السياسى، شـريطة أن يبقوا أوفياء للنظام الحاكم، وأن يتناغموا مع المجتمع من وجهة النظر السياسية والاقتصادية والثقافية واللغوية.

وكان هذا يتعارض بشـدة مع اليهودية الحاخامية التى كانت تقدم تعريفا دينيـا وعرقيا عن الهويـة الدينية. وقد رد اليهـود بالإيجاب على طلب الحكومة الوطنية، وكانت نشـأة الحركة التنويرية والدعوة إلى التكيف مع المجتمع وظهور اليهودية الإصلاحية جزء من هذا الرد.

وقد استمد اليهود الإصلاحيون من فكر موسى مندلسون، لكنهم استفادوا أكثر من أى شـئ اخر، من أفكار وأفعال المسـيحيين البروتسـتان فى «ألمانيا» (موطن الإصلاحات الدينية اليهودية والمسيحية).

وقد أعرض الشباب اليهود عن «الكنيس» والطقوس الدينية تدريجبا مع مشاهدته الشعائر الجافة وعديمة المحتوى والرجعية، وبالتالى بدأ القادة اليهود، الإصلاحات، وأحدثوا تغيرات فى الشـعائر بهدف التجميل، على

١. **ابستاين، إيزيدور**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ص ٣٥١.

سبيل المثال، حولوا الكنيس من موقع للشجار والجدل إلى مكان للعبادة والتقوى والزهد، وقدموا المواعظ الدينية فى كل بلد بلغة ذلك البلد. وتغير موضوع هذه المواعظ أيضا، وأصبحوا بصدد تنوير المصلين روحيا بدلا من التطرق إلى تفسير النقاط المستظرفة فى الشريعة. وأختزلت الصلاة أيضا، وتسرب إليها الأورغ والأوركسترا مع حذف قصائد «بيوت» وبعض الأدعية.

وقام «اسرائيل كيوبسون» عام ١٨١٠م. باول إصلاحات فى الكنيس التابع لمدرسته ومن ثم فى عام ١٨١٥م. فى منزله. وأسس بعدها أول كنيس إصلاحى فى «هامبورغ» عام ١٨١٨م.[١]

وحسب «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» فإن الكنس الإصلاحية موجودة في نحو ٢٩ بلدا تابعا لـ«الإتحاد العالمي لليهود التقدميين»، ويصل عدد أتباع هذه الحركة إلى نحو مليون و ٢٥٩ ألف نسمة. ومازالت «أمريكا» تضم طبعا الأغلبية من أعضاء هذه الفرقة. وتملك اليهودية الإصلاحية في أمريكا ٨٤٨ «أسقفية". ويشكل الإصلاحيون ٣٠٪ من اليهود الأمريكيين، في حين أن ٣٣٪ من اليهود الأمريكيين هم محافظون و ٢٦٪ أرثوذكس و ٩٪ من دون إنتماء للفرق الدينية.[٢]

وتسمى الحركة الإصلاحية اليهودية باللغة العبرية هسكالا[٣] (= تنويرى)[٤] ويسمى أتباعها[٥] مَسكيل (المثقف)[٦].

---

١. **المسيرى، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ٤٠٥.

٢. المصدر السابق، ص ٤٠٦.

3. Haskalah.

4. Enlightenment.

٥. **سليماني أردستاني، عبدالرّحيم**، «اليهودية»، ص ٢٩٢.

6. Maskil.

٢. اليهودية الأرثوذكسية (Orthodox Judaism)

وهي أحد التفرعات الاخرى لليهودية والتي تؤكد على تفسير التعاليم والنصوص الدينيـــة، إن هذه الفرقة التي تقف على طرف نقيـــض من الفرقة الإصلاحية التي قبلت بأفكار عصر التنوير، تركز على التقليد اليهودي.

إن «اليهودية الأرثوذكسية» هي «الأصولية اليهودية» التي طبقت في الحكومة الصهيونية. إن اليهودية الارثوذكســـية هي فرقة يهوديـــة جديدة ظهرت في مطلع القرن التاسع عشر كردة فعل على التيار التنويري والإصلاحي اليهودي. إن اليهودية الارثوذكسية هي استمرار لتلك اليهودية الحاخامية والتلمودية، لكن بحلة جديدة.

إن مصطلـــح الأرثوذكـــس هو مصطلح مســـيحي، يعني **الإعتقـــاد الصحيح**[١] والذي استخدم للمرة الاولى في إحدى المجلات الألمانية عام ١٧٩٥م. لليهود الملتزمين بالشريعة. وتولى الحاخام **سامسون هيرش** قيادة هذه الحركة اليهودية.[٢]

وتعـــد اليهودية الأرثوذكســـية في الديانة اليهودية، لقـــب مجموعة من اليهود الملتزمين بالتقاليـــد القديمة من حيث المعتقدات والطقوس الدينية. ولذلك، فان اليهودية الأرثوذكسية، ترفض الرؤى الحديثة والعصرية لليهودية الإصلاحية.

ويعيـــش الأصوليون اليهود (الأرثوذكس) في مناطق مختلفة من العالم بما فيها «أمريكا» و«أوروبا الشـــرقية» و«أوروبا الغربية» و«فلسطين المحتلة»، لكنهم لا يتمتعون برؤية موحدة ومتشـــابهة في المواقف العقائدية والاجتماعية والسياســـية. وهناك خلافات كبيرة في الرأي بين هذه المجموعة.

وهناك خلاف فى الرأى بين ارثوذكس شـــرق أوروبا وارثوذكس المانيا وغـــرب أوروبا. فالمجموعة الاولى تعـــارض أى بدعة وحداثة حتى فى طريقـــة الملبس أو فى النظـــام التعليمى، لكن المجموعـــة الثانية، تعتمد سياسة حفظ الحياة التقليدية، وتوافق فى الوقت ذاته على الملبس الجديد

---

١. الأرثوذكس، وهو مصطلح إغريقي مأخوذ من ارتوذوكسوس (Orthodoxos) ويعني **صاحب المعتقد الصائب**.
٢. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٢١.

والتعليم العام العلمانى، ولذلك يطلق عليهم الأرثوذكس الجدد...[١]

وللـ«أرثوذكس»، تضامنا عقائديا وأسـريا معمقا، والكثير منهم اختاروا العزلـة فى «الغيتوهـات» بصورة إراديـة، ومع ذلك فانهـم يواجهون الكثير من المشـاكل التى تمر بها المجتمعات الإستهلاكية. مشاكل مثل الإعراض عن القيم الأخلاقية والعلاقات الجنسـية العابرة وغير الإنسانية وغيـر القائمة على الحب والعلاقة الحقيقيـة وتعاطى المخدرات وتزايد الأطفال غير الشرعيين و...

وورد فى كتاب العام لليهود الأمريكيين فى عام ١٩٩٢م. أن عدد اليهود الأرثوذكـس الأمريكيين قليل جدا. لأنهم يشـكلون فقط ٩٪ من اليهود الأمريكييـن فى مقابل ٦٥٪ من الإصلاحيين و ٢٦٪ ممن لا ينتمون إلى أى طائفة يهودية. وأحد المصادر غير اليهودية ذكر أن عددهم يصل إلى مليون نسمة، لكن هذا الرقم مبالغ فيه. ووصل عدد الكنس الأرثوذكسية إلى ١٢٠٠ كنيس.[٢]

ويجب التذكير أن عددا من اليهود كانوا يؤمنون بقرون قبل نشـأة الصهيونية، بالصيغـة التقليدية للعودة إلـى صهيون (النفي والإنتظار وعودة المسـيح وعودة المنفييـن إلى صهيون) وتقيدوا بـان يندووا بأي حركة غير هذه. وبناء على ذلك، فان «اليهودية الأرثوذكسية» تؤمن بان فكرة العودة في آخر الزمان ستتحقق، وهذه نظرية دينية ستقع في إطار التاريخ المقدس، لا في التاريخ القسري للبشرية، ولذلك يمكن الزعم بان أحد أسـباب هزيمة نابليون في الإسـتيلاء على «فلسـطين»، وبالرغم من مواكبة عدد من اليهود له، تمثل في معارضة اليهودية الأرثوذكسية له.

وفي الحقيقة فان اليهودية الأرثوذكسية لا تعتبر بقعة من الأرض بوصفها وطنا مقدسا لا يستحق الحرب واراقة الدماء، بانها ذات قيمة، بل تقدس الروح المعنوية

١. المصدر السابق.
٢. المصدر السابق.

للعـــودة إلـــى الأصالة الالهية للإنســـان. وفي الحقيقة يمكن القـــول أن «مؤتمر فيلادلفيا» يشـــكل منعطفا لمعارضة اليهود للصهيونية. ويرى **مداف رافايل** الكاتب و الباحث الأمريكي:[١]

إن مؤتمر فيلادلفيا عام ١٨٦٩م. كان اجتماعا من الحاخامات الأمريكيين للحركـــة المناهضة للصهيونية، التى تتنكر لإحياء الدولة اليهودية العريقة على يد جيل داوود عليه السلام لان هكذا عودة تتطلب إنفصاما عن سائر شعوب العالم.

وشـــكل هذا الفكر الديني أساس تشكيل «مؤتمر مونرآل» عام ١٨٩٧م. في «أمريكا»، والذي تشـــكل بهدف معارضة الصهيونية السياســـية. وكان الصهاينة يؤمنون باســـتخدام القوة في العودة إلى «صهيون». وصدر بيان في هذا المؤتمر ما مضمونه:

إننـــا نرفـــض أى مبادرة تتحرك بإتجاه إرســـاء دولة يهوديـــة. إن هكذا محـــاولات، تظهر التصور الخاطئ لرســـالة إســـرائيل التـــى كان الأنبياء اليهود، أول الداعين لها. إننا نؤكد أن الهدف هو عبرى وليس سياسيا ولا وطنيا، بل معنويا ونهايته، حقبة من التحرر المســـيحى الذى سيجد جميع الأناس فيه، تعلقهم بامة كبيرة واحدة ليرسوا ملک الله على الأرض.[٢]

إن أهم المواصفات والوجه الفارق لليهود «الأرثوذكس» عن سائر اليهود هو:

- **الأرثوذكس لا يؤمنون بالترويج الدينى بين الغرباء والأجانب...؛**
- **التوراة من وجهة نظر الأرثوذكس هى كلام الله الذى كتبه حرفا بحرف وأوحى به إلى موسى؛**
- **إن الأرثوذكـــس وفضلا عن التوراة، ينظرون إلى الشـــريعة الشـــفهية وجميـــع الكتب اليهوديـــة الحاخامية مـــن قبيل «التلمود» و «شـــولحان**

١. **فرسائى، محسن**، «الإطاحة الصهيونية في الإمبراطورية العثمانية»، طهران، هلال، ١٣٨٨هـ .ش.، صص ٨١-٨٢.
٢. **غارودي، روجه**، «أســـاطير مؤسس سياسة اســـرائيل»، **حميد رضا آجير، حميد رضا شيخي**، مشهد، غوهرشاد، ١٣٧٧هـ .ش.، ص٢٧؛ نقلا عن **فرسائي، محسن**، «الإطاحة الصهيونية في الإمبراطورية العثمانية».

عـــاروخ» وحتى الكتب القبالائية أو على الأقل التفاســير القبالائية، بأنها مصدر العلوم الإلهية.

• إن الأرثوذكس يؤمنون إيمانا راسخا بصحة معتقدات الحلولية اليهودية من قبيل عودة الماشــيح والعودة إلى فلســطين، وكون اليوم شعبا مختارا وضرورة عزلة اليهود لتحقق رســالتهم، ولذلــك فانهم لا يوافقون على القيام بالنشــاطات الدعائية بسبب القدسية التى يولونها للشعب اليهودى، لان المختارية، هى نتيجة الحلول الالهى ولذلك فهى موروثة. وبناء على ذلك، فان «اليهودية الأرثوذكســية» تقبل بتعريــف اليهودية الحاخامية عــن اليهودى وتعتبــر أحدا يهوديا أن يكون قد ولد مــن أم يهودية، أو أنه إعتنق اليهودية على أســاس الشريعة أى على يد حاخام ارثوذكسى يهودى؛

• وتؤمن «اليهودية الأرثوذكسية» بان الأوامر والنواهى الشرعية ملزمة بالنســبة لليهودى الذى يجب أن يضبط حياته تأسيسا على تلك الأوامر والنواهــى. وبناء على ذلك، فان الأرثوذكس ملتزمون تماما بالشــعائر، ويذهب البعض إلى أنه لا يجب تغيير طريقة ارتداء الملابس وتســريحة الشــعر. وفى بعض الطوائف الأرثوذكســية، فان النساء مازلن يحلق شعر رؤوسهن تماما خلال مراسم الزفاف والزواج، ويستخدمن بدلا منه الشعر المستعار.

• وتســعى اليهودية الأرثوذكســية كطائفة دينية، لإبعاد نفسها عن سائر الطوائف اليهودية، لتحافظ على جوهر اليهودية بمنأى عن أى شوائب.

• ويمكن تفسير فكر اليهودية الأرثوذكسية بانه مناهض للصهيونية، لان إيمان الأرثوذكس بعودة الماشيح، يعنى الإنتظار المتلازم مع الصبر، حتى يأذن الله بالعودة. إن على المؤمن الحقيقى أن يتقبل بان الحياة فى المنفى هى كعقوبة لذنوب بنىاســرائيل أو جزء من التكاليف الالهية، ولا يتعين

أن يقدم توقيت نهاية العالم.

• وكانت الطوائف الارثوذكسية فى البداية، عدوا للصهيونية، لكنها تحولت إلى الصهيونية على يد بعض الحاخامات الأرثوذكس لاسيما الحاخام كوک وقبله كاليشر وكالى.

• وكانت سلسلة التحرر فى الماضى هكذا: النفى، الإنتظار وعودة اليهود، لكنها أصبحت فى الوقت الحاضر هكذا: النفى، عودة عدد من اليهود للتمهيد لظهور الماشيح وعودة الماشيح بصحبة باقى اليهود.

وتحققت بذلک عملية صهينة اليهودية الأرثوذكسية، وبقيت فقط فرقة «ناطرى كارتا»[١] التى ماتزال تحافظ على الرؤية التقليدية والمناهضة للصهيونية لـ«اليهودية الأرثوذكسية».

ولم يكن مسار الصهينة، أمرا غريبا، لان الحلولية تضفى فى إحدى مراحلها، القدسية على الشعب وإرادته، وبالتالى، تبقى الإرادة الالهية حائرة وتائهة وتتراجع، ويكتسب اليهودى الحق فى أن يقدم توقيت نهاية العالم.

وعلى أى حال فان الهيكلية الكابالائية التى آمنت بها الأرثوذكس، تعتبر أن وحدة وكمال الذات الالهية مدينة لسلوک اليهود وتأديتهم للشعائر.

• إن اليهودية الارثوذكسية تلقى دعما وإسنادا من ارثوذكس اسرائيل ومؤسساتها، لانها الطائفة الوحيدة التى يعترف بها الكيان الصهيونى.

• إن اليهودية الأرثوذكسية تسيطر على الحياة الدينية لاسرائيل.[٢]

وفى الوقت الحاضر، فان الحاخام آرنولد كوهن هو المتحدث باسم منظومة «ناتوريكارتا» اليهودية (حراس الشريعة). وتتخذ هذه المنظمة

---

١. إسم إحدى الأقليات اليهودية الأرثوذكسية المناهضة للصهيونية والتي تشكلت عام ١٩٣٥م. ويطلق على هذه المجموعة إسم «منظمة إتحاد اليهود المناهضين للصهيونية»؛ نقلا عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة. www.nkusa.org.

٢. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، بتلخيص، صص ٤٢٢-٤٢٦.

اليهوديــة المناهضة للصهيونية، من «لندن» مقرا لها، وما عدا ذلک، فان لها فروعا عديدة فی أرجاء أوروبا...

ويعــد آرنولــد كوهن من اليهــود الأرثوذكس الذى يعتبــر دعم القضية الفلســطينية واجبا يثقل كاهله. ويؤمن هؤلاء بان تشــكيل دولة اسرائيل يأتى على النقيض من تعاليم التوراة وهو غير شرعى، لان الله إنتزع منهم حق اشعب المختار بعد الإثم الكبير الذى اقترفه بنو اسرائيل (صلب السيد المســيح عليه السلام)، ولم يبق أمام بنىاسرائيل سبيل سوى التسليم أمام القضاء والقدر وانتظار ظهور المسيح. وفى ذلک الحين، فان السيد المسيح هو الذى سيصدر الحكم النهائى.[١]

ويــرى آرنولد كوهن أن من واجبه دعم القضية الفلســطينية، ويؤمن بان القدس الشــريف وفلسطين، يجب إعادتهما إلى أصحابهما الأصليين أى الفلسطينيين العرب.

وقد حاول قادة اســرائيل لحد الان ولعدة مــرات إغتيال الحاخام آرنولد كوهن وسائر أعضاء هذه المنظمة.[٢]

أرضيات وهمسات الهجرة والتوطين

إن «التشــتت»[٣] هو قدر «بنياســرائيل» بعد جرمهم وذنبهم وحصيلة تركهم الأوامر والنواهي الالهية، وهو كل ما حل ببنياســرائيل على إثر الذنب والعصيان، ولم يكن هناك مفر منه.

إن موضــوع «النفي والعــودة»[٤] هو أحد الموضوعــات العامة والمحورية في رؤيــة اليهود تجاه التاريخ والمســتقبل، وعلى علاقة وثيقــة بمعتقدات أخرى بما

١. «اليهود الأرثوذكس»، ترجمة **قبس زعفراني**، مجلة موعود، ٢٠١٥م.، العدد ٥٤.
٢. العربيّة، «مقابلة مع آرنولد كوهن»، بيروت، ترجمة **قبس زعفراني**، مجلة موعود، ٢٠١٥م.، العدد ٥٤.
3. Diaspora, Exile.
4. Exile and Return.

فيها التشـــتت والتفرق والماشيح، وكما أشرنا في الفصول السابقة، فان حالة النفي والتشتت هذه، ستســـتمر حتى ظهور **الماشـــيح** المنقذ، وحتى ذلك الحين، فان بني‌اسرائيل لا يملكون تصريحا لتأســـيس القاعدة الإجتماعية في جغرافيا الأرض وأن «أرض الميعـــاد» تبقى بالضرورة في منزل قلوبهـــم بصورة تطلع وهدف، إلى أن يجدوا حســـب التقدير الســـماوي وبعد ظهور المنقذ الموعود، مجالا للنشأة والتشكل في الأرض.

ويقول مؤلف كتاب «التاريخ الشامل للأديان» **جان بي. ناس:**

ومنـــذ أن وطأت أقدام الروم القدامى، أرض «اليهودية» وإلى أن دمروا مدينة «اورشـــليم» عام ٧٠م.، تزايد إنتظار ظهور المســـيح لدى الشعب اليهـــودى يوما بعد يوم، وتحمل ذلک الشـــعب المقهور والمنهزم، أنواع الشدائد والمظالم التى مارســـها الشعب المنتصر، على أمل ظهور المنقذ مـــن غيبته، وكانـــوا يؤمنون إيمانا راســـخا بان الله لن يبقى على شـــعبه المختـــار مقهورا وذليلا هكذا. وفى هذا الوقت، فان هذه الافكار المعنوية أدت إلى ظهور سلســـلة من كتب المكاشـــفات، وبعضهـــا مثل «صحيفة النبـــى دانيال» يشـــتمل على ذكريات الأيـــام الســـالفة والتاريخ القديم، ويتحدث عن فترة السبى البابلى، ويبين بلغة الإشارة والكناية واستعمال المصطلحات والألفاظ الغامضة من الحيوانات المجنحة والاشباح والصور الغريبة، مكاشفاته ويبشر بان هذا العالم الملئ بالآفات والشرور، سينتهى عما قريب.[١]

وحســـب قناعات اليهود، فان مكان هذه الأرض الموعودة كانت «أورشـــليم الجديدة» وأن الشخصية التي ينتظرها اليهود، كانت تعرف بالماشيح (المسيح). وكان الماشيح لقب ملوك بني‌اسرائيل.

وتأسيســـا على تقليد مـــا، فان الأنباء وفى حضور النـــاس، كانوا يضعون

١. **بي‌ناس، جان**، «التاريخ الشامل للأديان»، ص ٥٥١.

قليلا من الزيت على رؤوس هؤلاء [ملوك بنى‌اسرائيل]، وكانوا بذلك يستحدثون ضربا من القدسية لهم. وهذا اللقب، أطلق فى الأزمنة اللاحقة على ملوك اليهود المثاليين [الموعود المقدس]... ومفردة مسيحا الفارسية، مأخوذة من مفردة ماشيح العبرية فيى ضوء تلفظها اللاتينى Messiah.[١]

ويقول أبا إيبان، مؤلف كتاب «شعبي، تاريخ بني‌اسرائيل»:

إن تاريخ القبالة على ارتباط وتواصل عام مع تاريخ الماشيح «بنى‌اسرائيل» وإنتظار ظهور المسيح الموعود. وبالرغم من أن اليهود تفرقوا وتشتتوا على إثر الأسر فى بقاع الأرض، وليس احتفظوا بالأمل والإلتزام بعقيدتهم وإيمانهم فحسب بل أن هذا الإيمان كان يبث الأمل فى نفوسهم بان محن بنى‌اسرائيل ستنتهى فى المستقبل، وسيعاد بأفراد هذا الشعب إلى وطنهم الرئيسى وبيت أجدادهم وهناك ستشملهم رحمة الله. وهذا التصور، شكل مبادئ الإعتقاد الذى كانوا على إثره يؤمنون بمجئ الماشيح وظهوره...

إن عقيدة وفكرة ظهور الماشيح نشأت فى زمن الأسر البابلى، لان قلوب الأسرى اليهود كانت تخفق لشخص منقذ، وينتظرون بفارغ الصبر الانسان الذى سيحرر بنى‌اسرائيل ويعيدهم إلى وطنهم الرئيسى لكى يعودوا إلى الأرض المقدسة إلى «اورشليم»، ويبنون هيكل «بيت المقدس» بيت إله السماء من جديد، وينشغلون فيه فى العبادة. وهذا الفكر ضرب بجذوره بمرور الزمن وعلى امتداد القرون والأعصار، ونما وترعرع، وبلغ ذروته إبان النفى والطرد من اسبانيا فى ذروة جور وظلم القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد وسيلان دماء القتلى اليهود فى أوروبا.[٢]

---

١. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الديانات الكبرى»، صص ١٠٠-١٠١.

٢. **إيبان، أبا**، «شعبي وتاريخ بني‌اسرائيل»، صص ٣١٥-٣١٦.

وكان الانسان اليهودي وعلى أســاس هذا الإفتراض (التشتت، العودة وظهور الماشــيح) يتجول دائما من هنا إلى هناك في أقاصي الأرض، إلى أن حفرت في الأذهان صورة المشردين التائهين عن اليهود. وبرزت عبارة «اليهودي التائه» على الألســن وتحولت إلى عنوان للعديد من الأعمال الأدبية والفنية. ويقول **المسيري**، مؤلف كتاب «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»:

وتركــت عقيدة النفى أثرا معمقا على معنويــات اليهود، بحيث أن اليهود لم يكونوا يولون أهميــة تذكر للزمان والمكان، وكانوا ينظرون إلى كل شــئ على أنه مؤقت و[هذا الموضوع] أدى إلى أن يضطلع اليهود بدور كمجموعــة مكلفة وســيطة، بالتجارة والأعمال الماليــة والربا، ويتنقلون دائمــا من مكان إلى آخر، ولم يكن لديهــم أى إنتماء لأى مكان محدد. وكانــت المجموعة المكلفة حاضرة فى المجتمع، لكنها ليســت جزء منه. وكل هذا أدى إلى أن يستمر الإعتقاد بالنفى والعودة، ويحظى بمركزية.[١]

وكانت اليهوديــة الحاخامية «الأرثوذكس» قد تقبلت النفي والتشــتت كأ**مر مقدر ونهائي**، ولذلك، كانت تقول أن تأســيس مجتمع متمركز واســرائيلي حقيقي فــي الأرض، يقع على طرف نقيض من الأمر المقدر والمشــيئة الإلهية، وكانت تحجم عنه. إن إحياء **الحب لـ«صهيون»** وتكريم ذكراه إبان التشتت والتفرق والنفي، كان يقيم التواصل المعنوي بين اليهود والأرض المقدسة المفقودة. وهذا التواصل المجــازي لم يكن يعني لدى اليهود، العودة العملية والســعي للعودة إلى الأرض المقدســة، لكن مجموعة من التطورات السياسية والاجتماعية في العصر الجديد للغرب، من جهة، وظهور القلــق والهواجس العديدة بين الأوروبيين حول حضور وطريقــة عمل وحياة اليهود بجــوار المناطق التي يقطنها المســيحيون من جهة أخرى، مهد ليســتفيق هذا الأســد النائم من نومه ويميل إلى إصطياد الأرض التي لــم يكن لديه حق فيها من الناحية الدينيــة، وكان عليه بالضرورة إطاقة العيش في

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٢، ص ١٠٣.

النفي حتى عصر ظهور الموعود.

ويقول **آرثور كستلر** في هذا الخصوص:

ونشأت فى القرن الثانى عشر (للميلاد) فى «خزران» حركة كانت تؤمن بظهور المسيح والسعى لإيجاد جهاد يهودى بهدف الإستيلاء على فلسطين بقوة السلاح. وكان يهودى خزرى يدعى «سليمان بن دوجى»[1] أو «روى»[2] هو القوة الدافعة لهذه الحركة. وكان إبنه «مناحيم» ومدرس فلسطينى يساعدانه. وبعثوا برسائل إلى جميع اليهود القريبين والبعيدين فى جميع البلدان المجاورة ... وقالوا إنه آن الأوان لكى يجمع الله شعبه اسرائيل من جميع البلدان فى المدينة المقدسة «أورشليم» وسليمان بن دوجى هو نفسه «اليزه»[3] وإبنه هو المسيح نفسه. [إليزه، خليفة إلى،[4] النبى اليهودى]. وهذا النداء كان موجها أكثر للمجتمعات الهيودية فى الشرق الأوسط، ويبدو أنه لم يكن له أثر يذكر، لان الجزء التالى من الواقعة، حدث بعد عشرين عاما، عندما أطلق مناحيم الشاب على نفسه «داوود الروى» واتخذ من المسيح لقبا له.

وبالرغم من أن الحركة بدأت من خزران، لكن مركزها انتقل بسرعة إلى «كردستان». وهناك قام داوود بجمع قوة ملفتة ومن المرجح من يهود المنطقة ممن تم تعزيزهم على يد الخزر، ونجح فى الإستيلاء على حصن «امادى»[5] الذى كان يحظى بموقع عسكرى مهم فى شمال شرق «الموصل». ومن هناك كان يأمل بارسال قواته إلى «ادسا»[6] ويفتح طريقه إلى الأرض المقدسة عن طريق «سورية».

1. Solomon Ben Duji.
2. Roy.
3. Elisee.
4. Elie
5. Amadi.
6. Edessa.

وهـذه الحركة ومـع الأخذ بنظر الإعتبـار الإنقسـامات داخل الجيوش الاسـلامية وانهيار الصليبيين، كانت على طريقـة دون كيخوتة أقل مما يتصور اليوم... ، وبناء على إحدى النظريات، فان نجمة داود السداسـية المنقوشـة اليوم على علم اسـرائيل، تحولت إلى رمـز وطنى مع حركة داوود الروى. ويقول بارون:

ويقـال أنه مذاک وجدت النجمة السداسـية، علامـة داود التى كان لها حتـى ذلک اليوم طابعـا تزيينيا أو علامة سـحرية، طريقها لتصبح رمزا وطنيا ودينيا رئيسـيا لليهود. وقد اسـتخدمت النجمة السداسـية ولفترة طويلة مع النجمة الخماسية أو «خاتم سليمان»، ونسبت منذ القرن الثالث عشـر فصاعدا إلى داوود فى الأدبيات الأخلاقية والعرفانية للجرمانيين، ونقشت على علم اليهود عام ١٥٢٧م. فى براغ.[١]

وماعدا داوود الـروي، المعروف بـ David Reubeni الـذي رفع علم المزاعم باسم الموعود المنقذ لليهود، أصر المغالون الاخرون طوال تاريخ اليهود على هذا الزعم، وجمعوا حشدا من الناس حولهم.

إن هذا الحلم والتشـوق الجنونى للنجاة والخلاص من التعاسة، بلغ أوجه وذروته مع ظهور شـخص يدعى «شبتاى زوى». وكان شبتاى زوى قد ولد عام ١٦٢٦م. فى منطقة «اسـميرنا».[٢] **وكان يتصرف بشكل غامض. وتربى ونشـأ على المدرسـة التلمودية، وقرأ فى عنفوان شـبانه كتاب «القبالا» [الكابالا] واستنتج من محتوياته السرية والغامضة بان كل أبعاد وجوانب الانسـان المنقذ، مجتمعة فيه. وصدق شيئا فشيئا، بانه هو ذلک المنقذ الموعود الذى ورد ذكره فى كتاب القبالا بصورة سرية.**

وفـى عام ١٦٤٨م. وصبيحة يوم أحد ما، اليوم الذى كان يجب حسـب

---

١. **كستلر، آرثور**، «القبيلة الثالثة عشرة»، صص ١٣٧-١٣٨.

2. Smyrna.

متنبئـى كتاب القبالا، أن يظهر فيه الماشـيح، دخل إلـى الكنيس، وبعد إعطائه شـرحا مسـهبا عن عظمة الله ومجده، زعم أن كبرياء الله حلّ فيه وأنه هو ذلك المنقذ والماشـيح الموعود. وبالرغم من أن شـبتاى كسب فـى هـذه الحقبة، ثقة وإهتمام العديد من الشـخصيات الشـهيرة بمدينة «اسـميرنا»، لكن مزاعمـه الخارقة وانتهاكه للمقدسـات، دفـع بالقادة والربانيين لطرده من المجتمع... وفى ۱۶ سـبتمبر ۱۶۶۶م. إعتنق شبتاى زوى بفخـر واعتـزاز، وبتكريم تام، الإسـلام وغير إسـمه إلى «محمد أفندى»، وتسـتر خلف جدران حرملك السلطان والعمارة السلطانية فى «تركية» واختفى عن الأنظار.[1]

وفضـلا عن ذلك وحتى العصر الحديث، برز أدعيـاء كثر بين اليهود، أدعوا أنهم الماشيح وتسببوا بالكثير من المفاسد.

ولم تكن ذكريات شبتاى تمحى عن الذاكرة، حتى ظهر شخص اخر وادعى أنه خليفة نبى «اسميرنا». وهذا كان يدعى ««جاكوب فرانک»[2] ولد عام ۱۷۲۶م. وكان من رعايا تركية، وصاحب ذكاء متوسط وتحصيل علمى جزئى. وبدأ فرانک إدعائه بفرضية استنبطها من كتاب القبالا، قائمة على النجاة والفلاح (بما يشـبه المسـيحية أو الاسـلام أو الديانة الموسوية). وكان ينغمس فى عالم الخلسـة والإنجـذاب ويتخذ حالة عرفانية. وكان فرانک يقدم نفسـه على أنه شبتاى زوى ويدعى بان روح الاخير حلت فيه، وأمر أتباعه أن ينادونه Santo Senior.

وكان فرانک يدحض «الكتاب المقدس» وكتاب «التلمود» وعوضا عن ذلک، كان يعلن ويبرز عهدا وميثاقا جديدا تأسيسـا على الإسـتلهام من «زوهر». وطـردت حكومة بولونيا، فرانک من البـلاد فى النهاية، فيما

---

۱. **إيبان، أبا**، «شعبي، تاريخ بني‌اسرائيل»، صص ۳۲۱-۳۲۲.

2. Jacob Frank.

أعلنت هيئة القادة الدينيين اليهود «الربانيم» ندمها على سماحها لأتباع هذا النبى الكاذب، لدخول الإجتماع، وكانت تلعن الأفراد الذين يحجمون عن التوبة، وكان لابد من طردهم من بين المجتمع اليهودى. ومذاك، تم حظر تلاوة كتاب زوهر على الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن ثمانية عشر عاما.[١]

ولم تكن نهاية **فرانك**، بمعنى نهاية الطوائف الناشئة والمشيحانية بين اليهود، وبعدها، ظهرت فرق وطوائف اخرى بما فيها «حاسيديم» عندما كانت أوروبا الغربية، تمر بتطورات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، وعملوا على إلهاء يهود شرق أوروبا.

إن ما هو قابل للتأمل خلال دراسة التوجهات «المشيحانية» هو محاولات المتشدقين والأنبياء الكاذبين اليهود، سواء «الشبتانيستيين» و «الدونمة» و «الفرانكيستيين» للتخطيط والحيل الانسانية، من أجل تقديم الموعد الذي كان يمكن أن يتحقق على أرض الواقع في وقت ظهور المسيح الحقيقي في وقته المقدر، في حين كان على بني‌اسرائيل، تخطي فترة النفي والتفرق في الارض تماما، والإنتظار بصبر، لتحقق المشيئة الالهية وظهور الماشيح.

ويشير **المسيري** في «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» إلى أحد أكبر الإنحرافات العقائدية لليهود أي **الحلولية**، ويبين العلاقة بين **التوجه المشيحاني** و**التعاليم الكابالائية**. ويكتب قائلا:

... وكان الماشيح وأتباعه ينتهكون الشريعة ويدوسون عليها باقدامهم للإفادة من الحرية النابعة منها. وكانوا يعيشون فى الخفاء ببقية هويتهم اليهودية وبالأشكال التى لم تكن تمت لليهودية بصلة. وربما هذا يعود إلى أن لحظة المشيحانى هى لحظة حلول الله فى الإنسان (الماشيح) بالكامل. وهكذا لحظة، هى لحظة وحدة الوجود وبالتالى، تضاؤل دور

١. **إيبان، أبا**، «شعبي، تاريخ بني‌اسرائيل»، صص ٣٢٢-٣٢٣.

الله وحتى موته، لان الله يتحول إلى مادة بشـرية. وإن حصل ذلک، فان الشرائع التى أرسلت من قبله بوصفها الله، ستفقد مصداقيتها.

وترتبط المشـيحانية بالتجلى المفاجئ لله والرموز العنيفة التى تتجسـد أحيانا على هيئة إنتفاضة عسـكرية. وهذا الأمر ينطبق على أبو عيسـى الإصفهانى وداوود الرائى وديفيد ريوفينى وياكوب فرانک، وفى النهاية «الصهيونية».[1]

إن الحلولية تعد من المواصفات الرئيسـية للعرفـان اليهودي أو **الكابالا** ذاته. إن فكـرة حلول اللّه فـي التاريخ والطبيعة والانسـان، بدلا مـن تجليه، تعد من الإنحرافات الكبيرة التي انبثقت من بين التعالم الشـيطانية والسحرية للكابالا. إن الكتابين الشـهيرين والكابالائيين «باهير» و «زوهر»، حقنا هذه الفكرة في روح اليهود وبعدها، في الكثير من المثقفين وحتى السياسيين.

والحلـول فى اللغة يعنـى النزول فى مكان ما.[2] **وهـذه الفكرة مرفوضة فى معظم النصوص الكلامية والفلسـفية للأديان التوحيدية، واعتبروا أن سـاحة الله منزهة من الحلول فى المكان والتايخ أو الإنسان، لان الطرف الـذى يحل بحاجة إلى ظرف وشـئ للحلول به، فـى حين أن الله تعالى، غنى عـن جميع العالم والكائنات التى هم مخلوقاته. فضلا عن أنه يجب أن يكون هناک تناغم وتجانس بين الحالّ ومكان الحلول فى هكذا أمر. وفى التوجهات المشـيحانية، وتأسيسا على المعتقدات الحلولية، فان الله حل فى فرد محدد. وفى هكذا فكر شـركى، فان موضوع الشعب المختار الذى يزعمه اليهود، يبرز إلى العلن. بعبارة أخرى فانه هؤلاء يرون أن الله وبكل عظمته، حل فى شعب مختار أو فى أرض خاصة.**

وفـى هذا التوجه، تم نبذ ورفض منظومة العقل والوحى والشـريعة التى

---

۱. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ٣٢١.

۲. **طالقاني، سيّد علي**، «الحلول – الاتّحاد»، ج ١٤، ص ٣٥.

تؤدى إلى التواصل بين الخالق والمخلوق.

إن اليهودية الحاخامية ومن أجل تهدئة خواطر التوجهات المشيحانية، بذلت قصارى جهدها وفى هذا المضمار ركزت على البعد الإلهى لعودة الماشيح ومن أن الماشيح هو «وسيلة الله» لتحقيق الخلاص والتحرر. وبذلك، فان اليهود يجب أن يبقوا فى ظل الصبر وضبط النفس بانتظار الماشيح وان الجهود الفردية والجماعية لتقديم موعد نهاية العالم، يعتبر كفرا...

والطريف أن التوجه المشيحانى فى الحقبة المعاصرة، وعلى الرغم من امتلاك مبادئ السفارادية انتشر وراج فى شرق أوروبا والأجزاء الأوروبية للدولة العثمانية. إن المشيحانية التى كانت فى الأصل [من وجهة النظر العقائدية] سفارادية، اختصت لاحقا بالأقليات الأشكانزية. إن «الفرانكية» و «الحسيدية» وبالتالى «الصهيونية» كانت فى الوهلة الأولى، حركات اشكنازية، ربما لان الأشكناز كانوا يعيشون فى بيئات مسيحية، وكانت المسيحية تؤمن بحلول الله فى شخص واحد أى المسيح بن مريم. وكانت الحركات المشيحانية هكذا، ونقلت الحلول الالهى من الشعب اليهودى إلى الماشيح.[١]

إن الصهيونية ومن خلال الإستناد إلى العقيدة المشيحانية المنبثقة عن التعاليم الكابالائية (وليس الحقيقة الدينية المتمثلة بعودة المسيح الموعود، وكما بيّن في الأديان التوحيدية)، تحركت كتفا بكتف النهضات المبرمجة لإثارة مشاعر مظلومية اليهود وعدم امتلاكهم الوطن وتحريض التوقعات المشيحانية لديهم ما أدت إلى نشوء واقعة شغلت القرن العشرين وما بعده القرن الواحد والعشرين، وأدت إلى اندلاع أزمات كبرى في الشرق الاوسط وفي البلدان الاسلامية.

إن الكتابات الصهيونية مليئة بالموضوعات المتعلقة بالعودة والعصر

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ٣٢١.

الذهبى للمشيحانية والماشـيح. ونرى فى مذكرات هرتصل بان جزء من أوهامه حول نفسـه، تنطوى على أبعاد مشـيحانية. وبالرغم من أن بعض الصهاينة لم يكونوا يؤمنون بعودة الماشـيح، لكنهم كانوا جميعا يؤمنون بالعصر المشـيحانى أو – كما يقول هس – بـ «سبت التاريخ» أو «نهاية التاريخ». والفارق الوحيد بين هذه الرؤية والرؤية التقليدية الدينية، كان يكمن فى أنه لم يكن يؤمن بشخص الماشيح، وبعبارة أخرى، كان يؤمن بالمشـيحانية من دون الماشيح. (الحلولية بدون الله). ومع وضع شخصية الماشـيح جانبا، توفرت إمكانية تحالف المؤمنين مع الملحدين، وأصبح من الممكن نشـوء ظاهرة مشيحانية غير دينية. بعبارة أخرى، فان العصر الذهبى للمشـيحانية فى فلسـطين، تحقق من خلال استخدام التكنولوجيا والعنف والأسـاليب غير الدينية، من دون أن يريد اليهودى البقاء بانتظار ظهور الماشيح.[١]

ومع بدء العصر الحديث والحركة الامبريالية ونشـأة الفكر المادي والتجريبي والأسـلوب المعرفي للعلمانيـة والمادية والتفسـيرات الحلوليـة والحرفية للعهد العتيق، ظهرت فكرة رجعية بين المسـيحيين البروتستانت أثرت تأثيرا معمقا على المجموعـات اليهودية في أوروبا، وظهرت الحركات **المشـيحانية** تدريجيا بهدف تحويـل فكرة العـودة من **ظاهرة دينية مجازيـة** إلى **ظاهرة تطبيقيـة**. إن هذه الفكرة تجذرت في ظل نشـوء النزعة القومية في الغـرب وتقديم تعاريف عرقية وعنصرية عن الإنسان.

وبعد توسـع نطـاق الحركـة الامبريالية وضعـف اليهوديـة الحاخامية «الأرثوذكس» التى كانت قـد تقبلت النفى كأمر نهائى، ضربت الأفكار الصهيونيـة بجذورها بين اليهود. وظهـرت الصهيونية فى نهاية المطاف فى أواخر القرن التاسـع عشر بين اليهود، واسـتثمرت بناء على مطالبها

١. المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٢٣.

السياسية، التراث الدينى اليهودى وهيمنت على الخطاب الدينى وحولت جميع المفاهيم المجازية الدينية إلى مفاهيم قومية تطبيقية.[١]

إن الأوروبيين المسيحيين المستائين، كانوا يظنون إن الإرسال القسرى أو الإختيارى لليهود المتفرقين فى أوروبا إلى «اسرائيل» التى قامت على أساس الفكر الصهيونى، سيريحهم ويخلصهم من اليهود ومجمل المفاسد السياسية والاقتصادية والثقافية التى طالت حياةالمسيحيين. ولهذا السبب، بذلوا قصارى جهدهم لإرسال اليهود وجمعهم فى أرض محددة. ومع ذلك، فان القناعات السابقة حول الأمر النهائى والنفى والتفرق، منعت اليهود من الهجرة إلى اسرائيل الحقيقية الصهيونية. وفى هذا الخضم، تدفق يهود شرق أوروبا (اليديشيون) على هذه البلاد الجديدة، ولذلك نرى أن اليهود الإشكنازيين، شكلوا الأغلبية الساحقة لليهود المهاجرين إلى اسرائيل.

وتطلق عبارة اليهود اليديشيين أو يهود شرق أوروبا[٢] على المجموعات اليهودية بشرق «المانيا» (فى بولندا و روسية)... وهذا المصطلح توسع فى القرن التاسع عشر للميلاد مع بدء الحركة القومية للسلاف. وقد استخدم اليهود البريطانيون سواء السفاراد أو الاخرون هذا المصطلح للدلالة على المهاجرين الجدد الذين جاؤوا من روسية وبولندا. وتعود أصول اليهود اليديشيين الذين يشكلون أغلبية يهود العالم، إلى القرن الثانى عشر للميلاد والحروب الصليبية. وفى تلك الحقبة، بدأت مجموعات من اليهود الألمان مع تجار من مواطنيهم، الهجرة إلى «بولندا» وأقاموا فيها. وكان حكام بولندا قد حفزوا هؤلاء اليهود على الهجرة بهدف تشجيع وتفعيل التجارة فى بلدهم. وقد ذهب هؤلاء إلى ألمانيا بلغتهم وثقافتهم،

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٢، ص ١٠٤.

2. Yiddish or East European Jews.

واختلطت هذه اللغة الألمانية مع بعض المفردات السلافية والعبرية. ومن ثم استخدموا الحروف العبرية لكتابتها وتحولت [بالتالى] إلى الشئ الذى أطلق عليه اللغة اليديشية، وهى لكنة ألمانية لا أكثر. إنهم حملوا هذه اللكنة التى أطلقوا عليها لغة، معهم دائما كمواصفة ثقافية مهمة.

ويذهب آرثور كستلر إلى الإعتقاد بان جذور اليهود اليديشيين هى تلك التى أطلق عليها إسم «الدياسبورا الخزرية» (تشتت أو تفرق يهود الخزر وانتشار عدد منهم فى شرق أوروبا).[1]

وبعد التدمير الثاني لمعبد بني‌اسرائيل بعام ٧٠م. وتفرق اليهود في أقاصي العالم، لم ير اليهود الراحة والإستقرار النفسي أبدا. واعتبر التشتت، قدرهم ومن ثم الجرم والمعاصي التي اقترفها بنو اسرائيل، بحيث أن مجموعات عديدة من اليهود، اعتبروا هذا التشرد، عقابا على صلب **المسيح**عليه السلام ورأوا أن التفرق والتشتت هما مسار سيستمر حتى عودة الماشيح والحكم على ما حصل في الماضي. وقد فصلنا بهذا الخصوص في الصفحات السابقة أثناء الحديث عن الطوائف التقليدية والعصرية اليهودية.

وفي هذا الخضم وفي العصر الحديث، إنتهجت مجموعة مشروعا جديدا من خلال إيديولوجية «الصهيونية» المزورة.

٣. الصهيونية (Zionism)

إن «صهيون»[2] هو إسم تلة في «اورشليم» يقال أنها خضعت لسيطرة **النبي داود**عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد، وبعدها تحول لقب أورشليم إلى لقب مجمل أرض اسرائيل[3]، وأصبحت الصهيونية عنوان حركة كانت تنادي بعودة

١. المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٦٧.

2. Zion.

٣. «مفردات ثقافة اليهود»، ص ١٧٨.

اليهود إلى أرض «فلسطين» وتأسيس وطن بني‌اسرائيل الخاص مرة أخرى.

وفى أواخر القرن التاسع عشر، طردت مجموعة كبيرة من اليهود الروس. وأقام بعضهم فى غرب أوروبا والبعض الاخر توجه إلى فلسطين وأقام فى موقع بالقرب من «البحر الابيض المتوسط» وأطلقوا عليه إسم صهيون[١].

ويقول **عبدالوهّاب المسيري**، في تعريف الصهيونية بمعنى الدين:

وتطلق مفردة «صهيون» فى التراث الدينى اليهودى على جبل «صهيون» و «بيت المقدس» و بصفة عامة على الأرض المقدسة. ويعتبر اليهود أنهم من مواليد صهيون. كما أن هذه المفردة تستخدم للإشارة إلى اليهود بوصفهم مجموعة دينية. إن العودة إلى «صهيون» فى النسخ الدينية اليهودية، تمثل فكرا محوريا، لان أتباع هذه المدرسة يؤمنون أن الماشيح المنقذ [السيد المسيح عليه السلام منقذ اليهود] سيظهر فى آخر الأيام ليقود أمته إلى أرض صهيون، ويقيم العدل والسكينة من خلال بسط حكمه على العالم.[٢]

و «الصهيونية» كمصطلح؛

وتطلق على رؤية يهودية محددة برزت فى أوروبا. ووفقا لهذه الرؤية، فان اليهود ليسوا جزء عضويا من هيكلية الحضارة الغربية، بحيث يمتلكون حقوقا وواجبات مثلهم مثل سائر المواطنين، بل ينظر إليهم كشعب مختار ومجموعة مقدسة يوجد وطنهم المقدس فى «فلسطين»، ويجب عليهم الهجرة إليه. وهذا التيار الذى ينادى بتوطين اليهود فى فلطسين، استمر حتى بعد تراجع الإحتقان الدينى الذى كان متلازما مع حركة الإصلاح

---

١. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الديانات الكبرى»، ص ١٠٨.

٢. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ترجمة **لواء رودباري**، مكتب الدراسات السياسية والدولية، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ .ش.، صص ٧-٨.

الدينى.[1]

وعلـــى الرغم من تصور العديد من الناس في أرجاء الأرض، فان «الصهيونية» ليســـت تيارا سياســـيا واجتماعيا نابعا من التوجهات السياسية لحشد من اليهود المقيمين في الغرب، بل إن هذا التوجه السياســـي الجديد، يستند إلى توجه ديني يمكن تحديده، ويجب البحث عن أسسه النظرية في القرن السادس عشر للميلاد في عصر نهضة الإصلاح الديني.

ويعود تاريخ الصهيونية السياسية إلى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد.

وقد أرســـيت المنظمة العالمية للصهاينة فى أغســـطس ۱۸۹۷م. بمدينة «بال» فـــى المؤتمر الدولى الأول للصهاينة. وبعدها بفترة، أســـست هذه المنظمة «تروست اليهود للمستعمرات» الذى كان شركة دولية مساهمة.[2]

إن اليهود ومن حيث الخصائص الاخلاقية والروح القومية، وبسبب أنهم كانوا يعتبرون أنفســـهم الأفضل والمختارين، كانوا يعيشـــون دائما كجماعة خاصة بين ســـائر المجتمعات وعلى الهامش. وكانت «الغيتوهات» أو الأحياء اليهودية في شرق العالم وغربه ملاذا ومأمنا ومكانا للعيش المختلف والهامشي لليهودي. وهذا أدى أيضا إلى أن يكتنف الغموض والظن والتســـاؤل حياتهم الخاصة وتوجهاتهم وأدائهم بين سائر الشعوب.

وهذا العيش على الهامش، لم يكن خاليا إطلاقا من التحديات بالنسبة لليهود والشعوب المستضيفة، بل كان سببا لاندلاع العديد من المشاكل في المناسبات والتعاملات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية أيضا.

وفي العصر الحديث وبعد تشـــكل الرأسمالية في أرجاء أوروبا ونشوء الشعور بضـــرورة تحطيم جدران الإحتكار الخاص وضرورة هضم جميع الإثنيات في نظام إجتماعي وسياسي موحد، فقد أظهر إزالة جدران «الغيتوهات» والأحياء اليهودية

---

١. المصدر السابق، ص ٩.

٢. **ايفانف، يوري**، «الصهيونية»، ترجمة **إبراهيم يونســـي**، طهران، فرهنك للنشـــر، الطبعة الاولى، ١٣٥١هـ .ش.، صص ١٢-١٣.

نفسه أيضا.

وفى عصر الرأسمالية، انهار جدار الغيتو اليهودى ومهد لاستقطاب اليهود فى مزاج البيئة (التيار الذى كان قد انقطع لفترة وجيزة نسبيا فى العصور الوسطى):

وكتب أحد العلماء الروس فى هذا المجال: وكان زوال تقاليد ومعتقدات العصور الوسطى وبسط وتوسيع الحريات السياسية لليهود وتخليهم عن لغة «اليديش»[١] لصالح اللغات الوطنية للأعراق التى كانوا يعيشون بينها وبصورة عامة إنخراطهم غير القابل للإنكار والتقدمى فى الأناس المحيطين بهم، يتقدم بالتزامن فى أرجاء أوروبا.

ويقول **ليونارد اشتين** خلال دراسة هذه الحقبة في كتابه بعنوان «الصهيونية»:

إن يهود الغرب المحررين، لم يعودوا يعتبرون أنفسهم منفيين يعيشون فى عالم منفصل. وقد ضرب هؤلاء بجذورهم فى أوطانهم الأم، وتكرس إنتمائهم لهذه البلدان ليس بفعل الإنتماء السياسى بل على إثر الأواصر العاطفية المتينة... إن هؤلاء لم يعودوا يهود، بل كمواطنين بريطانيين وفرنسيين وألمان، باتوا يعيشون ويتصرفون كيفما يشاؤون، ولم يعودوا يرضون بمعتقدات العالم القديم فيما يخص «النفى» و «إعادة التأهيل» حيث كان ينظر إلى اليهود كأجزاء متفرقة من أناش متشردين.[٢]

ويقول **عبدالوهّاب المسيري** في هذا الشأن:

إن الثورة الصناعية، زعزعت بنية مجتمعات شرق أوروبا وهيكليتها السياسية والطبقية، لذلك تفسخت قوة الأنظمة الإقطاعية الإستبدادية

---

١. وهو إسم لغة كانت لقرابة ألف عام، لغة الأم وأحيانا اللغة الوحيدة لليهود الأشكناز الذين كانوا يعيشون في أوروبا الشرقية والوسطى. (موسوعة ويكيبيديا الحرة).

يديش (Yiddish) هي لغة مختلطة يتكلم بها يهود ألمانيا ودول أوروبا الشرقية. (**ايفانف، يوري**، «الصهيونية»، ص ١٤، الهامش.)

٢. **ايفانف، يوري**، «الصهيونية»، صص ٤٠-٤١.

السائدة. وأخذت تهب مثل هذه العواصف. واضطرت الحكومات للجوء إلى بعض الإصلاحات ومنح مواطنيها بعض الحريات، لتتمكن من تحديث وإعادة تأهيل الحكومة ومؤسساتها.

وتحرر رقيق «روسية» من الرق، وصودق على قوانين، أقامت المساواة بين اليهود وسائر مواطنى إمبراطورية «النمسا» ومنح أعضاء الأقليات الدينية والعرقية، جانبا من حقوقهم السياسية والدينية.

وفى بادئ الأمر، لم تختلف ردة فعل الاقليات اليهودية عن ردة فعل الأقليات العرقية والدينية. وأثير مشروع لتجديد اليهود وأتخذ شكل الإصلاح اليهودى (الدينى) والحركة التنويرية (الفكرية العامة)، وتحرك اليهود لتطبيق أنفسهم مع الوضع الجديد. وطلبت الحكومة – الشعب الجديدة (فى روسيا و«المانيا» ولاحقا «بولندا») من اليهود صياغة هويتهم بطريقة تكون متسقة مع الإنتماء القومى الجديد.[١]

إن تزامن إندلاع أزمة الهوية الحاخامية والتلمودية في اليهودية وعجز اليهودية التقليدية عن تطبيق نفسها مع الظروف الجديدة التي حلت بالمجتمع الغربي (بدء من الثورة التجارية وصولا إلى الثورة الصناعية) تسبب بظهور الحركات الإصلاحية. وهذه الحركات التي حاولت تحرير اليهود من التقاليد السابقة، أصبحت جاهزة لمواكبة التطورات الإجتماعية والسياسية في الغرب وإزالة الجدران التي تفصل اليهود عن سائر الأعراق. ويقول مؤلف كتاب «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» في هذا المجال:

إن إنهيار «الغيتوهات» وبعدها، اندلاع حركة التحرير السياسى، زاد من شدة هذه الأزمة، لان الحكومة الوطنية العصرية كانت قد وعدت اليهود بالتحرر السياسى، شريطة أن يبقوا هم أوفياء للنظام السياسى الحاكم، ومواكبة المجتمع سياسيا واقتصاديا وثقافيا ولغويا...

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ٢٣.

وقد رد اليهود بالإيجاب على طلب الحكومة الوطنية هذا، وشكل نشوء حركة التنوير والدعوة الى التناغم والتجانس مع المجتمع وظهور اليهودية الإصلاحية، جزء من هذا الرد.[١]

جدير ذكره أن عامة الباحثين في مجال «الصهيونية» يعزون إنعقاد هذه النطفة السوداء إلى السنوات الأخيرة بوصفها من أوائل ممارسات أشخاص مثل **هرتزل**، ويعتبرونها بداية ومنطلقا لنشأة الصهيونية، في حين أن هذه الواقعة قابلة للدراسة ضمن سلسلة طويلة ومنعطفات أهم في القرنين ١٥ و ١٦ للميلاد. السنوات التي مهدت لانهيار اسبانيا وخروج الأندلس من أيدي المسلمين ونهضة الإصلاح الديني وحتى فتح القارة الأمريكية. ونورد هنا إجمالا نقاطا للقراء والباحثين والحريصين على التعمق في الدراسات والبحوث اللاحقة.

ومن الضروري تسليط الضوء على آراء وأفكار سائر الباحثين حول تواجد وعمل اليهود في أوروبا المسيحية ودور المجموعتين الإجتماعيتين الدينيتين المسيحية واليهودية في تطورات القرون ١٦ إلى ١٨ للميلاد من أجل الوصول إلى تحليل حقيقي.

وكما أسلفنا، فان تواجد المسلمين في أوروبا يعود إلى السنوات التي تم فيها فتح «اسبانيا» على يد المسلمين، وأصبح جزء كبير من هذه القارة بما فيها «الأندلس» تحت سيادة المسلمين لعدة قرون. وهذا التواجد أدى إلى نشوء نطاق ثقافي وحضاري إسلامي جديد في هذه المنطقة من «أوروبا».

إن تفشي الضعف والتشتت في أركان النظام السياسي والإجتماعي للمسلمين – منذ أواسط القرن الخامس عشر للميلاد – أطلق تدريجيا يد الملوك المسيحيين في هذه البلاد.

ففي عام ١٤١٩م. بدأت إيزابل وفرديناند [ملك أرغون] هجوما على «غرناطة». وقرر شعب غرناطة الذى كان قد شهد منذ القدم ظلم الغزاة

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ٤٠٥.

المحتلين فى الأراضى الاسلامية بـ«اسبانيا»، إعتماد المقاومة الباسلة. وتم صد أول هجوم على شعب غرناطة فى ظل دفاع باسل. وفى الهجوم التالى، ضربت أيزابل [ملكة كاستيل] على هذه المدينة التى كانت تضم ٢٠٠ ألف نسمة، حصارا خانقا، استمر لتسعة أشهر. وبدأت بالتالى المحادثات بين الطرفين، ووافقت غرناطة على الإستسلام من خلال معاهدة.[١]

وهذه الواقعة شكلت بداية لسلسلة من الحروب التي ضيقت الخناق تدريجيا على المسلمين وأدت إلى سطوط الأندلس، وهيمنة المسيحيين على اسبانيا. وارتكبت خلال ذلك، مذابح ضد الكثير من المسلمين. واضطر اخرون للهجرة وواصل عدد ضئيل منهم العيش بشكل متخف في اسبانيا.

وثمة العديد من المستندات التي تظهر أن اليهود المقيمين في أوروبا، اضطلعوا بدور مهم في تجهيز الجيوش المسيحية لفرض سيطرتها على اسبانيا وطرد المسلمين منها.

وكان إسحاق آبرابانل (١٤٣٧-١٥٠٨م.) أهم منظرى أوليغارشية أثرياء اليهود فى أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر للميلاد. وكان المستثمر والمصمم الأول لغزو غرناطة، بل أنه اضطلع بدور مهم وغامض فى هجرة اليهود من شبه جزيرة «إيبرى»، وساهم كمنظر سياسى بارز فى قولبة موجة من التطلعات المسيحية فى جسم ثقافة عصر النهضة.[٢]

وقد قتل ملايين المسلمين إثر هجمات المسيحيين على اسبانيا، إلى أن أصبحت شبه الجزيرة هذه بمجملها في قبضة قادة أوروبا المسيحية.

وقد دفع الرأسماليون اليهودن مبالغ طائلة للملوك الأوروبيين كقروض من أجل

١. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ج ٢، ص ٣٥.
٢. المصدر السابق، ص ٣٢.

الإستيلاء على غرناطة.

وذكرت «موسوعة اليهود» أن حجم الإستثمار الذي قام به آبرابانل[1] لغزو غرناطة بلغ ١/٥ مليون ليرة ذهبية.[٢]

وكان يهود اسبانيا بوصفهم وكلاء الحكومات المسيحية، يتولون جباية الضرائب وإدارة محلات الصيرفة و...

وحسب توقعات أحد المؤرخين (سديلو Sedillot) فان عدد سكان اسبانيا انخفض بنسبة ثلاثة ملايين نسمة منذ سقوط غرناطة (١٤٩٢م.) وحتى طرد المسلمين (١٦١٠م.). وحسب غوستاف لوبون الفرنسي، ربما أن أيا من أقسى وأكثر فاتحى العالم وحشية، لم يقدم لحد الان على ارتكاب مثل هذه المذابح المروعة...

وذكر المؤرخون الأوروبيون أن عدد المسلمين الذين طردوا تراوح بين ٣١٠ ألفا و ٣ ملايين نسمة. وذكر ويل ديورانت إن هذا العدد بلغ ٣ ملايين شخص. وقالت «موسوعة أمريكا» ان عدد المسلمين الذين طردوا بلغ نحو ٥٠٠ ألف شخص بين الأعوام ١٦٠٩ و ١٦١٤م. فحسب...[٣]

ويقول الدكتور **عبدالهادي حائري:**

وبعد سقوط غرناطة عاش مسلموها، وضعا أسوأ. ومذاك سعت اسبانيا المسيحية قدر استطاعتها، لتمزيق المسلمين والنيل من العالم الاسلامى. ومارس مسيحيو اسبانيا المنتصرون، التعذيب والإيذاء وأقاموا محاكم التفتيش ضد المجموعات المليونية من المسلمين، وشردوا نحو ثلاثة ملايين مسلم أو قتلوهم فى الفاصل الزمنى الكائن بين سقوط غرناطة والعقد الأول من القرن السابع عشر للميلاد.[٤]

---

1. Abravanel.

٢. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ج ٢، ص ٣٣.

٣. المصدر السابق، ص ٤٠.

٤. **حائري، عبدالهادي**، «الحريات السياسية والإجتماعية في منظور المفكرين»، مشهد، الجهاد الجامعي،

وفـي هذه الحقبة العصيبة التي كان يقتل فيها المسـلمون قتلا جماعيا، كان اليهود يعيشـون في مجتمعاتهم المنغلقة وغيتوهاتهم وأحيائهم على شـكل جزر منفصلة ومسـتقلة في البلاد المسـيحية، في حين أن قادتهم كانوا يتواطؤون مع الأسـر الأريستقراطية المسـيحية والقادة، ويسـدون الخدمة للمسيحيين كأطباء ومترجمين وتجار وصرافين، فضلا عن إضطلاعهم بدور رئيسـي في تبديد وتمزيق مسلمي اسبانيا.

وبعد الإستثمار المالي لزعماء اليهود في رفد النزعة التوسعية للحكام الأوروبيين ومساعدتهم على فتح «اسبانيا» وطرد المسلمين، فان هذه الوقائع؛

أذكت جشع الحصول على الأموال الطائلة عن طريق النهب. ومع سقوط «غرناطة» وصلت الإسـتثمارات إلى طريق مسـدود فـي مجال النهب البرى، واضطرت بالتالى لبدء عصر «الإستكشـافات البحرية» وكان هذا السبيل الذى مهد له «كريستوفر كولومبوس».[١]

وفي مطلع القرن السـادس عشـر للميلاد، كلفت **إيزابل، كريسـتوفر كولومبس** (١٤٥١-١٥٠٦م.) للسـفر إلى مـاوراء البحار وجمع المال للأسـرة الملكية الاسبانية.

ويذهب بعـض الباحثين إلى الإعتقاد أن كولومبـس كان من فئة اليهود المتخفيـن، وأن بعض الوثائق التى تم العثور عليها فى جنوب «ايطاليا»، قطعت الشك باليقين بيهوديته... ويقال بانه كان يتحدر من أسرة يهودية إيطالية تدعى كُلُن[٢] **وهى نفسها كولومبوس**[٣] **باللكنة الاسبانية.**[٤]

وفضلا عن ذلك، وكما ذكرت «موسـوعة اليهود» فـإن اليهود كان لهم دور أساسي في سائر بقاع أوروبا المسيحية في الإستثمارات المالية.

١٣٧٤هـ .ش.، ص ٥٣.

١. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ص ٤٢.

2. Colon.

3. Colomb.

٤. المصدر السابق.

وتضيف الموسوعة ذاتها:

فى القرن الخامس عشر للميلاد، اضطلع اليهود بدور مهم فى الرأسمالية الملكية البرتغالية.[١]

وقد اتسع نطاق هذه العلاقات الطيبة بين المسيحيين واليهود وطالت «الفاتيكان».

وقد بلغت العلاقات الحسنة للأوليغارشية اليهودية مع البابوات ذروتها فى النصف الاول من القرن السادس عشر، فى حين أن أعضاء أسرة مديتشى تقلدوا منصب البابا فى عهد ليو العاشر (١٥١٣-١٥٢١م.).[٢]

وبعد الرحلات البحرية الإستكشافية لـ**كولومبوس** وفتح أبواب الأراضي الأمريكية الجديدة، بدأت الهجرة التدريجية لليهود من البلدان الأوروبية إلى القارة الجديدة.

وقد اضطلعت ضغوط محاكم التفتيش المسيحية في ذلك الحين، بدور مهم في هجرة اليهود إلى سائر مناطق العالم.

وقد انطوت هجرة اليهود إلى مختلف مناطق أوروبا، في حد ذاتها على موجة عاتية من المحاولات المالية للأسر اليهودية. وكان هؤلاء وأينما حلوا يدخلون مختلف مجالات التجارة والصرافة والربا وإعطاء القروض وإنتاج وتجارة المشروبات الحكولية، ويلحقون بالتالي ضغوطا بعامة الشرائح المختلفة لشعوب أوروبا.

وهذا الظلم، لم يكن ليمر من دون صدى. فالإستغلال الجائر للقرويين من قبل المرابين ووكلاء الأعمال والموجرين والمقاولين اليهود المنتمين لأريستقراطية بولندا خلال السنوات ١٦٤٨-١٦٤٩م. تسبب بتمرد قروى واسع النطاق.[٣]

---

١. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ج ٢، ص ٤٧؛ نقلا عن «موسوعة اليهود».
٢. المصدر السابق، ص ٦٠.
٣. المصدر السابق، ص ٩٥.

وقد أصدر **روجه بريفت**[1] الكاتب والسياسي الفرنسي كتابا عام تحت عنوان «اليهود». ويدور الفصلان الطويلان لهذا الكتاب حول محور كراهية الأوروبيين لليهود. وكتب بريفت وهو يرسم تعقيدات الشخصية اليهودية يقول:

إن يهوديا ما، يطرق دائما الباب المغلق لمجتمع أو شعب ما، ويبكى ويتوسل ويخطب الود ويظهر المسكنة والذل، لكن عندما تفتح الباب بوجهه ويسمح له بالدخول ليعيش إلى جانب الناس، فانه لن يرضى بأقل من فرض الهيمنة والسيادة على هؤلاءالناس. ومن ثم يبدأ بسرد ما حل له خارج الباب.

لذلک، يسعى من خلال السماجة واستمالة العواطف والإصرار الشديد، لجعلهم يشعرون بالذنب. وبالتالى فعندما يستسلم الناس لطلبه فى سبيل التخلص من لجاجته ومضايقاته، يطلب على الفور التعويض ولا يقتنع بالإعتذار وطلب العفو، بل يطالب بغرامة وثمن، بل أن المال والثروة، يعدان سلاحا رهيبا فى قبضة اليهود.[2]

إن الأداء متعدد الأوجه وغير الصائب لليهود، أثار تدريجيا موهة من الكراهية والسخط من اليهود في قلوب الأوروبيين.

ويقول روجة بريفت الفرنسي أنه لا يمكن إمحاء وتبديد الكراهية من اليهود في أوربا بهذه البساطة. وإن كان مسيحيو أوروبا يستشكلون على **البابا يوحنا الثالث والعشرين** (١٩٥٨-١٩٦٣م.) فان مرد ذلك يعود إلى الدعوة التي وجهها لعقد اخوة مع اليهود.[3]

إن ما يثير سكان أوروبا المسيحية ضد اليهود، كان يعود بداية إلى تاريخ صلب **المسيح** عليه السلام، وبعده،

الأنانية والعنصرية والعمل الاقتصادى غير المنتج وتجارة الرقيق وتجارة

1. Roger Peyrifitte.

٢. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، قم، بوستان كتاب، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ .ش.، ص ٧٢.

٣. المصدر السابق، ص ٨٥.

البغاء وأكل الربا وتعاطى الرشوة والتجسس وعبادة المال والثروة.
ويقول كارل ماركس مؤسس الماركسية والذى هو يهودى فى الأصل، فى كتابه المقتضب بعنوان «حول قضية اليهود»:
إن المال، هو الرب الحسود لاسرائيل، وأن إى إله اخر لا يضاهيه... إن النقود هى الرب الحقيقى لليهود. إن إله اليهودى ليس سوى تصور عن النقود ... إن الوطنية الوهمية لليهود هى وطنية التاجر ووطنية الإنسان العابد للمال، إجمالا.[١]

إن حصيلة الدراسات الثقافية حول مصدر «الصهيونية» تشير من جهة إلى أن التطورات الثقافية في الغرب أدت إلى نشأة نهضة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر ونشأة الصهيونية غير اليهودية وبالتالي أن تتحول فكرة عودة المسيحيين عن مسار المذهبين الجديدين والناشئين «البروتستانتية» وبعده «التطيريهة (البيوريتانية)» إلى قضية بذل كل أنصارها قصارى جهدهم لإرسال الشعب المختار (بني اسرائيل) إلى فلسطين، على أمل أن تمهد هذه الواقعة لسلسلة حوادث تستمد منها عودة السيد المسيح عليه السلام، لكن ومن جهة أخرى، فان التطورات السياسية لأروبا بعد فتح «اسبانيا» وتأسيس الحكومات الوطنية وإطلاق يد اليهود في جميع العلاقات والتعاملات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لسكان الغرب المسيحي، أدت إلى إذكاء موجة الكراهية لليهود، وحثت العديد من قادة الدول الأوروبية للتفكير بدفع اليهود للهجرة في خطوة للتخلص منهم وتوطينهم في بلد أخر.

وفيما يخص الوجه الأول الذي أسفر عن تشكيل «الصهيونية المسيحية»، فيقول مؤلف كتاب «اليهود والصهيونية»:

إن هذه الفكرة كانت تؤكد أنه على الرغم من أن اليهود هم قوم قساة القلب ويتنكرون لعيسى المسيح عليه السلام، لكن كيانهم وبقائهم، أمر لا يمكن

١. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، ص ١٩٧؛ نقلا عن ترجمة **مرتضي محيط**، صص ٤٨-٤٩.

تجنبه، ويجب العمل لتوطينهم فى بلد مستقل، وذلك كواجب شرعى وبهدف تحقيق الظروف الكفيلة بالظهور المجدد لعيسى المسيح عليه السلام. وهذه الفكرة كانت تبين الأسس النظرية والعقائدية للمسيحيين. لإسكان اليهود فى أرض «فلسطين» وتشكيل دولة يهودية.[١]

جدير ذكره أن «المسيحيين المتصهينين» يعتبرون عودة اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة اليهود الكونية وإعادة بناء «هيكل سليمان» وبالتالي واقعة هرمجدون، كشرط مسبق وحاجة ضرورية للعودة المجددة للمسيح عليه السلام.

ويقول **حاييم وايزمن**، زعيم الحركة الصهيونية في النصف الأول من القرن الماضي، في كتاب «التجربة والخطأ»:

وقد رفدت «بريطانيا» الحركة الصهونية منذ تأسيسها، وتبنت تحقيق أهدافها، وأبدت موافقتها على تسليم فلسطين التى تم إخلاؤها من السكان المحليين لليهود لسنة ١٩٣٣م. ...

إن الشعب البريطانى لاسيما البريطانيين الأصوليين، يخضعون أكثر من جميع الشعوب لأثر «التوراة». إن تمسك البريطانيين بمبادئ الديانة، هو الشئ الذى يلبى تطلعاتنا وطموحاتنا، لان البريطانى المتدين يؤمن بما ورد فى «التوراة» حول عودة اليهود إلى فلسطين، وقدم الوسط الكنائسى البروتستانتى البريطانى أكبر الدعم من هذه الناحية.[٢]

وكان للحركة الصهيونية المسيحية، أنصار آخرين بين الوجوه السياسية للقرن التاسع عشر ببريطانيا. وأحدهم «تشارلز هنرى تشرتشل» (الجد الأكبر لـ«ونستون تشرتشل»، رئيس الوزراء البريطانى الأسبق)، والذى أعلن فى رسالة وجهها عام ١٨٤١م. إلى رئيس جمعية يهود «لندن»: إن تقاطع عاملان وتشابكا معا، فان عودة الشعب اليهودى إلى «فلسطين»

---

١. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، ص ٣٠٠.

٢. المصدر السابق، ص ٣٠٢؛ نقلا عن **يوسف العادي الطويل**، «الصّليبيون الجدد»، ص ٦٠.

ستصبح ممكنة. الأول أن يأخذ يهود العالم موضوع العودة إلى فلسطين على محمل الجد، وأن يصبحوا بصدد وضعها موضع التطبيق، والثانى أن تشمر القوى الأوروبية عن سواعدها لتحقيق ذلك.[١]

هرتزل والدولة اليهودية

وكان لـ«الصهيونية المسيحية»[٢] الأفضلة على اليهودية»، وبالأحرى الممهد لها. وقد حصلت ضرورة إنتقال اليهود المشتتين، في البعد النظري، في نطاق إنطباع الصهيونية المسيحية. وفي الحقيقة، فانه تم بداية إضفاء الطابع القدسي والديني وحتى اعتبر أنه مؤكد لدى المصادر التوارتية والإنجلية، على هذا الأمر غير المقدس وذلك للفت إنتباه وأنظار قسم كبير من المسيحيين نحوه، والتشوق إليه.

وقد أضفت «البروتستانتية» في القرن السادس عشر للميلاد ومن بعدها «التطهيرية (البيوريتانية)» الشرعية على هذه الفكرة وأعتبراها شرطا لازما لعودة السيد **المسيح** عليه السلام. وبناء على ذلك، فرض هذا الأمر في اوروبا وبين المسيحيين ودعمه حشد من التنويريين وبعدهم رجال الدولة والسياسيين. وبعد ذلك، كان ضروريا أن يتم إظهار أن مسألة الهجرة تعد عملا ضروريا بين اليهود المشتتين والمنتشرين في الغيتوهات و الأحياء.

وكان أشرار اليهود، المعلمين الرئيسيين والمتخفيين لفكرتي «الصهيونية المسيحية» و «الصهيونية اليهودية».

إن فصل اليهود عن الغيتوهات والأحياء وإرسالهم إلى فلسطين، حدث

---

١. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، ص ٣٠٤.

٢. وهذا المصطلح يشير بصفه خاصة إلى نظرية في المجتمع المسيحي تنظر بإيجابية إلى اليهود. وقد ظهرت في أوروبا، وكانت نشأتها الرئيسية في بريطانيا، وتعرف تحت عناوين مثل الإنجيلية المسيحية، واليمين المسيحي، والمسيحيون المولودون من جديد والألفيون.

ووفقا لهذه النظرية، فان اليهود هم شعب مختار وخاص، يهاجرون قبل ظهور المسيح الموعود إلى الأرض المقدسة (فلسطين)، وبعد إعتناقهم المسيحية، سيحكمون العالم لألف سنة... إن المدافع الرئيسي عن نظرية دعم عودة اليهود إلى «صهيون» من بين المسيحيين، هي في الأغلب المسيحية البروتستانتية التي وضعها وأسسها **مارتين لوثر**. (**فرسائي، محسن**، «الإطاحة الصهيونية للإمبراطورية العثمانية»، ص ٨٨).

خلال عملية معقـــدة. إن إثارة القلاقل السياســـية والاجتماعية في أوروبا وإذكاء العنف العســـكري وزعزعة وتوتير حياة اليهود وإلهاب الكراهية التي كانت تســـود المســـيحيين، تجاه اليهود، حصلت كلها في ضوء الفكر الشيطانية لأشرار اليهود والجماعـــة التي كانت تبحـــث عن تطبيق الحكم الكونـــي. كما تولت مجموعة تنويرية، مهمة إضفاء الشرعية على هذا المشروع.

إن ســـكان الشـــرق الإســـلامي، يوجهون مجمل أنظارهم نحو «الصهيونية اليهودية» ويختزلون اليهود وأدائهم في هذا الموضوع ويتابعونه.

المنظمة الصهيونية العالمية والصهيونية اليهودية

وكان **تيودور هرتزل**[1] العامل الوحيد في الســـنوات الاخيرة للقرن التاســـع عشر (١٨٦٠-١٩٠٤م.) الذي أضفى الطابع العملي والتطبيقي على قيام الصهيونية.

وكان هـــو مصمم ومهندس «المنظمة الصهيونيـــة العالمية».[2] واضطلع بدور الرابط وهمزة الوصل بين الصهيونية المسيحية (غير اليهودية) والصهيونية اليهودية.

ونجح هرتزل في تبديد هواجس وقلق يهود غرب أوروبا، واســـتقطابهم لتنفيذ مشـــروعه. وشجع صهاينة شرق أوروبا على الإنخراط في الصهيونية. وكانت البنية الفكرية لهرتزل وراء إضطلاعه بدور همزة الوصل. وكانت هويته اليهودية ســـطحية للغايـــة، ولـــم يكن يؤمن من الناحية الدينية باليهودية، ولا يؤدي أي من الشـــعائر والطقوس الدينية اليهودية.

وكان من الناحية العرقية، يعتز بثقافته الالمانية، وكانت له أدنى دراية بما يعرف بالثقافـــة اليهودية. وبالرغـــم من إجادته لعدة لغات أوروبية، لـــم يكن ملما باللغة العبرية.[3]

---

1. Theodore Hertzel.
2. World Zionist Organizathion.
٣. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، صص ٥٢-٥٣

إن **هرتزل** الذي يعد في الحقيقة، مؤسس حركة الصهيونية السياسية ومنظم أول مؤتمر صهيوني بمدينة «بال» السويسرية بعام ١٨٩٧م.، كانت له ميول غير دينية، وكان يميل لفترات طويلة إلى دمج المجتمعات اليهودية في سائر المجتمعات الأوروبية.[١]

إن هرتزل الذي كان قد أوحى بوجود مشكلة عرقية وعنصرية لليهود واستحالة توفير السلام والسكينة لليهود بين سائر الشعوب الأوروبية، أعلن:

إن اليهود وفى أى بلد يعيشون، وحتى إن كان عددهم كبير، فان مشكلتهم ستبقى قائمة. حتى وإن هاجروا إلى أى بلد، ولا يتعرضون للظلم والإضطهاد فيه، فانهم ليسوا بمأمن عن اللوم والتوبيخ، لانهم يحملون العناصر المثيرة للعداء ضدهم. وقد يكون من الممكن أن يعيش اليهود بسلام ووئام بجانب الشعوب الاخرى، وأن يعيشوا حتى طيلة جيلين بسلام وهدوء، لكن مرور الزمن ليس لصالحهم.[٢]

وكان هرتزل يتابع في الحقيقة مشروعه من خلال التركيز على الخصصية العرقية والعنصرية لليهود.

إن إشعال فتيل ديناميت معاداة السامية، كان بمنزلة الحربة التى كان بوسعها تقوية الدافع لهجرة اليهود إلى البلدان الاخرى، وتؤدى إلى ظهور هذه الموجة الإجتماعية.

ويعتبر هرتزل «مؤسس الحركة والمنظمة الصهيونية».[٣]

ومن أجل نيل مآربه، قام هرتزل برحلات عديدة والتقى خلالها بالعديد من قادة الشرق والغرب بمن فيهم المستشار الالمانى وملك ايطاليا والبابا (ليون الثالث عشر) والسلطان العثمانى، وشجعهم على دعم تشكيل الدولة اليهودية فى «فلسطين».

---

١. **فرسائي، محسن**، «الإطاحة الصهيونية بالإمبراطورية العثمانية»، ص ٥٠.
٢. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، ص ٣١٢.
٣. **المسيري، عبدالوهّاب**، « موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ص ٥٢.

وعلى أي حال، فقد كان **هرتزل** بصدد تسوية «مشكلة اليهود» بالطريقة الإستعمارية التي كانت سائدة حينها في أوروبا، وتكمن في أن يرحل الغرب مشاكله وفاتورة ثمن مجمل تقدمه إلى الشرق.[١]

ويقول **ديفيد هرست**، في كتابه بعنوان «البندقية وغصن الزيتون»:

ومنذ البداية، كان العنف جزء لا يتجزأ من الصهيونية. وكان نبى الصهيونية يتنبأ بانه لا يمكن تجنب الإكراه والقوة، وهذان لم يكونا مجهولين بالنسبة لهرتزل، بحيث يلجأ إليهما من منطلق العجز. وتأسيسا على مذكرات هرتزل التى صدرت بعد ٢٦ سنة من موته، فانه كان يؤمن دائما بان الضغط العسكرى يعد عنصرا ضروريا فى الإستراتيجية الصهيونية والحالة المثالية هى أن يستحوذ الصهاينة على أرضهم المختارة بقوة النضال المسلح، لكنه كان ينتبه دائما فى كلماته ومحاضراته العامة، لإخفاء هذا الإعتقاد... وكانت أساليبه المقترحة لنيل هذه الغاية تتمثل فى اختراق اليهود للصحافة والشؤون المالية وتشديد التناقضات واستثمار الأحلام الإستعمارية للبلدان المنافسة.

لقد كان يسعى لنسب التخوف من اليهود والتخوف من نفوذهم لاسيما التخوف من عقليتهم الثورية، لغير اليهود. وكان يصور زملائه فى الدين على أنهم مليونى جاسوس.

وكان هرتزل يسعى لوضع الساسة الأوروبيين أمام مفترق طرق: إما الصهيونية أو ثورة بتحريض من اليهود. وكل الذين لم يكونوا يرغبوا بان يدمر اليهود كل شئ، كان عليهم حماية الصهيونية. وكان يزعم بان حربا جديدة فى أوروبا، لا تمس الصهيونية فحسب، بل ستجعلها تمضى قدما إلى الأمام.[٢]

---

١. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، ص ٣١٧.

٢. **هرست، ديفيد**، «البندقية وغصن الزيتون»، ترجمة **رحيم قاسميان**، ص ١٢.

وأقدم **هرتزل** وفي خطوة لنيل مآربه، على إقامة مؤتمرات سنوية عديدة، ليحقق من خلالها أهدافه الصهيونية.

واستمرت سلسلة مؤتمرات هرتزل التي كانت تعرف بـ«مؤتمر بال» منذ عام ١٨٩٧م حتى عام ١٩٩٧م. وأسهمت في إيجاد وحدة الأسلوب والإنسجام بين اليهود المتفرقين.

وعلى مدى قرن كامل، منذ عام ١٨٩٧ حتى ١٩٩٧ للميلاد، أقيم ثلاثة وعشرون مؤتمرا، عقدت العشرة الأخيرة منها بدء من عام ١٩٥١ فى «بيت المقدس».[١]

إن حصيلة جهود هرتزل ومن بعده زعماء «المنظمة الصهيونية» بمن فيهم **حاييم وايزمن**[٢] (١٨٧٤-١٩٥٧م.) الذي انتخب رئيسا للكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ ، تمثلت في صدور «وعد بلفور».

وقام اللورد **آرثور جيمز بلفور**[٣] (١٨٤٨-١٩٣٠م.) رئيس وزراء «بريطانيا» الذي كان يهوديا وصهيونيا من العيار الثقيل، بإعداد خطة مكتوبة بخصوص توطين اليهود في فلسطين، عندما كان رئيسا للوزراء، جاء فيها:

إن الهدف ليس خطب ود السكان المحليين لفلسطين. وبالرغم من أن اللجنة الأمريكية تسعى لتحقيقه. إن القوى الكبرى الأربع فى العالم، ترى اليوم أنها ملتزمة إزاء الصهيونية. أكانت الصهيونية على حق أم باطل، جيدة أم سيئة، لانها تضرب بجذورها المعمقة فى التقاليد الماضية والإحتياجات الحالية وتطلعات وأحلام المستقبل. إن الصهيونية هى أكثر أهمية بالنسبة لنا حتما من مطالب وأمنيات سبعمائة الف عربى يقطنون تلك البلاد العريقة.[٤]

---

١. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، ص ٣١٢.

2. Chaim Weizmann.

3. Arthur James Balfour.

٤. **كويغلي، جان**، «فلسطين واسرائيل، مواجهة العدالة»، ترجمة **سهيلا ناصري**، صص ١٥-١٦.

وكان الصهاينـــة قد أملوا هذا الإعـــلان الذي نظم بصفة خاصة بصورة أحادية ومنحازة.

وفي الثاني من نوفمبر ١٩١٧م.، وجه بلفور رســـالة إلى الحكومة البريطانية، متوجها إلى **اللورد روتشيلد**، جاء فيها:

عزيزى اللورد روتشيلد

يســـرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالى الذى ينطـــوى على العطف علـــى أمانى اليهود والصهيونيـــة، وقد عرض على الوزارة وأقرته:

إن حكومـــة صاحـــب الجلالة تنظـــر بعين العطف إلى إقامـــة مقام قومى فى فلسطين للشـــعب اليهودى، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغايـــة، على أن يفهـــم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شـــأنه أن ينتقص من الحقـــوق المدنية والدينية التى تتمتع بهـــا الطوائف غير اليهودية المقيمة فى فلســـطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى أى بلد آخر.[١]

وقـــد أيدت الحكومات الأوروبية على الفور «وعد بلفور» وأبدت دعمها له. وبعد ســـتة أسابيع من صدور وعد بلفور، استولت بريطانيا على «بيت المقدس» في التاسع من ديســـمبر ١٩١٧م.، ومن ثم دخل الجنرال ألنبي القائد العسكري البريطاني بيت المقدس في الحادي عشر من ديسمبر وأعلن أمام الملأ:

لقد انتهت اليوم الحروب الصليبية.[٢]

٤. اليهود المحافظون (Conservative Judaism)

إن اليهودية المحافظة هي طائفة يهودية جديدة نشـــأت في أمريكا في أواخر

١. المصدر السابق، صص ١٤-١٥.

٢. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، صص ٣٥١-٣٥٢.

القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. وقد أوجدت اليهودية هذه الطائفة من أجل مواكبة العالم، وهي أكبر وأهم حركة دينية يهودية في العالم، فيما يعتبر **سولومون شختر** أحد أهم منظريها.[١]

وبينما كانت المجموعتان «الإصلاحية» والأرثوذكسية» فى صراع بين قبول التقاليد السالفة أو حداثة عصر التنوير، نشأت المجموعة المحافظة المعتدلة. المجموعة التى سلكت الطريق الوسط بين تلك المجموعتين، وسميت بـ«اليهودية المحافظة».[٢]

وترى اليهودية المحافظة أن هدفها الرئيسى يتمثل فى حفظ جوهر التراث اليهودى، لكن الحالات الاخرى أى العبادات والمعتقدات، فتستجد فى أى زمن بصورة عضوية وآلية. وبناء على ذلك، فان اليهودية المعاد بناؤها، انبثقت من صلب اليهودية المحافظة، بالرغم من اعتقادها بان اليهودية، هى حضارة يشكل الدين جزء منها فحسب...

وعلى الرغم من أن اليهودية المحافظة كانت بمنزلة ردة فعل تجاه اليهودية الإصلاحية، لكنها تقاسمت معها عنصرا مشتركا مهما ألا وهو أن هدف كلاهما هو حل مسألة الحلول الالهى فى الشعب اليهودى ومؤسساته العرقية. وفى الحلولية التقليدية، يعتبر الشعب اليهودى مقدسا ومطلقا ومستبدا برأيه، فى حين أن الحكومات الوطنية الجديدة التى تعتبر نفسها مقدسة ومطلقة، وكذلك العصر الحاضر الذى يعتبر العلم مطلقا، لا يتقبل هكذا فكرة. وتسعى اليهودية الإصلاحية واليهودية المحافظة، كلتاهما، لرسم صورة جديدة عن اليهودية من خلال القبول المطلق لعالم يدعى «الروح». ويؤمن الإصلاحيون ب»روح الزمان» والمحافظون بـ«روح الشعب الجسدى» والذى تجلى بأشكال وأنماط مختلفة طوال التاريخ...

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص٤٢٧.

٢. **تيسيس، كايل**، «الدين اليهودي في العالم الديني»، **عبدالرّحيم كواهي**، ج ٢، ص ٦٥٩.

وكان المحافظـون يؤمنون بان أمل العودة إلى «صهيون» يشـكل حلما جيدا بالنسـبة لليهود، ويجب حفظه. وهذا الحلم، لا يتنافى بطبيعة الحال مع وفائهم للبلد الذى يعيشون فيه.

ولا يؤمـن المحافظون بعودة شـخص يدعى الماشـيح، وبدلا عن ذلك، يطرحون فكرة المشـيحانى، والتى تتحقق تدريجيا. كما أن تأسيس دولة «اسرائيل» يمثل أول خطوة بإتجاه تحقق هذا العصر...

وبالرغم من تشابه الجذور الفكرية للمحافظين والإصلاحيين، فان شبههم البنيـوى مع الأرثوذكس، جلى وقوى أيضا، وتبدو تبايناتهم طفيفة وغير جوهريـة، لان كلاهما يندرج فـى إطار الحلولية التقليديـة، وكانا على النقيض من الإصلاحيين غير مسـتعدين لتطوير وتوسيع إطارهما بهدف إستعياب غير اليهود.

ولهذا السبب نرى أن اليهود المحافظين والأرثوذكس، يؤمنون بالثالوث الحلولـى المتمثل فى الله والشـعب والأرض، لكن الأرثوذكس يؤكدون أيضا علـى أهمية الله والوحى والتوراة، بينما يولـى المحافظون إهتماما للشـعب وتراثه وتاريخـه. وقد أضفت كلتا المجموعتيـن طبعا هالة من القدسـية على حياة اليهود وتاريخهم. ويقـول الأرثوذكس بجذور الهية لهذه القدسـية، لكـن المحافظين يـرون أنها ناتجة عن عنصر الشـعب وروحه...

وفـى النظـام الحلولى يتم ترجيح كفة الشـعب على كفـة الله تدريجيا، لدرجة أن الشـعب وتراثه، يتحول إلى مصدر للقدسـية، وبالتالى، يصبح بقاء اليهود أصل وجوهر اليهودية أكثر منه من الهيات البقاء.[١]

وماعدا الحالات آنفة الذكر، يمكن الحديث عن طوائف أخرى في مجموعة التعاليـم اليهودية التقليدية والحديثة، إذ نتجنـب الخوض في هذا المجال للحد

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، صص ٤٢-٤٣٠.

من إطالة الكلام والإكتفاء بتناول الموضوع الرئيسي لهذه الرسالة ألا وهو «قبيلة اللعنة».

الطوائف الخفية في العصر الحديث

مارانو أو مارانوس

وعلى الرغم من أن اليهود – وحسب التقدير السماوي – كانوا قد تقبلوا النفي والتشتت بين سائر الشعوب والأمم، لكن سببين خارجي وداخلي، دفعهما دائما لإعتماد أسلوب محافظ في التعامل مع غير اليهود، الأول، العبء الثقيل للمعاصي السابقة لليهود. إن موضوع «صلب المسيح عليه السلام» و «إيذاء المسيحيين» و... لم يكن بالشيء الذي يمحى من ذاكرة المسيحيين. لذلك فان اليهود كانوا يحملون دائما عبء التهم والجرائم، والسبب الثاني، هو أدائهم في حاضرهم، فكل ما كانوا يفعلونه خارج أو داخل الغيتوهات والأحياء، كان يؤدي بشكل من الأشكال لإزعاج ومضايقة المسيحيين وحتى المسلمين. وكان أسلوب التعاطي المحافظ من أجل البقاء في مأمن من «الملاحقة والعقاب» بين اليهود، يتحول إلى ضرب من النهج المتستر والخفي.

إن عنوان «اليهودي الخفي» كان لباسا فصله وخاطه اليهود على مقاسهم، لكي يبقوا بذلك في أمان من حقد وكراهية وغضب غير اليهود، ومواصلة حياتهم المليئة بالشرور.

وكان «مارانو» أو «مارانوس» إسم أطلق على جماعة من اليهود، ممن اعتنقوا المسيحية في القرن الخامس عشر للميلاد في اسبانيا والبرتغال. ومنذ أن عبر

المسلمون قناة «جبل طارق» (٧١١م.) بقيادة طارق بن زياد، واستولوا على شبه جزيرة «ايبيريا» التي كانت تضم اسبانيا والبرتغال، أطلق اسم الأندلس على شبه الجزيرة هذه.

وفي الفترة الكائنة بين القرن السادس حتى القرن الخامس عشر للميلاد، أي قرابة ٧٠٠ عام، أرسى المسلمون في هذه المنطقة أروع ثقافة وحضارة. ويطلق المؤرخون الأوروبيون على هذه الحقبة إسم ألمع صفحات التاريخ في أوروبا العصور الوسطى. ويقول المستشرق الأمريكي **السير ارنست باركر** (١٨٧٤- ١٩٦٠م.) الذي يعد أحد أبرز الباحثين في جامعتي «كامبريدج» و «كولونيا»:

لقد بلغت حضارة المسلمين مرحلة متقدمة فى اسبانيا وصقلية، وحتى أن أثرها انتقل من هذين الموقعين إلى فرنسا وايطاليا، وتطورت فلسفة «قرطبة» بزعامة أستاذها إبن رشد لدرجة أنها دخلت «جامعة باريس» وزينت هذه الجامعة بالرموز والمفاهيم العربية، وتشكلت فيها محافل اساتذة الجغرافيا والشعراء العرب...

وبلا شك فان عرب اسبانيا هم الذين قدموا مساعداتهم المالية والمعنوية فى مجال العلم والفلسفة للغرب اللاتينى... ويجب أن نتذكر ونقر بان الاسلام، قد رسخ أسسه ومبادئه فى الغرب واكتسب المقدرة على أن يترك بصماته فى اسبانيا وصقلية... والحقيقة أن الغرب، استفاد دائما من المصطلحات العربية فى عالم التجارة، كما كان استخدام المصطلحات البحرية والملاحية ثابتا بهذا الشكل... وهذه المفردات استخدمت فى الأزمنة السابقة بوفور... .[١]

ويقول المستشرق البريطاني **لاين پل** كذلك:

وكان العرب قد أسسوا نظام حكم «قرطبة» أعجوبة العصور الوسطى،

---

١. «تراث الإسلام»، صص ٧٩ و ٩١؛ نقلا عن «قالوا عن الإسلام»؛ نقلا عن **رشّاد، يوسف**، «دور اليهود الخفيين في المسيحية»، طهران، هلال، الطبعة الاولى، ١٣٩٠هـ .ش.، ص١٣٠.

عندما كانت أوروبا تائهة فى ظلام الجهل، وماعدا المسلمون، لم يكن هناك من يرفع مآذن العلم والحضارة...، إن المسلمين وعلى النقيض من البربر والقوطيين والوندال[١] ، لم يتركوا خلفهم الدمار والموت، لان «الأندلس» لم تر حكما أعدل وأصلح من حكمهم إطلاقا.[٢]

وحسبما يقر جميع الباحثين الأوروبيين، فإن أتباع سائر الديانات بمن فيهم اليهود، عاشوا طوال سنوات حكم المسلمين على شبه الجزيرة هذه، في غاية الأمن والموهبة وحرية التصرف، وحافظوا على طقوسهم وتقاليدهم.

ويقول المستشرق اليهودي **توماس آرنولد** بهذا الخصوص:

... إننا لم نسمع باى شئ حول حصول أى محاولة متعمدة من قبل المسلمين لإرغام غير المسلمين على إعتناق الإسلام أو أى إيذاء وتعذيب يستهدف إستئصال الديانة المسيحية، وإن كان الخلفاء المسلمون، يضعون هاتين الخطتين موضع التطبيق، لكان بوسعهم طرد المسيحية من «اسبانيا» مثلما فعل «فرديناند» و «إيزابيل» فى إبعاد الدين الاسلامى عن اسبانيا، أو مثلما تصرف «لوئى الرابع عشر» فى ملاحقة أتباع المذهب البروتستانتى أو نفس الإجراء الذى أدى إلى إبعاد اليهود عن بريطانيا لمدة ثلاثمائة وخمسين عاما.[٣]

إن الخلافة التي استمرت طويلا للمسلمين على «شبه الجزيرة الإيبيرية» (اسبانيا والبرتغال) أدت إلى أن يمر اليهود بفترة سادتها السكينة والإزدهار الإقتصادي بعد أعوام من المشقة والألم. وفي ضوء الحريات غير المسبوقة التي

---

١. إن القوط أو بارس هم قبائل آرية من منطقة «البحر الأسود»، ولهذا يقال بان أصل كلمة «الأندلس» كانت «وندلس»، إذ تحولت الواو في العربية إلى ألف، والأندلس لدى الجنود العرب، هم قوم من العنصر الجرماني، انفصلوا عن الجرمن (ألمانيا وبولندا الحاليتان) وحطوا الرحال في «إيبيريا» (اسبانيا والبرتغال الحاليتان).

٢. **عنان، محمّد عبدالله**، «دولة الإسلام في الأندلس»، ص ٦٤؛ نقلا عن **رشّاد، يوسف**، «دور اليهود المتخفين في المسيحية»، ص ١٣١.

٣. «الدعوة إلي الإسلام»، صص ٩٨-٩٩؛ نقلا عن «قالوا عن الإسلام»، ص ٢٦٦؛ نقلا عن **رشّاد، يوسف**، «دور اليهود الخفيين في المسيحية»، ص ١٣٣.

حصـــل عليها اليهود في هذه الحقبة، فقد بلغوا مرحلة عالية من الإنتعاش الفكري والأدبي، وعاشـــوا حياة سلمية بجانب المسلمين، بحيث أنهم لم يشهدوا بعدها تجربة مماثلة كهذه.

وجدير ذكـــره أن حقوق **الأقليات** تحظى بمكانة خاصـــة ومرموقة في الديانة الاســـلامية ولدى المسلمين. وفي هذه الرؤية، فان الأقليات الدينية بوصفها «أهل الذمة» تملك حقوقا أقرها الاســـلام، واتباعا لنبي الاسلام رأي المسلمون أنفسهم دائما بانهم مكلفون بمراعاة تلك الحدود والحقوق.

إن **النبي الأكرم**ﷺ وبعده المسلمين، تصرفوا دائما بطريقة كفلت حقوق جميع الناس، إلا إذا كان غير المســـلمين يمارسون أفعالا وسلوكا غير محبذين، ويؤديان إلى إنتزاع هذه الحقوق منهم. ويقول **الإمام السجاد**عليه السلام حول غير المسلمين الذين بقوا على عهدهم وميثاقهم مع المسلمين:

«وَ أَمَّـــا حَقُ أَهْلِ الذِّمَّـــةِ فَالْحُكْمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْبَلَ فِيهِمْ مَا قَبِلَ اللهُ وَ تَفِيَ بِمَا جَعَـــلَ اللهُ لَهُمْ مِـــنْ ذِمَّتِهِ وَ عَهْدِهِ وَ تَكِلَهُمْ إِلَيْهِ فِيمَا طُلِبُوا مِنْ أَنْفُســـهِمْ وَ أُجْبِرُوا عَلَيْهِ وَ تَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا حَكَمَ اللهُ بِهِ عَلَى نَفْســـكَ فِيمَا جَرَى بَيْنَكَ [وَ بَيْنَهُـــمْ] مِنْ مُعَامَلَةٍ وَ لْيَكُنْ بَيْنَـــكَ وَ بَيْنَ ظُلْمِهِمْ مِنْ رِعَايَةِ ذِمَّةِ اللهِ وَ الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَ عَهْدِ رَسُـــولِهِ ص حَائِلٌ فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَداً كُنْتُ خَصْمَهُ فَاتَّقِ اللهَ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.»[1]

إن الإمتيازات الخاصة لأهل الذمة في الإسلام هي:

توفير الســـلام والأمن، والحريـــات الدينية والإســـتقلال القضائي وحق حرية الســـكن، وحريـــة التعبير عن الرأي والتمتـــع بالعدالة الإجتماعية والمســـاواة أمام القانون، وحرية العمل الإقتصادي وحق الملكية و...

ويقول **مارك كوهن**، أســـتاذ دراســـات الشـــرق الأدنى والتاريـــخ في «جامعة

---

١. **نوري، حســـين بن محمّد تقي**، «مســـتدرك الوسائل و مستنبط المســـائل»، قم، مؤسّسة آل البيتعليهم السلام، الطبعة الاولى، ١٤٠٨هـ .ق.، ج ١١، ص ١٦٨.

برينستون» بولاية «نيوجرسي» الأمريكية حول تمتع اليهود والمسيحيين في العالم الاسلامي وفي بلاد «الاندلس»:

إن اليهود والمسيحيين الذين كانوا يقطنون العالم الاسلامى وفى بلاد الأندلس، كانوا يتمتعون بالتسامح والعظمة الشرعية للمسلمين، وليس مستغربا أن اليهود الذين كانوا يعيشون فى البلدان الاسلامية فى العصور الوسطى، لم يسجلوا أى ذكريات جماعية عن عنف المسلمين ضدهم، وهذا الأمر يقف على طرف نقيض شديد من نوعية حياة اخوانهم فى البلدان المسيحية والتى إعتبر التاريخ أنها كانت حافلة بسلسلة طويلة من المقاساة والمعاناة والإيذاء. وبلا شك، فان اليهود عاشوا فى العصور الكلاسيكية (الوسطى) فى ظل الحكم الإسلامى فى بلاد الاندلس، وهى حقبة سادها الإزدهار والإنتعاش فى مجال الامن والاقتصاد والثقافة، ولهذا السبب وكذلك التماسك الكامل الذى حظى به اليهود فى تلك العصور، دفع باليهود إلى نيل الإعتداد بالذات وأن يساهموا فى بناء تاريخ اليهود ضمن ثقافة جيرانهم المسلمين العرب فى تلك الحقبة الزمنية المذهلة.[١]

ويقر الباحثون اليهود والمسيحيون الكبار، بان يهود «شبه الجزيرة الإيبيرية» (الأندلس) مروا في ظل الحكم الإسلامي بافضل عصورهم التاريخية وأكثرها تألقا. ويقول **ويل ديورانت** بهذا الخصوص:

وكانت هذه القرون الثلاثة (العاشر والحادى عشر والثانى عشر) العصر الذهبى ليهود «اسبانيا» وأكثر فترات تاريخ العصور الوسطى العبرية، بهجة وثمرة ومردودا.[٢]

ومع سقوط الحكم الاسلامي في الأندلس، والذي حصل نتيجة الخلافات

١. مقال نشر في صحيفة «فرانكفورتر» بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/٢٥م. وكان باللغة الانجليزية وترجم إلى العربية على يد الأستاذ **كامل الزيادي**؛ نقلا عن **رشّاد، يوسف**، «دور اليهود المتخفين في المسيحية»، ص ١٤١.

٢. **ديورانت، ويل**، «قصة الحضارة»، ج ١٤، ص ١٢٠.

بين الحكام المسلمين ومؤامرات المسيحية الكاثوليكية و...، إنتشر الحكم المسيحي في هذه البلاد. وقد سقطت مدينة «غرناطة» بعام ١٤٩٦م. وظهرت ملكيات متعددة في شبه الجزيرة الإيبيرية. ومنذ ذلك الحين، وبالرغم من أن اليهود مدوا يد العون للمسيحيين من أجل الحفاظ على موقعهم، وساهموا معهم في طرد المسلمين من شبه الجزيرة الإيبيرية، لكن وعلى النقيض من توقعاتهم، واجهوا سلسلة من الإزعاجات من جانب المسيحيين الكاثوليك.

ويقول **أبا إيبان** مؤلف «شعبي، تاريخ بني‌اسرائيل» والذي كان هو أحد الباحثين اليهود ورجل دولة في الحكومات الصهيونية:

لقد بلغت الممارسات المعادية لليهود ذروتها عام ١٤٧٩م. عندما توحدت السلطنة فى منطقة «كاستيل» و«اراغون» على إثر زواج الملكين الكاثوليكيين «فريدناند» و «ايزابيل»، لان كلا الملكين الكاثوليكيين، كانا يريا أن من الضرورى تحويل المنطقتين إلى بلد كاثوليک نقى، لذلک قررا، طرد جميع غير المسيحيين من البلاد أو إعدامهم وتطهير البلاد من وجود الكفار ومنكرى المسيح. لذلک، فان أولى أوامرهم تمثلت فى طرد ونفى جميع اليهود من «اسبانيا» بعام ١٤٩٢م. لذلک غادر آخر يهودى اسبانيا فى اليوم الثانى من شهر مايو من السنة ذاتها، أو اليوم التاسع من شهر اب (الذكرى السنوية لخراب بيت المقدس) واليوم الذى خرج فيه كريستوف كولومبوس من اسبانيا لاستكشاف العالم الجديد.

ومذاک، بقى بلدان فقط فى شرق أوروبا لسكنى اليهود، وهما «بولندا» التى احتضنت اليهود الأشكناز (يهود شمال أوروبا) و«الدولة العثمانية» التى احتضنت اليهود السفارديم (يهود اسبانيا الذين كانوا فى الأصل يتكلمون باللغة اللاتينية). وفيما عدا هذين البلدين، فان باقى الدول

أحجمت عن استقبال اليهود.[١]

إن تعييب المسيحيين الكاثوليكيين لليهود والتهم التي وجههوها إليهم كانت كثيرة للغاية.

وكان المسيحيون يعتبرون اليهود أنهم «قتلة المسيح عليه السلام» وخاطفي الأطفال المسيحيين لتقديمهم كقرابين ليهوه وممارسة السحر و...، لذلك كانوا يصرون على أن يعتنق اليهود، الديانة المسيحية. لدرجة أنهم كانوا يرغمون اليهود على إعتناق المسيحية، وكانوا يقومون بتعميد اليهود، وفي ظل هذا الوضع، كان اليهود يرون أنهم أمام مفترق طرق، فإما تقبل النفي أو إعتناق الديانة المسيحية.

وأولئک الذين اضطروا للبقاء فی بلاد «الأندلس» إعتنقوا المسيحية من منطلق التقية، وبالأحرى، فقد أظهروا مسيحيتهم وأخفوا يهوديتهم، وهؤلاء هم اليهود الذين أطلق عليهم «اليهودی المتخفی» أو «مارانوس».[٢]

ويقول **أبا إيبان:**

وكانوا فی «اسبانيا»، يطلقون إسم مارانو[٣] **على هذا الصنف من اليهود المتحولين إلى المسيحية. وكان هؤلاء مسيحيون فی الظاهر، لكنهم يهود فی الباطن... وهذه الفئة من المسيحيين بالظاهر واليهود الحقيقيين، كانوا يقيمون أعيادهم وطقوسهم خفية، ويمتنعون عن أكل اللحم غير الكاشر (الحرام). وكانت هذه الفئة تتصاهر على القاعدة فيما بينها وكذلک مع اليهود أحيانا، وكانوا يذهبون إلى الكنيس خفية. والموضوع الذی كان مهما أكثر بالنسبة للكنيسة، هو أن هذه الفئة، كانوا ينشئون أطفالهم تحت التعليمات غير المسيحية وينمون فيهم مبادئ الوفاء لديانة موسى عليه السلام.**

وقد صنف مؤلف «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» في المجلد الثاني من موسوعته، «مارانوس» في فئة المجموعات الهامشية والمنقرضة لليهود،

---

١. **إيبان، أبا**، «شعبي، تاريخ بنی‌اسرائيل»، ص٢٥٤.

٢. **رشّاد، يوسف**؛ «دور اليهود المتخفين في المسيحية»، صص ١٥١-١٥٢.

3. Marranos.

ووضعها بجانب **الخزر والسامريين ويهود «الصين» واليهود السود والكرمجالي ويهود كوشين**، ويفصلهم عن المجموعات اليهودية الثلاث «اليهود الأشكناز» و «اليهود السفارديم» و«يهود العالم الاسلامي». لكني لا أتفق مع جميع آرائه. إن العالم الاسلامي والعالم المسيحي لم يخليا أبدا من «اليهود المتخفين»، ولم يبقيا بمأمن عن الخسائر الناجمة عن عنهم. وفي معرض تعريفه لليهود المتخفين يقول:

إن اليهود المتخفين، هم اليهود الذى يتظاهرون بسبب ظروف خاصة، باعتناقهم ديانة غير اليهودية، لكنهم يبقون فى الحقيقة على دينهم [اليهودية]. ويطلق على هذه الفئة فى شبه الجزيرة الإيبيرية إسم «المسيحيون الجدد» و فى البرتغال «كنورسوس». ويعرف هؤلاء فى تركية بـ«الدونمة» و فى ايران ب «حديثو الإسلام» وفى جزيرة مايوركا، بـ«تشوتياس».[١]

ويميز هذا الكاتب الموسوعي بين يهود «مارانو» و «يهود الدونمة» ويقول بان «مارانو» اضطروا للتخفي والتستر على دينهم لكن «الدونمة» إنتخبوا الاسلام كدين بارادتهم، لكي يخدعوا المسلمين واليهود معا.[٢]

ويقول في معرض تحليله لمفردة مارانو:

إن مفردة مارانو التى راجت فى القرن السادس عشر للميلاد، لا تعرف جذورها بالتحديد. إن المفردات والعبارات التى قد تكون أصل مفردة مارانو هى:

١. إن «مارانو» هى كلمة اسبانية قديمة وتعنى الخنزير؛

٢. إن «ماترانثا» هى كلمة اسبانية وتعنى اللعين؛

٣. إن «المرائى» هى كلمة عربية وتعنى المنافق؛

٤. إن «مارائيت عيين» هى كلمة عبرية وتعنى «أمام العين» أو الظاهر

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٢، ص ١٤٦.

٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٧.

(مسيحى فى الظاهر ويهودى فى الباطن)؛
٥. إن «محورام اتاه» هى كلمة عبرية وتعنى لقد طردت من الدين؛
٦. إن «مـارن واث» هى كلمة آرامية وتعنـى «أنت مولاى» (وهنا يتم مخاطبة المسيح).
وكان علـى اليهـود تكرار هذه العبـارة كثيرا من أجل إبعاد الشـكوك والشبهات عن أنفسهم.
وفـى هذا الخضـم، فان الأصل الاسـبانى لكلمة مارانـو يحظى بالقبول بشـكل أكبر. ولم ينتشـر هذا المصطلح فى المحافل الرسمية ولم يذكر فى أى من الوثائق الرسـمية الخاصة بمحاكم التفتيش. والمرادف العبرى له هو «انوسيسـتم» أى «المرغمون» وبالأحـرى، الأناس الذين اعتنقوا المسيحية قسرا.
وعلـى أى حال، فـان اليهود المتخفين هم كالفيروسـات (حسـب تعبير الدكتور عبدالوهّاب المسيرى) يتنقلون من خلية إلى أخرى، لكى يجهزوا دائما على المسيحيين، ويؤسسون لأنفسهم حزاما أمنيا، وفى الحقيقة فان «مارانوس» كانوا إحدى أدوات نسف الديانة المسيحية.[١]

الدونمة

وتتكون مفردة **الدونمـة**[٢] من جزئين هما «دو» و «نمة». وكلمة «دو» تعني إثنان في الفارسـية و «نمة» تعني المعتقد، وتطلق الدونمة على الأشخاص الذين يملكون معتقدين، وتوسعا تعني المرتد عن الدين وحديث الإسلام.

وكان الدونمـة مجموعة من أشـهر الطوائف اليهوديـة المتخفية التي تقطن الإمبراطورية العثمانية، وكانوا في القرن السـابع عشـر للميلاد واتباعا ل «شبتاي زيبي» اليهودي الذي كان يعتبر نفسـه المسيح المنتظر بالنسبة لليهود، مسلمين

١. **رشّاد، يوسف**، «دور اليهود المتخفين في المسيحية»، ص ١٦٤.

2. Donmeh.

في الظاهر ويهودا في الباطن.

ويقول الكاتب والباحث **محسن فرسائي**، الذي وضع أكمل رسالة بحثية حول «الإطاحة الصهيونية بالإمبراطورية العثمانية»،[١] في فصل من هذا الكتاب:

وبعد استقرار يهود اسبانيا فى «سالونيک» و «ازمير» و«ادرنة» [وهى مدن عثمانية فى تلک الحقبة وتركيا الحالية] كان هؤلاء يؤدون طقوسهم الدينية [اليهودية] من دون أى قيود. وكانوا يتمتعون بمستوى معيشى أكثر رخاء من الاخرين بسبب معرفتهم بالعلوم والفنون البحرية وتواصلهم التجارى الجيد مع الدول الأوروبية، لكن الفكر المحورى المتمثل فى «العودة إلى صهيون» كان ساريا وجاريا بينهم كوعد إلهى. إلى أن قدم شخص يدعى شبتاى زيبى[٢] عام ١٦٤٨م. نفسه على أنه مخلص بنىاسرائيل. وكان قد ولد عام ١٦٢٦م. فى عائلة يهودية، وأنجز دراسات واسعة فى مجال التوراة والتلمود والقبالا، وبما أنه كان يمارس التنسک كثيرا، كان يتمتع بجذابية ظاهرية.

وبعد تكفيره على يد «يوسف اسكابا» رئيس الجماعة اليهودية فى «ازمير» بعام ١٦٥١م. نفى من تلک المدينة وتوجه إلى «سالونيک» وواصل هناک دعايته بوصفه المسيح المنقذ، وقام باستعراض بحضور أنصاره أمسک من خلاله ب"عريضة التوراة» بيده ليعلن زواجه من «الكتاب المقدس» وذهب بعد فترة إلى أورشليم وأقام فيها، وقام بتعزيز معنويته [اليهودية] ما أسهم فى زيادة أتباعه وأنصاره.

وعاد شبتاى زيبى إلى موطنه ازمير عام ١٦٦٥م. وفى هذه الحقبة، قدم نفسه على أنه المسيح الحقيقى والمخلص للشعب اليهودى.

إن الأزمة الإجتماعية الناجمة عن ممارسات شبتاى، دفعت بالسلطان

---

١. وقد صدر هذا الكتاب عن دار «هلال» للنشر.

2. Shebtay Sebi.

محمد الرابع لاستدعائه فى الباب العالى عام ١٦٦٦م. وطلب منه السلطان بحضور الاخرين، ليبرهن من خلال المعاجز، صحة مزاعمه، وصد سهام الرامين المتجهة نحوه أو حرفها عن مسارها.

ورفع شبتاى قبعته على الفور ورماها بالأرض وطلب عمامة وادعى الإسلام واختار إسم محمد أفندى لنفسه. واعتنق الاسلام، من دون أن يصبح مسلما.

واحتفظ شبتاى بصفته المسيحية وكان مسموحا له التواصل مع اليهود من أجل الترويج للإسلام فيهم. وكان يفسر كتاب «زوهر» [من المصادر الكابالائية] وأوجد طائفة يهودية اسلامية، اعتمر أعضاؤها العمامة كالمسلمين على الفور، واتبعوا التقاليد والآداب الاسلامية وبقوا يأملون بالعودة السريعة لشبتاى بوصفه المخلص الحقيقى لبنىاسرائيل. إن أتباع شبتانى حديثى الاسلام، سموا من قبل الأتراك بالدونمة أى المرتدين عن الدين. وكان هؤلاء يحافظون بمهارة وبراعة تامة على هويتهم اليهودية، لكنهم يعتبرون أنفسهم مسلمين فى ضوء تعليمات وتوجيهات شبتاى.

إن شبتاى وبسبب سلوكه السياسى المخرب وإقامة محافل مشبوهة ومريبة، نفى من قبل الحكم العثمانى إلى ألبانيا... وانتهت حياة شبتاى بعام ١٦٧٦م. فى عمر ناهز ٤٩ عاما فى النفى، لكن مهمته الصهيونية، استمرت بعد موته على يد أب زوجته الذى اختار الاسم الاسلامى عبد الغفور أفندى لنفسه وكذلك جوزف كوريدو شقيق زوجته الذى اختار اسم عبدالله يعقوب جلبى لنفسه. كما كانت زوجة شبتاى وشقيقه يروجان لتعاليم شبتاى المنحرفة. وأضفى شخص يهودى اخر يدعى آبراهام ناتل لوى (١٦٤٣-١٦٨٠م.) طابعا إيديولوجيا على أفكار ومعتقدات شبتاى مستعينا بذلك بالتلمود والتوراة. وغادر لوى الذى كان من الاشكناز البولنديين، الدولة العثمانية متوجها إلى مدينة «غزة» واختيار لنفسه

الإسم المستعار «ناتاى الغزى» ورسم مبادئ حفظ الديانة اليهودية للدونمة فى قالب الهوية الظاهرية الإسلامية.[١]

وقد اعتمد اليهود طوال التاريخ، أسلوب التخفي والتستر في الظروف الاجتاعية الخاصة وبهدف التوغل في سائر المجتمعات وأثناء العيش بين سائر الشعوب. فاحتفظوا بديانتهم، وظهروا في مظهر أتباع سائر الديانات، فاعتنق البعض منهم المسيحية واخرون، الاسلام.

وفي العالم الاسلامي، كان **عبدالله بن سبأ**، في زمرة أوائل الذين توغلوا بهذا الأسلوب في صفوف المسلمين وتسبب بالفرقة والخلاف بينهم.

وفى العبرية، فان مفردة أنوسى أو أنوسيم، تعنى المرغمون وفى الشرع اليهودى (هلاخا) هى مفردة حقوقية تطلق على اليهود الذين اضطروا للتخلى غير الإرادى عن الديانة اليهودية، لكنهم يبذلون قصارى جهدهم ليبقوا فى ظروف القسر والقهر، على ديانتهم اليهودية.[٢]

وقد تظاهرت مجموعة من الأنوسيين بالديانة المسيحية. ويقوم الأنوسيون بنشاطات جمة من أجل إخفاء هويتهم. وقد تطرف هؤلاء في إظهار إنتمائهم للمسيحية والاسلام وأصبحوا كما يقول المثل «ملكيون أكثر من الملك».

ويقول **المسيري** مؤلف «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» في توضيح توغل طائفة «الدونمة» في «الإمبراطورية العثمانية»:

إن عقيدة الدونمة كانت عقيدة الحلولية والغنوسية والتطرف. وكانوا يؤمنون بالوهية شبتاى زوى، ومن وجهة نظرهم، كان شبتاى زوى الماشيح الموعود المخلص، الذى أبطل الوصايا العشر وباقى الأوامر والنواهى. وكانوا يؤمنون أيضا بان التوراة الموجودة، هى توارة فارغة من أى معنى، وقام زوى بإحلال توراة التجليات محلها. وهذه التوراة هى

---

١. **فرسائى، محسن**، «الإطاحة الصهيونية بالإمبراطورية العثمانية»، صص ٣٤٣-٣٤٤.

٢. موسوعة ويكيبديا الحرة، مفردة أنوسى، www. a.wikipedia.org

التفسير المجدد للتوراة القديمة على يد زوى.

وكانت «ادونة» بداية مقرا لهذه المجموعة التى انتقلت لاحقا إلى «سالونيكا". وكل واحد من اليهود الدونمة كان يملك اسمين: إسم إسلامى تركى واخر إسم عبرى كان سريا بين أعضاء هذه المجموعة. وكان هؤلاء يعتبرون أنفسهم يهودا.

وكان هؤلاء يتعلمون التلمود مع باقى اليهود، وعندما يصطدمون بمشاكل، كانوا يطلبون الفتوى من الحاخامات، وكانوا يلتزمون بجميع تقاليد وطقوس اليهود ماعدا عطلة يوم السبت، لانهم لم يريدوا لفت إنتباه الاخرين إلى كونهم يهودا. وأضافوا إلى الأعياد اليهودية، عيدا أخر وهو يوم ولادة شبتاى زوى...[١]

وقد ولد شبتاى زوى بمدينة «ازمير» التركية عام ١٦٢٦م. وبعد دراسته الشريعة والعرفان اليهودى، إدعى تدريجيا بان المسيحا لليهود وقد جاء لإنقاذهم. وقبل بعض يهود أوروبا وتركية والشرق الاوسط، دعوته. وقال زوى الذى إعتبر نفسه بانه أول إبن لله، إنه سينتفض عام ١٦٦٢م. وذهب قبل موعد ملكه، إلى أورشليم والقاهرة. وفى تلك الحقبة، احتفل اليهود وابتهجوا فرحا وكانوا يرددون:

يحيا المسيح الملك ويحيا السلطان طبى [زوى].

وتوجه شبتاى صبى [زوى] بعام ١٦٦٦م. إلى اسطنبول بدل من ذهابه إلى أورشليم، والقى القبض عليه من قبل السلطان العثمانى، وأحضر عند السلطان يوم ١٦ سبتمبر ١٦٦٦م. وطلب منه أن يعتنق الإسلام. وبعد إعتناقه الاسلام غير إسمه إلى «محمد أفندى»، وتزوج من سيدة مسلمة. وتوفى عام ١٩٧٦ وأقدم شقيقه على جمع أتباعه حوله. وبعد ذلك، كان أتباع هذه الطائفة يطبقون التقاليد الاسلامية فى الظاهر والتقاليد اليهودية

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، صص ٢٣٢-٢٣٣.

فى الباطن.[١]

وهناك أرقام تقريبية عن عدد الدونمة. ويقال بان عددهم بلغ قبل الحرب العالمية عشرة إلى خمسة عشرة ألف نسمة... وقبل فترة، أنيط اللثام عن وجه هذه الطائفة التى استطاعت لردح من الزمن، إخفاء حقيقتها عن المسلمين وعن اليهود معا، لان الوثائق والمستندات المكتوبة باليد أظهرت أنهم لا يؤمنون بشئ، وكانوا بعيدين كل البعد عن الإسلام واليهودية...[٢]

ويبدو أن بعض أعضاء طائفة الدونمة، أقاموا تواصلا وثيقا مع الحركات الماسونية فى تركية، واضطلعوا بدور فاعل فى علمنة تركية.[٣]

وقد أعد الدونمة خلال إحتفالاتهم بالانتصار المرحلى فى الحرب العالمية الأولى، نساء من «سالونيک» لرفع الحجاب والثورة الإجتماعية. وكانت النساء والفتيات الدونميات ومن خلال رفع حجابهن، يقصدن نسف الأسس الإجتماعية وشطب المبادئ الإسلامية، لكنهن ووجهن بمعارضة جادة من المسلمين، لكن وبعد الإنهيار الكامل للإمبراطورية العثمانية، أقدم «رشدى بيک قره قاش زادة» الذى كان أحد القادة المنشقين للدونمة القره قاش، على شرح معتقدات الدونمة اليهود فى صحيفة «وقت» وكتب يقول:[٤]

إن مراسم عيد قرابين الخراف، تصادف يوم ٢٢ مارس، وهو عيد يقام أثناء الليل. وفى هذه المراسم، تستخدم لحوم الخراف للمرة الاولى فى السنة الجديدة، ولإقامة هذا الحفل، فان من الضرورى وجود إمراتين ورجلين على الأقل. ويمكن زيادة هذا العدد شريطة مشاركة جنسين

١. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الديانات الكبرى»، صص ٩٩-١٠٠.
٢. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، صص ٣٣٣-٣٣٤.
٣. المصدر السابق، ص ٣٣٤.
٤. **فرسائي، محسن**، «الإطاحة الصهيونية بالإمبراطورية العثمانية»، صص ٣٤٧-٣٤٨

بعدد مساو ومع كل رجل وزوجته. وتشارك عندها النساء فى الحفل، وهن يرتدين أنفس وأغلى مجوهراتهن وملابسهن، ويقمن بتحضير الطعام وترتيبه على الموائد على الطاولات، وبعد تناول الطعام، يبدأ مجلس الملذات والترف، ومع إطفاء الشموع، ينتهى الحفل بينما تتداخل النساء والرجال معا. إن النطفة غير الشرعية لكل جنين تنعقد فى هذه الليلة وفى هذا الحفل، ويبصر النور، سيكون وليدا مباركا وسعيد الطالع.[1]

وماعدا هذه المجموعات الخمس من الطوائف اليهودية الرئيسية، يمكن الإشارة إلى طوائف اخرى في مختلف مناطق العالم، تخضع بشكل ما تحت مظلة تيار اليهودية الحديثة.

وتتموضع الفرق الماسونية وسائر المجاميع الخفية في هذه الفئة، إذ سنسلط الضوء عليها مستقبلا، بإذن‌الله.

---

١. المصدر السابق، ص ٣٤٨؛ نقلا عن **مصطفى طوران**، «دور اليهود في تركية»، **مصطفى بوراميني**، سميع للنشر، ١٣٨٠هـ .ش.، صص ٤٢-٤٣.